الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة الجوائز



رواية

إلفريده يلينك

المستبعدون

ترجمة وتقديم: دكتور مصطفى ماهر

إلفريده يلينك.

أديبة نمساوية ولدت في ٢٠ أكتوبر ١٩٤٦.
درست علم المسرح والموسيقى. وتاريخ الفن وعلم الثقافة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجنس.
حصلت على العديد من الجوائز المحلية والعالمية قبل حصولها على جائزة نوبل عام ٢٠٠٤.

الجائزة: جائزة نوبل في الآداب

أكبر جائزة في العالم، وأعلى مرتبة من جميع التقديرات. تمنح في فروعها المختلفة كل عام في العاشر من ديسمبر وهو تاريخ وفاة صاحبها الصناعي السويدي ومخترع الديناميت "ألفريد نوبل" الذي أسسها عام ١٨٩٥ كدعوة لتحقيق السلام في العالم ومنذ عام ١٩٠١ أصبح العالم كله ينتظر توزيع الجائزة على الأدباء والعلماء ودعاة السلام الذين يقومون بإنجازات أدبية وعلمية وخدمات اجتماعية نبيلة تهدف إلى رقي الإنسانية وتطورها.

وجائزة نوبل في الآداب هي أرفع جائزة أدبية في العالم. وهي تمنح لقمم الإبداع في فروعه المختلفة رواية .. شعر .. مسرح وأول من حصل عليها من العالم العربي الكاتب المصري "نجيب محفوظ" عام ١٩٨٨.

المُستَبعَدون

يلينك ، إلفريده
المستبعدون / إلفريده يلينك : ترجمة : مصطفى ماهر. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.
٤٤٨ ص ؛ ٢٢ سم .
تدمك ٧ ٧٢٦ ٤١٩ ٩٧٧
١ ـ القصص النمساوية
(أ) ماهر ، مصطفى (مترجم)
(ب) العنوان :
رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٤٢٣/ ٢٠٠٧
I.S.B.N 977 - 419 - 726 - 7
ديوى ٨٣٣

إلفريده يلينك

المستبعدون

رواية

ترجمة وتقديم: دكتور مصطفى ماهر



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٧

● الكتاب: **المستبعدون** Die Ausgesperrten
● تأليف: **إلفريده يلينك** Elfriede Jelinek
● ترجمة وتقديم: **دكتور مصطفى ماهر**
● يصدر هذا الكتاب باللغة العربية بإذن خاص من الناشر الأصلى للهيئة المصرية العامة للكتاب.

● الطبعة الأولى ٢٠٠٧.
● طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
● التصميم الجرافيكى: **دكتور مدحت متولى.**
● الإخراج الفنى: **صبرى عبد الواحد.**

«سلسلة الجوائز»

مازال أمام سلسلة الجوائز الكثير من الأحلام الكبرى، التى تعمل بدأب على تحقيقها، فلقد شهدت السنوات الأخيرة احتفاءً غير مسبوق بالأعمال الأدبية فى شتى أنحاء العالم، وزادت أعداد الجوائز المهمة وأشكال تكريم المبدعين، فازدادت بالتالى الروائع الأدبية، التى تنتظر الترجمة والنشر فى سلسلة الجوائز.

ولأننا نضع نصب أعيننا قطع المسافة بين الواقع والمأمول.. بين الممكن والمستحيل فقد قطعنا خطوات كبيرة وجادة للتغلب على التحديات التى تواجه عملية الترجمة بداية من احترام حقوق الملكية الفكرية للمؤلف ومرورًا بتطوير شكل الكتاب، ووصولاً إلى قناعة بأن النصوص الأدبية لها وضعها الخاص باعتبارها مؤلفات جمالية متفردة ومن ثم تكون ترجمتها إبداعًا موازيًا يتحمل المترجم وحده عبء النهوض به. كما أننا استحدثنا «ذاكرة الجوائز» كرافد للسلسلة لتقديم الآثار الأدبية، التى شكلت ذروة خالدة

فى مسيرة الإبداع العالمى ولم تترجم بعد، أو أنها ترجمت ونفدت طبعاتها، إيمانًا من السلسلة بأن الأعمال الأدبية يكون لها دائمًا تأثير لا يمحى بمرور زمنها وحتى يتسنى للأجيال الجديدة قراءتها.

لقد انطلقنا من نجاحات تحققت فى مجال ترجمة الأدب فى مصر والعالم العربى، ولذا شرعنا فى تأسيس بنك معلومات رأينا أن الترجمة بحاجة إليه، ويشمل هذا البنك كل الأعمال الأدبية التى حازت جوائز دولية أو محلية فى كل أنحاء العالم، أو حققت أصداء قوية، وأثرت فى وجدان مجتمعاتها بشكل يؤهلها للحصول على جوائز أكبر، كما أنه يوفر قاعدة بيانات كبيرة عن كل المترجمين من كل اللغات، لكى يتابع القارئ العربى ما تم إنجازه والمهمات التى تنتظر السلسلة.

إن الترجمة كانت وستظل هى الحل السحرى للعديد من مشكلات الاختلاف بين الشرق والغرب، وهى وسيلة التواصل والحوار، وترجمة الأدب بالذات هى الجسر، الذى تعبر عليه أفكار الشعوب وعاداتها ومعارفها بدون قيود، فالأدب كان وسيظل أساس التقدم والخير والحق والحرية والجمال.

ولذا ستسابق سلسلة الجوائز الزمن لتحتفى بأكبر قدر ممكن من حائزى الجوائز فى العالم، تلك الجوائز التى حققت مصداقية كبيرة وسمعة حسنة حتى يتوفر للقارئ المصرى والعربى عمل اتفقت على

جودته لجان متخصصة، مهمتها التحكيم لمنح جوائز دولية ومحلية لأهم الكتب وأكبر الكُتّاب.

ولسوف تتنوع اللغات المُتَرجم عنها فى أعداد السلسلة القادمة، ولسوف تقتحم سلسلة الجوائز جوائز جديدة. وأصواتًا لم يتعرف إليها بعد القارئ العربى، وذلك بفضل زخم الأعمال الإبداعية فى العالم وبفضل تنوع الجوائز المستحدثة، التى لاقت اختياراتها ترحيبًا واحترامًا من النقاد والمتابعين للمشهد الإبداعى.

د. ناصر الأنصارى

مقدمة المترجم

لا أريد فى هذه الصفحات التى أقدم فيها بين يدى ترجمتى لأثر أدبى نمساوى «المستبعَدون» Die Ausgesperrten حصلت صاحبته إلفريده يلينك Elfriede Jelinek فى عام ٢٠٠٤ على جائزة نوبل أن أفتح على سعته ملف تنظير الترجمة الذى أسهمتُ فيه بدراسات متكاملة منشورة وغير منشورة تبين لى ولمن شاء الطرائق المتعددة التى نسلكها فى هذا الجزء من عالم الثقافة المشغول بالإبداع والتواصل، وبالحرص على الخصوصية الفردية والنوعية والمحلية وبالكلف بالعمومية المحيطة بالإنسانية وكياناتها.

ولكننى أتصور أن من المفيد أن أطرح على القارئ بعض التأملات التى عاودتنى فى أثناء الإعداد للترجمة وتنفيذها ومراجعتها إلى أن خطت خطاها

إلى المطبعة. فنحن أمام نوعية من التأليف محددة المعالم : عمل أدبى إبداعى فنى فردى ، تضمه أوراق أو شرائط أو أقراص، له وجوده الذى أرادته له مبدعته ، وله وجوده المتجدد المتعدد الذى يريده له مستقبلوه. فهو من ناحية نشأته يضرب بجذوره فى بيئة نشأته النمساوية المحدودة الواحدة التى يحاورها وتحاوره، وهو من ناحية استقباله يحلق فى آفاق إنسانية متنوعة لا محدودة فيحاورها وتحاوره أيضاً. والبيئة المحدودة تفرض لغتها وثقافتها الواحدة، والإنسانية تتمسك بتنوعها اللغوى والثقافى فى إطار وحدتها العظيمة. ولا يزال الإعجاب دائماً بالوحدة العظيمة فى أحضان التنوع العظيم.

وللاستقبال من منظور اللغة طريقان رئيسيان، إما أن يكون مستقبِل العمل الأدب الفنى متمكناً من لغة الأصل وثقافته فيطالع الأصل فى لغته ويدور معه فى إطار تفاعل بين ثقافتين له سماته النوعية. وإما أن يتم الاستقبال عن طريق مترجمين يبدعون ترجمات مختلفة الأنماط فى إطار تفاعل بين ثقافتين له سمات نوعية أخرى. وقد شرحت هذه الأنماط المتعددة فى أكثر من دراسة بالألمانية والعربية.

ولا تزال الأنظار تتجه إلى المترجم الذى يناطح الاختلاف، ويقرّب البعيد، ويستغل أدواته فيما يمكن أن نسميه تفاعلاً ترجمياً مثمراً ، أثمر نتاجاً له كيانه ووجوده، يدور حول محاور تأسيسية ، منها أن ما لا

يدرك كله، لايترك كله، وأن مترجم العمل الإبداعى فى نظر ذاته مبدع على طريقته، وأنه بصياغاته وسيط بين ثقافتين، وأن الترجمة تقرب النص الأصلى إلى جماهير متنوعة وتنشره بصياغاتها فى ربوع جغرافية فوق المحلية تصبو إلى نوع من العالمية النسبية تجسد مفهوم الإنسانية المجرد.

وعالم الثقافة واسع لا تحده إلا حدوده، يرحب بالاختلاف والتنوع، فمن أراد أن يتذوق مأساة «فاوست» Faust لـ «جوته» Goethe مثلاً ويتمتع بصولات وجولات صاحبها فيها شكلاً ومضموناً، فليقرأها فى لغتها الألمانية ، وليحاول أن يشارك أرباب الثقافة الألمانية استقبالهم لها، وأن يرى رأيه فى إطار هذه النوعية من الاستقبال. ومن أراد أن يقرأ الترجمات العديدة المتنوعة التى نشرت «فاوست» فى العالم الواسع ، فأمامه مكتبة الترجمات المتامية بأساليبها الاستقبالية النوعية الخاصة.

فالترجمات - بالجمع لا بالمفرد - أنواع وأنماط. وكلما زادت ترجمات العمل الواحد وتجددت وتنوعت، كانت تلك علامة إيجابية على استقبال متجدد متنوع. ومن أنواع الترجمات هذا النوع الذى يجرى به قلم مترجِم مثلى تقوم بينه وبين اللغة التى ينقل منها علاقة علمية وفنية ، وتقوم بينه وبين اللغة التى ينقل إليها علاقة علمية وفنية أيضاً ، وهو على المستويين

ملتزم بمبادئ ومناهج وآليات. فهو على سبيل المثال يجتهد فى أن يقدم بين يدى الترجمة بمقدمة هى تمهيد موضوعى يلزم فيه الموضوعية إلى أبعد حدودها المكنة، دون أن يمحو ذاتيته، فكيف يمحو الفاعل ذاتيته كلية؟

وفى رأيى أن الترجمة وهى تنقل الغريب تحتاج من قارئها جهداً لوضعها فى مكانها وزمانها وبيئتها وثقافتها وعلاقاتها بمبدعها وتوقعات قرائها الأقربين لغة حتى لا يتحول إلى تصورات وتأويلات من عالمه هو يفرضها على هذا الغريب الذى من حقه أن يظل غريباً.

وعلى هذا الأساس يقوم مثل هذا التمهيد، وما تحفل به صفحات الكتاب من ملحوظات هامشية، لا أظنها تزيُّداً، وبخاصة عندما يكون الأصل ثرياً فكراً وأسلوباً. هناك مثلاً بعض تفصيلات عن ملامح أسلوبية، منها ما يظهر فى الترجمة، ومنها ما لا يظهر، مع الأخذ فى الاعتبار أن أثرها فى المجال النمساوى يختلف عما يقابله فى المجال المصرى. فبعض التحوير فى أسماء الأشخاص (من قبيل هانس وهانزى وهينزل وهينسشن إلخ) يدل على مدلولات وترابطات وتنويعات مثل التدليل ومثل الاستهزاء ومثل التلميح إلى قصة شعبية أو أغنية أطفال. ومنها أسماء شخصيات لها وجودها فى مرحلة من مراحل التاريخ ولها مدلولاتها.

وهناك أبعاد اجتماعية للأشياء، للمبانى مثلاً وما يوضع فيها من أثاث، بل ربما كان لمبنى بعينه باب صنعه فنان معروف من أحجار كريمة معينة فى وقت معين شاهداً على مستوى من الثراء أو التظاهر، وربما ورد ذكر حقيبة من نوع معين أو مادة معينة لها دلالة اجتماعية وشخصية.

وكما ذكرت من قبل فى حديثى عن رواية «العاشقات» Die Liebhaberinnen للكاتبة إلفريده يلينك Elfiede Jelinek (*) ذاتها إنها رواية شديدة التغلغل فى الواقع النمساوى فى مرحل مختلفة، أعود فى حديثى التمهيدى عن «المستبعدون» Die Ausgesperrten، فأشدد ـ كما فعلت من قبل ـ على هذه السمة التى تفرض علينا اقتراباً مناسباً من نوعيتها ، وحرصاً على ألا نتصور أنها تصف أشياء وأشخاصًا ومشكلات عشناها نحن أو نعيشها فى واقعنا الحياتى أو الثقافى. ولنا أن نعتبر اجتهادنا فى معرفة الآخر خطوة بناءة فى التفاهم المتسامح وحوار الثقافات.

هذه الروائية وهذه الرواية

وإلفريده يلينك Elfriede Jelinek نعرفها فى حدود ما طالعناه من أعمالها وما نقل إلينا من أعمالها وما دار حولها من أحاديث ومناقشات بعد حصولها على

(*) انظر ترجمتى التى نشرتها «الهيئة المصرية العامة للكتاب» فى «سلسلة الجوائز»، رقم ٩، فى عام ٢٠٠٦ .

جـائزة نوبل (*) التى حصلت عليها فى عام ٢٠٠٤، وكانت الأديبة النمساوية آنذاك فى الثامنة والخمسين من عمرها. وهى من مواليد قرية مورتستسوشلاج Mürzzuschlag من أعمال ولاية شتايرمارك Steiermark فى ٢٠ أكتوبر١٩٤٦إلفريده يلينك Elfiede Jelinek، ونشأت فى العاصمة ڤيينا، ودرست علم المسرح وتاريخ الفن والموسيقى واهتمت بالفلسفة وعلوم الثقافة والاجتماع والجنس.

وحصلت قبل جائزة نوبل على عدد من الجوائز الألمانية والنمساوية المرموقة ومنها :

- جائزة هاينريش بل Heinrich Böll من مدينة كولن Kölnفى عام ١٩٨٦
- جائزة الأدب من ولاية شتايرمارك Steiermark ١٩٨٧.
- جائزة الأدب من مدينة بريمن فى عام ١٩٩٦
- جائزة چورچ بوشنر Georg Büchner فى عام ١٩٩٨ .

(*) وما زلت أؤمن بأن مؤسسات نوبل التى تهدف إلى إصلاح ما أفسده نوبل بمتفجراته - ومن بينها الآلام الشخصية - مطالبة بأن تلعب دوراً أساسياً فى تطهير أراضينا جذرياً من الألغام (ثلاثة وعشرون مليون لغم !) التى زرعها مجرمو الحرب العالمية الثانية فى أرضنا وما زلنا نعانى منها، فهى تقتل وتشوه وتخيف الأبرياء وتردهم عن مشروعات إعمار الصحراء. ولقد عبرت عن هذا الرأى فى بعض الأحاديث الصحفية، وأرجو أن يجد من يتبناه من أهل الحل والعقد، وأن تكون له هيئة تتولى الأمر على أرض الواقع. (المترجم).

تتسم أعمال يلينك بالخصوصية كل الخصوصية: خصوصية نمساوية، وخصوصية يلينكية، وخصوصية لغوية وأسلوبية وابتكارية نوعية. أما الخصوصية اليلينكية فتتمثل فى إنشاء عمل روائى متفرد، جرىء، ملتزم بقضايا محددة، يستخدم المقومات الفنية فى معالجة علمية تشمل أبعادها الحياتية وجذورها التاريخية والنفسية والاجتماعية والسياسية. فنحن فى وقت واحد أمام عمل فنى متحرر من كثير من القيود وعلمى موثق هو من قبيل دراسة حالة، حالة مركبة، متشعبة.

نسيج الرواية

الحالة المطروحة يمكن أن نفهمها بادئ ذى بدء على أنها صراع جيلين، جيل جديد ينفصل بعنف عن جيل قديم. يمثل الجيل الجديد «راينرفيتكوفسكى» الابن، تلميذ فى السنة النهائية فى المدرسة الثانوية يتهيأ لامتحان الماتورا الذى يؤدى إلى الجامعة. ويمثل الجيل القديم «أوتو فيتكوفسكى» الضابط السابق فى الجيش النازى المحمل بأوزار الكارثة. وهكذا نجد أنفسنا فى «المستبعدون»، ونحن فى خمسينيات القرن العشرين، فى داخل حالة نمساوية خاصة هى تصفية الحساب مع النازية إبان ظهور التأثير الأمريكى والمعجزة الاقتصادية التى زاد بها الأغنياء ثراء والفقراء فقراً.

ومعنى هذا اتساع دائرة شخصيات الرواية لتشمل نفسياً وحياتياً أم «راينرفيتكوفسكى» «وأخته أنا»،

ولتشمل اجتماعياً شريحة تلاميذ المدرسة، وفيها الأغنياء والفقراء، وشريحة العمال وفيها المحبطون، والمتشرزمون، والجماعات العمالية المتصارعة.

وإذا كان الصراع بين الجيلين لا ينحصر فى ابن وأب، بل يتسع ويتحول إلى عصابة يكوّنها ويقودها هذا الابن «راينر ڤيتكوفسكى» الذى شُغل حتى الهوس بالفكر الفوضوى وبرع فى أساليب تجنيد العناصر وفى التخطيط والتنفيذ.

وهكذا نجد أنفسنا نطالع دراسة مذهلة حول كيفية ظهور العنف فى المجتمع النمساوى فى الخمسينيات، والتكتيكات التى اتبعت لتجنيد شخصيات مختلفة، منها الأخت الموهوبة موسيقياً، والفتاة الأرستقراطية التى يختلف اندفاعها إلى العنف عن اندفاع العامل اليدوى.

وتجرنا الأحداث إلى مجالات بانورامية متشابكة متصارعة: النشاط الفنى الرفيع فى الكونسرڤاتوار والأوپرا والنشاط المبتذل فى الموسيقى والغناء والسينما والكتابة على مستوى الصالات والحانات، النضال العمالى المترفع عن الدنايا، والجرى وراء المتع السفيهة، ومحاولات التسامى الفكرى وإغراءات الانحطاط الأخلاقى والضلال والنفاق، انتهاءً بالعنف الدموى البشع.

ومن الضرورى أن نلتمس لأنفسنا مداخل إلى هذا الكتاب المثير الذى يهز بأسئلته القلب والعقل هزاً

رهيباً، ولا يصور الجمال إلا ومن حوله القبح، ولا الحب إلا ومن حوله النفاق، ولا العدالة إلا ومن حولها الظلم، ولا الفن الرصين إلا ومن حوله التدنى، ولا الأسرة إلا ومن حولها التفكك، ولا الإقبال على الثقافة إلا ومن حوله خطر التأويل، ولا التراث الحضارى القومى إلا ومن حوله الغزو الاستهلاكى والترف الأمريكى، ولا الانتصار على الفاشية إلا ومن حولها هزيمة تحيق بالمبادئ الإنسانية، ولا القيم الرفيعة إلا ومن حولها التدهور الذى يصل إلى أسفل درك فى المشهد الختامى الدموى البشع الذى يقتل فيه الابن أهله جميعاً.

الشكل

ما تقلب صفحات رواية «المستبعدون» بين يديك حتى تظنها كتلة واحدة، أو قل سلسلة متكاملة من فقرات كأنها حلقات متلاحمة بإحكام، أو عقد حباته منظومة من داخلها على خيط مضفور يمثل منطقها الذاتى. ثم يدفعك الفضول إلى مزيد من الاستكشاف، فتتبين أنها تتكون من ٢٨ فصلاً مختلفة الطول، لا تحمل أرقاماً ولا عناوين، ولا يتعرف الإنسان إلى بداياتها ونهاياتها إلا بصعوبة. والفقرات تبدأ أحياناً بدون «بياضة»، وأحياناً «ببياضة» صغيرة أو كبيرة تكاد تبتلع نصف السطر، أو متوسطة.

فى البداية مشهد الاعتداء على شخص لا يعرفه المعتدون ولا يعرفونه، ولا تقوم بينه وبينهم صلة

مباشرة أو غير مباشرة، لم يحدث من قبل بينهم فعل ورد فعل، ساقته المصادفة إلى ظلمة حديقة عامة لا شأن له فيها بالثور ولا بالطحين، وعاجله فى الظلام أربعة من صغار السن بضرب مبرح أوشك أن يفتك به وبسرقة حافظة نقوده. كرٌّ وفرٌّ فى الظلام، وفى النهاية مشهد ابن يفاجئ فى ظلام المسكن الضيق القميء أباه وأمه وأخته بمذبحة مدبرة.

وبين البداية والنهاية وقائع ومشاهد وحوارات ورجوع إلى الماضى وتداخلات ومصادمات ومداخلات وتربيطات بالماضى وبالممكن والمستحيل وتقارير ولقطات وحركات فى اتجاهات متضاربة، وأخطاء، وخطايا، واتهامات،ومغامرات وغوامض الحياة والإرادة والمعاناة والألم. مشاهد من حيوات أفراد ومن حياة أمة ، يقفل فيها مجتمع هلامى، غير محدد المعالم بابه الوهمى أمام شبان يعانون من الماضى الذى لم يشاركوا فيه، ومن الحاضر الذى لا ينتمون إليه، فيتكوّن لديهم شعور بأنهم مستبعدون.

اللغة

وإذا كان النص منصباً على البيئة النمساوية بتشعباتها الحياتية الثقافية الجغرافية التاريخية، فمن الطبيعى أن يكون متغلغلاً فى اللغة النمساوية. تتوالى أسماء شوارع وحارات وقرى ، وأسماء أشخاص، وأحزاب، ومحلات، ومنتجعات، وجبال تنهمر فوقها الثلوج، واتحادات رياضية، ومساكن بنتها

البلديات، ومساكن قديمة سقيمة لها طابعها الذى يعرفه أهل البلد، وحانات للهو، منها القباء ومنها المقاهى. النص غارق فى الواقع النمساوى فى فترة زمنية محددة هىَ: فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. والنمسا على الرغم من ذلك متشابكة على طريقتها مع ألمانيا، فهى جزء من المساحة الثقافية الألمانية، ولكنها متشبثة بسماتها اللغوية التى تميزها؛ وقواميس اللغة الألمانية الحديثة لا تفتأ تذكر أن اللفظة الفلانية نمساوية، أو أن المعنى الفلانى نمساوى. كذلك النمسا متشابكة مع بيئات ثقافية أخرى أبرزها هنا البيئة الثقافية الفرنسية وما نمت فيها من أفكار ارتبطت بچان پول سارتر وألبير كامو وچورج باتاى والماركيز دى صاد.

وكَلَفُ يلينك بالتوثيق العلمى يظهر فى أسلوبها المتفرد، فهى تصطنع لنفسها لغتها التى تترجم بها الوقائع، فهى تتمسك بالزمن المضارع النحوى إلى أبعد الحدود، ولا تتحرج من الحديث المستفيض عن القىء والعرق، وروائح العفن، والدم، وما يتصل بين الناس من علاقات وراء أبواب مقفلة أوستائر مسدلة أو جدران من الصمت. والتدقيق فى وصف العصابة الناشئة والشرائح السافلة فى قاع المجتمع النمساوى يغرى يلينك باستخدام سجلها اللغوى.

وإذا كانت السينما قبل التليفزيون ومعه قد أثرت فى حياة الناس وتأثرت بها، فإن يلينك فى تتبعها

أحوال المجتمع النمساوى تستطرد إلى استعراض نقدى للأفلام السينمائية والممثلين والممثلات وتعبير كل ذلك عن التحولات الفردية والجماعية، ونشوء صور من القدوة والاقتداء فى تيار جارف ينهمر بقوته الذاتية. ومن السينما تنتقل إلى إغراءات الدعاية والاحتفالات والموضة على مستويات الشرائح الاجتماعية المختلفة.وأياً كان موقف المثقفين من هذه الظاهرة فهى تطبع لغتهم بطابعها، سلباً وإيجاباً. وكأنك وأنت تقرأ رواية «المستبعدون» تعايش تقنيات التعبير السينمائى، والتعبير بالوسائط المتضافرة، باللون والإضاءة والصورة والحركة والاقتراب والابتعاد والتكبير والتصغير والتشويه والتجميل والتزامن والتواجد والتلقائية والاصطناع.

أضف إلى ذلك تراث الزخرفة الأسلوبية والبلاغة والبديع، وخاصة التلاعب بالألفاظ والدلالات، كأن تحمل الكلمة معنى السنبلة ومعنى الشرف، وقد يكون للشرف دلالات أخرى فى الثقافات الأخرى. نلاحظ جماليات من نوع خاص، منها عدم الاهتمام بحلاوة الجرس، وإنما الاهتمام بتقنيات جمالية مأخوذة من الموسيقى اللانغمية أو المنظومة النغمية الاثناعشرية، مثل تكرار كلمات بنفس الدلالة، أو بدلالات مختلفة. كما تستوقفنا جماليات القبح بدرجاتها وظلالها التى تتفتح مروحتها متدرجة بين السخف والبشاعة ، وجماليات التفلسف المغرض الذى يفسح مكاناً كبيراً لتعبيرات العدمية واللامعقول والفوضوية.

وتغص لغة يلينك بكلمات الحشو التى تذكرنا باللغة الدارجة، أو بمحاولة التدقيق المبالغ فيه فى كلمات الحشو. وما أكثر استخدام قال يقول، وكأنما أصبح التواصل اللفظى محكوماً بقال يقول.

صناعة العنف

ونحن فى اقترابنا من هذه الرواية نلحقها بنوعية الأدب الملتزم سياسياً واجتماعياً ونفسياً وثقافياً. والمرحلة التى تصفها ، مرحلة عاشتها ، طفلة صغيرة فى الأربعينيات المتأخرة وهى أشد السنوات إيلاماً، ثم نشوء وارتقاء المعجزة الاقتصادية فى صباها المبكر. بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فى عام ١٩٤٥ وخرجت ألمانيا النازية والنمسا النازية مهزومتين بدأ عصر تصفية الحسابات وعدم الاتفاق على كيفية العودة إلى نقطة انطلاق إلى حياة جديدة. فهو عصر بلبلة وتضارب الاتجاهات والمصالح.

ورواية «المستبعَدون» Die Ausgesperrten مثلها مثل كل عمل روائى عمل فنى تخيلته الأديبة المبدعة على أساس نسيج من الواقع النمساوى فى فترة محددة بعد الحرب العالمية الثانية تمتد إلى سنوات قبلها، هى سنوات الكارثة النازية وسنوات بعدها، هى سنوات الصراع الاقتصادى والسياسى والثقافى على حياة نمساوية أصيلة تقوم أولاً على العدالة والحرية والأمن والأمان من منظور اشتراكى.

فهذا أدب متخيل وملتزم بالواقع - العصابة لها أصل فى أخبار وتعليقات تداولتها الصحف - وهو ملزم كذلك بقضايا مجتمعية، تضع فيه يلينك خلاصة دراسات رصينة وحقيقية فى مجالات تخصصت فيها وهى : الفن وتاريخه وخاصة الموسيقى، الثقافة وعلومها الاقتصاد السياسة علم النفس وعلم الجنس وعلم الاجتماع.

والمحور الرئيس فى هذا الأدب الملتزم هو : كيف ينشأ العنف؟ كيف يتحول الشباب إلى العنف؟ وما عرف من قبل بالفوضوية وحمل فيما بعد أسماء كثرة منها الإرهاب والبلطجة.

المتناقضات

وما دام الموضوع يدور حول مسلك نفسى متطرف فإننا نجد يلينك تنهج نهجا سيكولوجياً، وتركز اهتمامها على دور الجنس، ونوعيات العلاقات بين الجنسين فى إطار اجتماعى مضطرب. الدرس العلمى الذى تلزم نفسها به يتطلب البحث عن كل الأسباب، وآليات تفاعلها، وخاصة الأسباب الجسمية النفسية، وقد يبرز سبب يهيمن على أسباب أخرى ويؤدى إلى حتمية الانحراف.

العصابة تتكون من أربعة أفراد ينتمون إلى ثلاث أسر مختلفة اجتماعياً: أسرة «ڤيتكوڤسكى» النازى السابق ، المشوه، المريض نفسياً، الذى نقل شذوذه من

براويز الماضى إلى براويز الحاضر؛ وأسرة سيب العمالية المكافحة التى مات عائلها بطلاً مناضلاً، وبقيت الأم متمسكة بالخط النضالى، بينما اتجه تحول الابن إلى الوصولية المقيتة؛ والأسرة الثالثة أرستقراطية غنية تحركها أمٌّ مستبدة، ترسم لابنتها طريق الصعود فى عالم المال، فإذا بالبنت تتأرجح بين التكيف والنفور، وتتقلب فى النهاية إلى العنف.

وتتطلب الدراسة النفسية الجسمية الاجتماعية للشخصيات الغريبة الأطوار، المنحرفة ، الشاذة ، المكبوتة ، وتقييمها من إلفريده يلينك إعادة النظر فى منظومة القيم الأخلاقية لتتبين المستجدات التى تقيس عليها، دون أن تكون بالضرورة مُدرسة أخلاق. وما من شك فى أن التفكير فى المنظومة القيمية الأخلاقية يقود إلى نظرة نقدية إلى دور الكنيسة الذى غلب عليه الشغف بالمظاهر والشكليات ، ونظرة نقدية إلى المجادلات العقائدية وما جرى من خيانة العدالة الاجتماعية من أجل تحقيق منافع أنانية.

والجو العام مشحون بالمتناقضات. لم يعد الناس ، المثقفون منهم والعامة، يعرفون كيف يختارون من يحمل مسئولية إعادة البناء. حامت الشكوك حول جدية الاشتراكيين وحول جدوى الحركة العمالية، ومال الكثيرون إلى السير وراء قوى الرأسمالية؛ لأن المال يحكم العالم. وهم لم يحسبوا حساب النتيجة المحتومة وهى «أن الذين لا شىء لديهم يُتركُ لهم هذا

اللاشىء. أما أولئك الذين لديهم مال، فهم يُعطون مالاً فوق مالهم.. » وعلت أصوات المرتابين فى أمريكا «من الغرب الأجنبى يمد رأس المال أياديه الغنية بالعون ويطبع وطننا بطابع أجنبى غالب ويترابط مع أياديه داخل الوطن مكوناً سلسلة متينة مثل جنزير الدبابة».

غرقت أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فى المؤثرات الواردة من أمريكا والتى جرفت أرباب السياسة والفنانين والتجار والشباب. من علاماتها آنذاك الساندوتش والكوكاكولا، وموسيقى الجاز، والروك آن رول، والثياب وقصات الشعر ورفاهية المستوردات من ويسكى وسجائر مشهورة بأسمائها الخلابة.

وفلول النظام النازى من أمثال السيد «فيتكوفسكى» الذى يؤمن برأس المال الذى لا يملكه ويستطيع بوعى ذاتى منبثق من الماضى أن يتطلع إلى المستقبل، بوعى ذاتى لأنه فى الماضى قام شخصياً بحماية رأس المال، والآن يعود رأس المال فيحكم بالكامل ويعبر له شخصياً عن امتنانه.

الأشخاص:

وإذا كانت الرواية بعنوانها «المستبعَدون» تبرز أهمية الأشخاص، ومحورية المستبعدين، فمن المنطقى أن نجد «يلينك» تضع خلاصة قدراتها العلمية والفنية

فى تصوير أشخاص الرواية وما يجرى عليهم من تحولات، وخاصة الرئيسيين وهم عصابة من المتمردين المتطرفين الجانحين إلى الجريمة. هم أربعة: بنتان وولدان، ثلاثة تلاميذ ثانوى، وعامل: وأبرزهم «راينر» الذى يغلب عليه أن يكون مخ العصابة، و«هانس» يغلب عليه أن يكون يديها، أما «زوفى» فيغلب عليها أن تكون من قبيل البصّاصة، و«أنّا» بها حنق على الناس جميعاً، وهو شىء سيئ لأنه يعتم الرؤية ويوصد السبيل» هكذا تقدمهم يلينِك فى بدايات الرواية.

ويمكننا أن نتتبع الشخصيات ومكان كل منهم فى الأحداث.

«راينر» مخ المجموعة، وصاحب شخصية قيادية، وهو عبقرى لم يجد البيئة المناسبة التى ينمى فيها مواهبه فقد نشأ فى شقة من الشقق الضيقة الرخيصة التى يسكن فيها الفقراء والمعدمون والحثالة والتى تعتبر على حد وصف يلينِك بيئة القذارة والنتانة. «قد يترعرع أحياناً من بين هؤلاء عبقرىٌّ، التربةُ التى يستمد منها غذاءه، هى غالباً القذارة والحدود التى تحده هى الجنون، وهو يريد بأى ثمن أن يخرج من القذارة، ولكنه لا يستطيع دائماً أن يفلت من الجنون.

وأهل «ڤيتكوڤسكى» لا يدور بخلدهم أن فى قلب نتانتهم أيضاً عبقرىٌّ وأى عبقرى ! ـ قد شب عن الطوق، ذلكم هو: «راينر»

زملاؤه فى المدرسة يشعرون بتفوقه أو بغرابة أطواره، ينادونه بـ «يا أستاذ»، ويدركون قدرته على التفلسف. ولكن علاقته بالبنات غير عادية بالقياس إلى علاقات التلاميذ الآخرين. وهو يعانى من كبت لا يعترف به، ويسترسل فى الكذب، فهو يكذب فى تصويره سلوكه على أنه يعتمد على فلسفات يصعب على الآخرين فهمها.

وعلى الرغم من الفوارق الاجتماعية الهائلة فهو يقع فى حب زميلته الغنية الأرستقراطية فى الفصل «زوفى» التى لن يلبث «هانس» العامل المفتول العضلات، أن ينازعه حبها. «إنه يصبو بعنف أى عنف إلى أن ينال «زوفى» وهى كذلك من جانبها مثله تماماً شديدة الرغبة فى أن تناله. إلا أنها لا تعترف بذلك. «راينر» يقول لـ «زوفى» إنه الحيوان المفترس وإنها هى فريسة الحيوان المفترس. «زوفى» تقول إنها لا تفهم مقصده».

ولدينا فى الرواية تفصيلات تأثير الوالدين وما يجرى بينهما من علاقات لها تاريخ ولها مفاهيم أليمة. فـ «راينر» يكره أمه لأنها تعطف على البنت أكثر مما تعطف على الولد، اعتقاداً منها أن البنت الضعيفة أولى من الولد القوى. وهو فى الوقت نفسه يكره أباه لأنه يظلم الأم ويؤذيها ويستغلها فى أشياء قذرة. والأب الذى تعلم القسوة والقتل على يد النازية ينقل عدوانيته إلى زوجته التى لا حول لها ولا قوة.

والابن الذى يكره الأب يأخذ عنه العنف والرغبة فى سفك الدماء انتقاماً من الآخرين ولما فعله به القدر. وكأنما كان راينر فى البيت فى مدرسة السفالة والتمرد على الظلم وممارسة الانتقام الأعمى غير المحدود.

فى داخله قدرة رهيبة على القتل لا يكاد يستطيع التحكم فيها. «زوفى» تسأله:«أتُراك تقتل بشراً لا لشىء إلا لأنك رأيت ذلك فى فيلم فرنسى». و«راينر» يعترف لها بشىء لا تفهمه تماماً: «من هذا الذى يعلم كل ما لدىَّ القدرة على فعله. أنا لا أعرف إلا أننى قادر على فعل أشياء بشعة بشاعة لا يتصورها أحد، وأننى أسيطر على نفسى لكى لا أعملها».

و«راينر» يخترع لنفسه أقارب أغنياء ومشهورين لا وجود لهم. وهو يستغل جهل الآخرين فيخرج عليهم بآراء واستنتاجات متباينة ومضطربة ويفسر چان پول سارتر وچورج باتاى وألبير كامو وغيرهم على طريقته ومن منظوره المرضى الأنانى. وهو قادر على الهيمنة الفكرية على الجهلاء أو محدودى المعرفة، وقادر على الاستغلال والابتزاز.

و«راينر» هذا الذى تصور نفسه مستبعداً مظلوماً، يكون لنفسه خلية من المستبعدين المطيعين، ويتبع نهج الناقمين المنتقمين الفوضويين، ويضع بصفته القائد المخطط الفوضوى التصفوى الماحق الساحق الذى يحول الحس والفكر والإرادة إلى فعل عدمى انتقامى.

وهو يختار من التراث الفكرى للإنسانية ما يتفق مع هذا المخطط فيصطنعه لنفسه ويزيده عنفاً وفوضوية، ويتناول بالتأويل المتحيز المتعمد المغرض ما لا يتفق مع مخططه فيسفهه أو يقوِّله ما لم يقل. على سبيل المثال أدالبرت شتيفتر Adalert Stifter وهو أديب مهم من القرن التاسع عشر يمكن أن يختلف النقاد فى تقييمه، وهذا شىء مألوف فى عالم الأدب. ومعروف أنه توفى منتحراً ليأسه من الشفاء وعجزه عن احتمال آلامه. ولكنه كان يؤمن بوجود علاقة عميقة بين الإنسان والطبيعة، ووصف الكثير من مشاهد الطبيعة، فيها شاعرية، وفيها إرهاصات متشائمة. وربما أساء إلى صورته إعجاب نيتشه به، وما قيل عن أن النازية قد اغترفت من آرائه.

هذا الأديب الذى ناقشت مدرّسة اللغة الألمانية بعض نصوصه، وجد «راينر» فيه ما أغراه بأن يتناوله على طريقته: «لم يجد شيئاً» يعمله أفضل من أن يكتب بأسلوب كأنه المرهم فى وصف احتفال رفيع بعيد العَنصَرة، يخرج فيه إلى طرف الغابة الساكن، لا حيث وقف أيل صغير نشيط ... بل حيث يوغل للنزهة فى شىء يعتبره كما يقال منظراً طبيعياً لانهائياً، ماذا يعرف سيادته عن اللانهائية. عقله لا يستطيع إدراكه.

«راينر» يشعر فى ذاته بلانهائية أديب يحطم كل الأغلال. هو، لا «شتيفتر»، يشعر بها، هو يفكر التفكير الصائب الذى يتلخص فى أن الطبيعة تميل

إلى الغرق فيما لا حياة فيه، ولا يزيد ما نفعله عن مساعدتها في ذلك.

على محطة الترام الفقير الذي سينقله مع أخته وهانس من حي زوفي الأرستقراطي إلى الحي الفقير يتحدث «راينر» بكلمات واضحة وحاسمة عن تنفيذ مخططه ألا وهو : الاعتداء على أناس يفترض أنهم ينتمون إلى المجتمع الذي قفل بابه في وجهه ووجه رفاقه واستبعدهم وحال بينهم وبين الدخول، ويؤسس الاعتداء كذباً على ما أسماه: تحقيق التحرر الذاتي نهائياً الآن ومستقبلاً لا على الحصول على ثروة.

وقد خرج من قراءته لرواية «الغريب» لـ «ألبير كامي» Albert Camus بأن بطل هذه الرواية لا يهمه أي شيء، ولا يوقن إلا من موته الذي ينتظره.

والموت يتخذ في قصائد «راينر» مكاناً حاسماً: وعندما يثور مدعياً أن كلمة معينة لا تواتيه، لا تريد بحال من الأحوال أن تهبط عليه، ولكنها تأتي فجأة، فإنها بطبيعة الحال كلمة موت. عليه دائماً أن يفكر في الموت وأن يصطنع بوجهه تعبيراً مناسباً له. الموت في اللغة الفرنسية امرأة وفي اللغة الألمانية رجل.

وهو عندما يصارح «زوفي» وهي تحاوره بمشروعه الانتقامي الرهيب، تقول له: أنت فوضوي لئيم لا يريد إلا الانتقام (زوفي).

وقد أخذ عن المركيز دي صاد de Sade قوله: إن كل مكان ستتوزع فيه حقوق الإنسان بشكل عادل

بحيث يستطيع كل واحد أن ينتقم بنفسه لكل ما عاناه من ظلم، لن يكبر فيه مستبد. فسيسكته (المنتقمون) على الفور. كثرة القوانين هى التى تؤدى إلى الجريمة.

وهو يضيف من عنده: هذه القوانين وأشباهها لا تصلح لى، بل تصلح فقط لمن يحتاجون إلى من يقودهم. وأنا بالأحرى قائد... لدى فى داخلى كُرَّهٌ كبير ... أنا أستطيع أن أعمل دون هدف. وأنا أود أن أعرف ما هذا الذى يجب أن أصب عليه الكُرّه.

وقد وقع فى حب «زوفى» فملك عليه قلبه وعقله. وظن أن هذا الحب الذى ظل من جانب واحد يدفع دفعاً إلى الانتقام الرهيب لما حاق به من «استبعاد» كما تصور أن العدوان الذى صمم عليه ينجم عن اشتهاء «زوفى»، وأن اشتهاء «زوفى» ينجم عن أن «زوفى» بنت جميلة جداً.

وعندما يخرج من حديقة قصر «زوفى» ينتابه إحساس بأنه عدو نفسه، وربما قال له قائل إن ذلك مصدره الهورمونات التى تغلى داخله. وفى الترام الذى يقله إلى منطقة تتزايد فقراً كلما توغل فيها، يظن «أن قامته تزداد صغراً، لا لأنه يبتعد، وإنما لأنها تصغر بفعل بيئتها المحيطة. منذ قليل كان لا يزال أحد فى حديقة، وهو الآن لا أحد فى ترام. تلك خبرة فظيعة، لأنها تعنى أن خطر الاختفاء الكامل قائم».

من خلفه يتلاشى النور كله، والنور اسمه «زوفى»

فى المنزل الضيق القمىء تنصب عليه إهانة أبيه لأمه المستمرة فتدفعه إلى التفكير فى قتله. الأب يعذب زوجته «جريتل» فى حجرة النوم مستخدماً سوط الخيّال، ويهددها بالقتل، ويتهمها بالخيانة، ويصمها بأنها عاهرة. وهو الذى يلتقط لها صوراً فاضحة يبيعها ويدعى أنه ينفق على العائلة من عائدها. «راينر» وأخته التوءم «أنا » يتألمان. ولكن «أنّا» ترده عن فكرة القتل.

والأب يجبر «راينر» على أن يقود السيارة ويوصله إلى «تسفيتل» حيث العاهرات، يريد أن ينشط نفسه هناك. فى طريق العودة يفكر «راينر» فى قتل الأب والانتحار، ثم يصرف النظر فلا يزال أمامه الكثير الذى خطط له.

وينهار «راينر» عندما يجد «زوفى» تفضل «هانس» عليه، ثم عندما يجدها تهينه وتهين أخته. فيقرر نهائياً قتل الأب والأم والأخت. ولكنه لا ينتحر، بل يحاول تضليل البوليس، فلا يفلح ويضطر إلى الاعتراف.

«أنّا» هى أخت «راينر» التوءم، وزميلته فى فصل الماتورا - الثانوية العامة - بالمدرسة. عناصر صورتها تطالعنا ابتداءً من بدايات الرواية. «أنّا» فى باطنها غيظ كثير، يبدو أنه نجم عن الجو الشاذ بين أبويها فى البيت، ورواسب كثيرة من المعاناة، ورغبتها الخروج من الظلم الذى عانته وظلت تعانيه حتى قتلها أخوه دون أن تعى ما أقدم عليه.

الغيظ يملك عليها نفسها حتى أن أحب شيء تتمناه هو أن تحطم زجاج نوافذ العرض البديعة المضاءة فى شارع ڤيينا التجارى الرائع. أما ما وراء هذه الألواح الزجاجية فكانت تتمنى بجنون أن يكون لها. ولهذا قبلت الاشتراك فى العصابة الفوضوية التى كونها أخوها «راينر» لكى تحصل على المال. وهى تتلوى من فرط الحسد عندما ترى تلميذة من زميلاتها ترتدى تاييراً جديداً ببلوزة بيضاء أو حذاءً جديداً بكعب عالٍ. أما ما تقوله بفمها تعليقاً على ذلك فهو: إننى أتقيأ لا محالة على الفور عندما أرى مثل هؤلاء البنات المتبرجات المدندشات. إنهن بهذه الهلاهيل القميئة السخيفة بنات سطحيات مخهن فارغ خاوٍ. بينما هى على العكس منهن لا تلبس إلا بنطلونات چينس قذرة وبلوفرات رجالية مهرولة لكى يتخذ موقفها الباطنى تعبيراً ظاهرياً.

وهى تخضع للعلاج النفسى بعد أن أصيبت بفقدان القدرة على الكلام على فترات. وهى تفزع من كل شيء. وكانت قد أصيبت من قبل بعدم القدرة عن التحكم فى البول، مما تسبب فى عزلتها عن الآخرين.

يلينك تصف المشكلة ونتائجها الفظيعة المتوقعة فى مشهد العذاب بالترام: «لم تكن (البنت) عادية ولم تكن طفلة. وانساب البول ساخناً بين فخذيها متجهاً إلى أسفل (الاندفاع إلى أسفل) وأخذ يعض غضوباً

ولاذعاً فى سروال مشغول من الصوف فى البيت باحثاً بلا هوادة عن مخرج من بؤس يوم الأحد: فى أرضية عربة الترام المقلمة. نقطة، نقطة. وتهوى ذراعا الأم متأرجحتين من فوق لتحت، لضرب مبرح، ثم تصعدان من جديد إلى أعلى، مرة ثانية، رياضة توازن بدنية ماما العزيزة التى استجمت جيداً لتوها فى هذه الرحلة. صراخ مجنون من الطفلة الأنثى. «راينر» انكمش وتوارى بين جدّيْن عندما انهالت الصفعة الأولى، وتشبث كذوات المخالب فى حذاء غابة ڤيينا بقدم أحدهم. ... «أنّا» تقبع فى مستقعها الخاص، وقد اتسخت اتساخاً مقيتاً، وماما تسأل الأمهات الأخريات النصيحة فيما عليها أن تفعله مع البنت التى مازالت لا تتحكم فى بولها وتبلل ملابسها على الرغم من أنها كبيرة هكذا. اجعليها تتبول فى البيت قبل الخروج، هذا كل ما فى الأمر يا ناس؟ المرة القادمة، هه، عليك أن تتذكرى هذه النصيحة. وانتظرى إلى أن يعلم بابا بما حدث، عندئذ سيستأنف الضرب المبرح تواً. وعلى الرغم من أن بابا لم تعد له إلا رجل واحدة، إلا أن قوة ذراعيه التى أثبت فيما مضى مضاءها، لم تُصَب بشىء قط. نعم، حتى عندما تكون للإنسان ذراعان من هذا النوع، فإن تجهماته تحدث أثراً مضاعفاً. الزمى الآن السكون وإلا أخذتِ صفعة أخرى».

والنتيجة: «على حين غفلة من الجمع ضم التوءمان أيديهم متلصصين بعضها فى البعض الآخر وكشرا

عن أسنانهما اللبنية على نحو ڤامپيرى ينتقم بمص الدماء، انتظرى يا مامى حتى نكبر ونفعل بك مثل الذى فعلته بنا، أو أشد عنفاً.

و«أنّا» بنت موهوبة فى مجالات الفكر والأدب والفن وبخاصة الموسيقى الكلاسيكية ونوعياته الصعبة، وهى لهذا منعزلة نفسياً واجتماعياً عن مجتمعها المنزلى، وشريحتها العمرية، وتعانى من السخرية والاستهزاء. بينما تهتم «أنّا» بموسيقى «باخ» Bach تهتم زميلاتها بموسيقى «إلڤيس بريستلى» ويرقصن الرقص الأمريكى الحديث المهووس من قبيل الروك أند رول .

ومع ذلك قدم أولياء أمور الطالبات ضدها شكوى لأنها - مثل أخيها - تقول نكتاً قذرة مبتذلة. وسببت لها هذه الشكوى نوبات فقدان النطق. ثم إنها كانت تعانى من تقزز من الدم على سطح أبيض، وبخاصة الدم على قماش أبيض، فلم تعد تحتمل منظر ثوب أبيض ناصع البياض على جسم غريمتها، ثم على جسم أى إنسان.

وسعت إلى تعويض هذه السلبيات بالبراعة فى الموسيقى الصعبة وبالاهتمام بالقضايا الفكرية والفنية وبالانتقام من الناس. وتعاونت مع أخيها فى تكوين العصابة. البداية أو النواة تتمثل فى «راينر» و«أنا». المطلوب ضم «زوفى» و«هانس» أولاً «زوفى» «أنا» رأيها هو : لابد من أن يشحذ الإنسان فى «زوفى» المبرر كما

ينبغى سلفاً، لكى ترتكب جريمة أو عدة جرائم، لأنها بذاتها لا تعتقد أنها بحاجة لأن تجهد نفسها. كذلك ليس جميلاً أن تسهر بالليل وأن تقوم بأشياء تنفر من النور. ويتطلب الأمر منها أن تغالب نفسها حيث إنها فى هذا الوقت يمكنها أن تتمدد فى فراشها وتقرأ رواية بوليسية مثيرة.

بالنسبة إلى هانس: «أنّا» تقترح اجتذاب «هانس سيپ» الذى تعرفت إليه منذ وقت قليل فى حانة چاز فى قبو، هو الآخر ليرتكب معهم جريمة أو اثنتين. وترى أنه سيكون أداة مثالية وأن عليه أن يهجر شريحة العامل. الرأى العام يناسبه دائماً شخصٌ منعدم الحيلة نسبياً فى المصنع، فى المكتب، على هذا النحو أو غيره. «هانس» مكلف من قِبَل اتحاد «إيلين» أونيون «بأن يشتغل فى أعمال كهرباء الضغط العالى. وهو على ما يبدو دائماً فى خطر يتهدد حياته. التيار الكهربائى يحب أن يقتل، قتلاً نظيفاً مباغتاً مؤكداً. وهو لا ينذر مسبقاً، إنه يأتى من العدم. المُهان يرى فى مكتبه كثيرين يجرى عليهم مثل الذى يجرى عليه ولا يغيب تضامنه معهم. وهذا التضامن يعطيه بالتالى قوة لا ينبغى أن تكون له فى مجموعة «راينر»، لأن «راينر» هو بشكل نهائى القائد، فقد جاءته الفكرة هو شخصياً. ومهما يجول «هانس» ببصره فلا يجوز أن يظهر عاملٌ آخر مثله، وليس له إلا أن يرانا نحن فقط. إلام يصير؟ يصير متلقياً لرسائل، لتحذيرات، لأوامر، لعبارات تشجيع».

عرفت «أنّا» إذاً «هانس» العامل المفتول العضلات فى المرقص، وجندته فى العصابة الفوضوية وأحبته، بل جنت به. واشتركت معه ومع أخيها فى الاعتداءات.

ثم أصيبت بصدمة وبإحباط شديد عندما فضل «هانس» «زوفى» عليها. وعندما أهانت «زوفى» «راينر» وأنّا اشتد إحساسها بأنها مستبعدة وأنها لن يكون لها مكان فى هذا المجتمع. وفكرت فى السفر إلى أمريكا، بلد الاتساع واللامحدود، وسعت من أجل ذلك إلى الحصول على منحة للعام القادم.

عندما سمعت أنها لن تحصل على منحة أمريكا اسودت الدنيا فى وجهها وأحست بالموت يتملكها..

«زوفى» نمط من أنماط المرأة القدرية الفتاكة أوالشخصية المحيرة. تلميذة فى المدرسة فى فصل الماتورا مع «أنّا» «وراينر» بنت جميلة جداً، تبدو رقيقة حلوة، ثم تتحول إلى حالة خطيرة، فهى الغنية الأرستقراطية تنضم إلى العصابة الفوضوية التى كونها «راينر» لأنها تقززت من الناس، واشتركت فى الاعتداء بالضرب المبرح والسرقة. ولقد قررت أن تشترك فى الجرائم التى يخطط لها راينر بدافع التمرد على تعالى أمها، وبدافع التقزز المميت من التلاميذ ومن الحثالة حولها.

بل إنها تعلمت كيفية صناعة قنبلة يدوية وأرادت أن تستخدمها العصابة، فلما تردد الزملاء استخدمتها هى وحدها. زوفى تقول : «إننى أريد أن أبدأ تجربة

قياسية لأصل بأسرع ما يمكن إلى الحدود المرسومة لى، بأن أصنع على سبيل المثال قنبلة يدوية. وأنا أعرف وصفة تصنيعها توصلت إليها بأسئلة وجهتها لأمى المتخصصة علمياً فى الكيمياء. فى الهواء وقامت بالتنفيذ وحدها فى المدرسة». فى حجرة تغيير الملابس المؤدية إلى قاعة التمرينات الرياضية انفجرت قنبلة ذات مقبض تشغيل. كثير من الأحلام العصرية الجديدة لجيل ما بعد الحرب تبددت تماماً. فتبددت جونيلات كونى والبنطلونات الفلانيلة الرمادية والبلوڤينس والجوارب القصيرة والجوارب فوق الركبة والبلوڤرات والبلوزات والجاكتات البليزر والجونيلات الإسكتلندية المخيفة. وقد حرص المدبر على عدم إصابة أشخاص، حتى لا يراه أحد. وليس من الممكن العثور على شخص يأخذ على عاتقه مسئولية هذا العمل الإجرامى. «زوفى» نقلت القنبلة فى حقيبة التنس الخاصة بها. وناظر المدرسة رآها وحيّاها ولم يشك فيها. فليس هناك من يخطر بباله احتمال أن تكون قادرة على ارتكاب مثل هذه الفعلة.

وهى قد تركت «راينر» و«هانس» يتقربان منها، ويظن كل منهما أنها تحبه، ثم أبعدتهما عنها بصلافة، وحطمت آمالهما. كما حطمت آمال «أنّا» ولا شك فى أن علاقة «راينر» بها عجلت بارتكابه الجريمة الدموية الشنعاء.

وقد صارحت «راينر» أكثر من مرة برأيها فيه وجردته أمام نفسه: إنه أنانى لا يفكر إلا فى

مصلحته، وإنه جبان يستغل الآخرين بشطارته فى الكلام والتظاهر، وقدرته القاهرة على غسيل مخ أصحاب العضلات، وقالت له إنه لم يحقق أى فكر ثورى وإنه يشترى بالفلوس المنهوبة حاجيات حلوة لنفسه.

«زوفى» تفكر نادراً جداً فى الحب، ولكنها كثيراً ما تفكر فى الرياضة البدنية. وظلت وقتاً طويلاً ترى أن البنت الرياضية عليها ألا تفكر فى شىء آخر.

ثم نشأت لديها رغبة فى ممارسة الفوضوية لتظهر تفوقها على الآخرين واللعب بعواطفهم. وقد رسمت لحياتها المهنية طريقا يبدأ بالدراسة فى سويسرا والتخصص فى المال والبورصة.

زوفى تتستر وراء ظاهرها الناعم لممارسة نزعاتها الفظيعة. «راينر» و«هانس» يريدان التهامها، والوصول بأرخص الوسائل إلى ارستقراطيتها، وهى تفتك بهم دون ما رحمة، وتختار المكان والوقت المناسبين.

شعرت بتحولات غريبة فى داخلها نتيجة مخالطتها «راينر» .تنظر إلى صورها الجميلة فى طفولتها. الانطباع الذى تحدثه جمالى بدرجة جنونية. وهى تحب أن تتأمل هذه الصور، فمنها ينبعث انسجامٌ ضاع منها على نحو ما، لا تعلم أين، ولكنها لا تبحث عنه، لأنها فى الفترة الأخيرة تراودها حاجة خفية إلى القذارة، وتعمل على أن ترضى هذه الحاجة بأسلوب

رفيع، على عكس الخنزير الصغير «راينر» الذى لا ينتج إلا القذارة. فهو بلا قيمة فى نظرها، وترى أن عليه أن يتقلب فى القذارة إلى النهاية.

أبو «راينر» يشده جمال صديقة ابنه ويقول لها : «هذا شىء ظريف لأنها بنت أمّورة من النوع الذى كان فيما مضى ملك يمينه ولم يعد يتاح له الآن إلا أحياناً لأن وقته بحكم الوظيفة ضيق».

أما أمه فتلتهم بعينيها تفصيلة فستان بعد الظهر الذى تلبسه «زوفى» هل يا ترى تستطيع ماكينة خياطتها أن تحيك مثل هذه الأعجوبة من الشيفون أم هل هى من الأورجاندى؟ ليس فيها فتلة صناعية.

«زوفى» تنفض عن نفسها كل شىء وتخرج نهائياً بل رجعة و«تخلف وراءها فراغين، أحدهما فى «هانس» والآخر فى «راينر»، ولكنها لا تحس بهما».

«هانس» عامل شدته إغراءات المال والمتعة واحتمالات الصعود السريع. وهو نمط الابن المتنكر لتراث أسرته فى الكفاح الوطنى من أجل الوطن وقضية العمال والديمقراطية الاجتماعية. أبوه مات ضحية والأم ظلت وفية، أما الابن فيحلم بالحصول على قطعة من كعكة المعجزة الاقتصادية.

لم يعد الحوار بينه وبين أمه ممكناً. عندما ترى حاله «تتردى فى قمع أسود من الصمت، تضىء على جداره الأملس المتجانس المنحنى أحيانا صورة زوجها القتيل، كونى شجاعة، إننى أموت إذا لم يكن من الموت

بدٌّ، من أجل الديمقراطية الاجتماعية، من أجل قضية العمال، فالاثنان شيء واحد، الديمقراطية الاجتماعية وقضية العمال، والعمال سيعترفون بما قدمته وسيوفوننى أجرى. لن ينسونى هناك أبداً، وسأستمر حياً فى ابنى. فكونى إذًا هادئة كل الهدوء. إننى بمعنىً معيّن أموت من أجل النمسا قاطبة، التى أنت جزء ضئيل منها، ولكنه جزء حبيب، وما من أحد (باستثناء الشيوعيين) يعترف لها بأحقية الوجود. وبما يشبه أن يكون التصوير البطىء ترى الأم جلاميد الصخر الثقال.. وفى ماوتهاوزنر.. عندما قامت بالفتك بالمعتقلين الواهنين الخائرين».

فى الشقة الضيقة يعيش «هانس» وأمه فى ضنك من أثر الجوع والمعاناة والظلم. يخيم على جو الأسرة التى تتكون من الأم والابن شبح التناقض بين التمسك بالمبادئ النضالية ويسن جاذبية الإغراءات فى سنوات ما بعد الحرب. رأس المال مسئول عن انحراف الابن.

رجال الأعمال الباحثون عن الثراء السريع أغروا الناس بالمعجزة الاقتصادية التى تسيل لعاب المحرومين وتحركهم كالدمى. تصف «يلينك الوضع بقولها: «وسُمح لمعجزة اقتصادية أن تدخل دون أن يعوقها عائق (تعبير معجزة اقتصادية تعبير ألمانى ظهرت علاماته فى أفلام عديدة متمثلةً فى مناضد كُلَوية الشكل وبارات منزلية وفى نساء كثيرات شقراوات سمينات رفعت نهودهن البضة إلى أعلى

بدعامات معدنية). والناس يستقبلون المعجزة الاقتصادية بصيحات الترحيب. ولا يزال هناك أناس لم يدخل إليهم شيء على الإطلاق، وعلى وجه الخصوص لم تدخل إليهم معجزة. وما زالوا يفتحون بابهم فلا يدخل شيء، إلا برد من الخارج. وإلى هؤلاء المحرومين تنتمى السيدة أم «هانس سيب».

هانس لم يتعلم التفكير النقدى المتعمق، فهو عجينة سهلة التشكيل، أو هو «آلة عديمة الروح تعدم أرواح الآخرين أيضاً. هكذاهو بالضبط فى رأى الأخوين: «راينر» و«أنّا» يريانه مثل الآلة. وقد ظلت «أنّا» طوال الوقت ترى أن هذه الآلة جميلة، ولن تلبث «زوفى» أن تراه فى هذه الصورة كذلك. ومن الممكن أن تكون فى ذلك جرثومةُ شَجَناء. قبضات «هانس» تنزل كالمطارق ولا تعلو إلا لتستمد عزماً جديداً.

«راينر» المفكر الفنان المتمرد يعرف سر صناعة العنف» «راينر» يقول إن الإنسان يستطيع أيضاً أن يمتلك إنساناً. ولابد لتحقيق ذلك من أن يكون أكثر علماً منه فيعترف به حجةً فى الموضوع. على سبيل المثال «هانس» العامل الشاب الذى تعرّفا إليه فى مرقص چاز . «راينر» سيشرح له كل شيء إلى أن يتحول إلى أداة بلا إرادة».

«هانس» يتصور نفسه وهو ينظر إلى ثمار الطبيعة من خضراوات وفاكهة إنساناً غارقاً فى الطبيعة. يقول لنفسه: من المؤكد أن «أنّا» و«راينر» قد يقارنان هذه

الأشـيـاء بشىء يعـرفـانه من فن الشـعـر المصطنع والمتكلف. أما أنا فالطبيعة أشد قرباً منى، فأنا أعيش على نبض الزمن. إننى أدع الأمــــور تجىء وتروح، وأدخلهـا فىّ ثم أخـرجـهـا منى بعـد ذلك.، أنا لم يفسدنى الفن والأدب بعد».

الأب هو الشـخـصـيـة المحورية المقـابلة لـ «راينر» والتى تضع يلينك فى رسـمـهـا كل السمـات القـمـيئـة شكلاً وموضوعاً. فهو بالنسبة إلى «راينر» و «أنّـــا» المتسبب فى استبعادهما وفى تحولهما الرهيب، وفى نشوء وتطور العـصـابة، وفى الجـرائم التى ارتكبت ثم فى الجريمة البشعة النهائية.

«أوتوفيتكوفسكى» من بقايا مجرمى النازية، وهو لا أخلاقى يتهم زوجته بالعهر، ويصورها صوراً إباحية يبيعها إلى الفجار الذين يتهافتون على هذا اللون من الصور الرخيصة.

كـــان نازياً وظل نازياً. فى سنوات التـسلط كـــان ضابطاً وقاتلاً وآمراً وناهياً، وكان يتمتع بجسم كامل الأعضاء، وبجاذبية، فلما عاد إلى الوطن كان جسمه قد تشوه، ونقص ساقاً، ولم يجد عملاً ، فاشتغل بواباً ليلياً فى فندق، واحـتـرف تصـوير زوجـتـه فى صـور إباحية عرف كيف يروجها. واستبد به جنون القوة، وذكرى البطش القاتل، والتمع بالظلم والألم، إلى زوج فاجر، وأب معتوه.

تصفه يلينك قائلة: «أما أن السيد «فيتكوفسكى» فى الماضى والحاضر يمثل الحزب النازى الذى يعلم

علم اليقين من فيه ومن الذى يمثله هذا الشخص بالذات، فأمر بديهى لأن هذا الحزب كبّره حتى نما فوق ذاته خارجه. وما كان أحد غير الحزب النازى ليكبّره، وهو اليوم يكبّر صوره الفوتوغرافية الجميلة. وهو لا يحرص على خير الفرد فحسب بل أيضاً على خير المجموع الذى يشمله بنظرته. ولما كان دائماً يفكر فى أنه يمثل مجموعة كاملة ولا يمثل نفسه فقط فى وقت فراغه، فإنه يتصرف دائماً تبعاً لذلك. وهو يقدم المثل على ذلك.

وهو بسلوكه المشين وفكره المنحرف مسئول عن انحراف ابنه، وضياع ابنته. «عاد السيد «فيتكوفسكى» من الحرب بساق واحدة ولكنه كان منتصب القامة، أما فى الحرب فكان أكثر مما هو اليوم، فقد كان سليماً بلا عاهة، وكان بساقين، وكان فى الـ «إس إس» (فيلق الحماية أى فيلق حماية أمن الدولة أيام النازية). نفس الإلحاح الذى استخدمه فيما مضى فى اختيار مهنته، لجأ إليه اليوم فى هوايته التى لا تعرف لها حدوداً: التصوير الفوتوغرافى الفنى. غرماؤه فى الماضى تبخروا من خلال مداخن ومحارق أوشفيتس Auschwitz وتريبلينكا Treblinka أو غطوا الأراضى السلافية. الحدود الضيقة المتعنتة التى فرضت اليوم على ألمانيا يتجاوزها والد «راينر» كل يوم من جديد عندما يلتقط صوراً فوتوغرافية فنية. مثل هذه الحدود لا يعرفها إلا المحدود الأفق فى حياته الخاصة، وتتمثل هذه

الحدود بالنسبة إلى التصوير الفوتوغرافى فى الملابس، و«فيتكوفسكى» الأب ينسف قيود الملابس والأخلاق. ولقد فهمت الأم دونما ريث ممن ورث ابنها اندفاعه هذا نحو أن يكون فناناً: من الأب. كانت للأب عين هواية فنية. اخلعى ملابسك يا مرجريته، لنعمل صورة أو عدة صور إباحية. أأخلع ملابسى مرة ثانية بهذه السرعة، ويخطر هذا الخاطر دائماً ببالك وأنا مشغولة بالتنظيف. مَن الذى ينفق على العائلة، إن لم أقم أنا بذلك، أنا بالنهار من أرباب معاشات مشوهى الحرب، وبالليل بواب. وهوايتى التصوير الفوتوغرافى الإباحى هى كل ما بقى وهو يستخدم فى الضرب غالباً براطيش منزلية قديمة يمكن رميها بعد الاستخدام. بدأ هذا الضرب المبرح بحسب ادعاء المدعين فى نفس اليوم الذى انتهت الحرب العالمية فيه بالهزيمة، لأن الأب كان قبل ذلك ينهال بالضرب المبرح على أجانب فى صور وأشكال متغيرة، ولم يعد لديه الآن على الدوام من بديل إلا الأم والأولاد. ولقد طارد بشراً وأغرقهم فى المستنقعات فلقوا حتفهم بسرعة، وهذه أشياء موثقة. من هذه الناحية حظه أسود كالزفت حيث إن آخرين ممن فعلوا نفس فعلته علت أسهمهم أما هو فلا.

الأم كانت مُدرسة ذات فهم فى الثقافة والموسيقى. تحملت المسئولية، والعمل فى البيت، والخياطة ولقمة العيش. رضيت مرغمة بالاستغلال وبأن يصورها عارية ويضربها.

ولقد تصورت الأم أنها بصبرها هذا حتى يتم «راينر» و «أنّا» تعليمهما ويشقا طريقهما بنجاح فى الحياة تُحسن صنعاً وتقدم لهما بهذه التضحية غير المحدودة أقصى ما تستطيع أم. ولعلها فكرت فى احتمالات بديلة فلم تجد، اللهم أن ترفض فتتشتت الأسرة، ويجرى عليها وعلى الأولاد ما هو أسوأ.

ولكنها لم تحسب حساب الأسوأ ألا وهو أثر إذلال الأب لها فى إشعال ثورة داخلية جنونية فى الأولاد. فقدت صورة الأم فى نظر الأولاد احترامها، وأصبحت لا شىء. وكأنها هربت من الفشل المحتوم كأم إلى لعب دور الشهيدة فى عالم لا يعرف الشهداء. فى الليلة الأخيرة التى شهدت الجريمة الشنعاء، سمعها «راينر» و«أنّا» تتوسل إلى الأب ألا يستخدم فى هذه الليلة أدوات وأساليب التعذيب الرهيبة لأنها تؤلمها. فيقول متندراً، إنه سينعم التفكير فى هذا الموضوع ، ولكنه سيضربها أكثر مما كان ينوى.

وختاماً

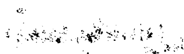
رواية «المستبعدون» غنية بالتأملات فى المعرفة والعمل والنضج والحرية، نقرأ فيها مثلاً: «المعرفة لا العمل هى التى تجعل الإنسان حراً فى هذا الزمن الجديد. ونحن لا نريد أن نعمل، وبخاصة العمل اليدوى، لا. وكثيراً ما يكون هؤلاء الشباب، الذين لا يريدون إلا الرقص والاستماع إلى موسيقى الجاز،

بعيدين أشد البعد عن النضج، بحيث لا يستطيعون التعامل مع الحرية، ولهذا تنتزع منهم مرة أخرى.

وكل شـاب من زمـلاء «راينـر» و«أنّـا» و«زوفـى» فى المدرسـة ومن على شـاكلتهم لـه قـصـتـه الموازيـة، وله تجاربه التى لم تتسع لها الرواية، وهم لم يقفوا دائماً مكتـوفـى الأيدى فى خـضـم المأسـاة، حـيـال بطلهـا الوهمى الضـائع. تقول عنه يلينك إنه «لا يمثّل أحـداً ولا أحـد يريد منه أن يمـثله، ولا حـتى فـصله الذى انتخب متحدثاً آخر باسمه على الرغم من أن «راينر» فيتكوفسكى بذل جهداً جهيداً فى الفوز بالانتخاب. وقـال تلاميـذ الفصل إنه مـدّع فـشـار يريد أن يظهـر أكثر مما هو وإنه دائمـاً يقـول أشـيـاء غـيـر صـادقـة. وليس هـذا من الزمـالة فى شىء حـيـال الآخـرين؛ لأن على الإنسـان أن يكون صـادقـاً حـتى وإن آلمه ذلك أو تعـرض للضـرب بسـبـبـه. مـثل هذا الضـرب ينبـغى أن يتحمله الإنسان باعتزاز لأنه لم يقل كذباً لينجو بنفسه منه.

مصطفى ماهر

المستبعدون



ذات ليـــلة (١)فى أواخر خمسينيات القرن العشرين حدثت فى الحديقة العامة بفيينا حادثة اعتداء وسرقة. فقد اشتبك الأشخاص المذكورون فيما يلى برجل كان يتنزه، هؤلاء الأشخاص هم: «راينر ماريا فيتكوفسكى» Rainer Maria Witkowski (٢) وأخته التوءم «أنّا» فيتكوفسكى Anna Witkowski و«زوفى پاخهوفن Sophie Pachhofen» التى كان اسمها من قبل «فون پاخهوفن von Pachhofen» (٣) و«هانس سيپ Hans Sepp» راينر سُمى بهذا الاسم تيمناً بـ

(١) يلاحظ القارئ أن يلينك تغيير طول ما يعرف فى فن الطباع باسم «البياضة» قبل الفقرات فهى تارة منعدمة، وتارة ١١ مسافة وتارة ٢٣ مسافة، وهو ما سنحاول الأخذ به فى توضيب الصفحات (المترجم).

(٢) راينر ماريا اسم الشاعر الألمانى الشهير ريلكه الذى كان مقرباً من الأوساط الأرستقراطية (المترجم)

(٣) «فون» تدل أصلاً على الانتماء إلى طبقة النبلاء أصحاب الإقطاعيات، وكانت إقطاعياتهم تذكر أسماؤها، وهى أسماء أماكن، بعد كلمة «فون» ثم أصبحت أيضاً تدل على من ادخلهم القيصر =

«راينر» ماريا ريلكه أعمارهم حول الثمانى عشرة؛ هانس سيب يكبر الآخرين بعدة أعوام ولكنه مثلهم يعوزه النضج من أى نوع كان. من بين البنتين - «أنّا» و«زوفى» تتسم «أنّا» بشراسة أعنف وتلك سمة تظهر فى أنها قبل كل شىء آخر تتصدى للمعتدى عليه من شطره الأمامى. فمواجهة إنسان (*) ينظر إلى المهاجم من أمام (وإن لم يكن يستطيع أن يرى شيئاً كثيراً فى الظلمة الحالكة) وخدش وجهه بعنف مع التركيز على عينيه يحتاج إلى قدر فائق من الشجاعة. فالعينان مرآة الروح التى يُفترض أن تظل قدر الطاقة سليمة بلا عوار. وإلا ظن الظانون أن الروح زهقت.

= الألمانى فى طبقة النبلاء فتوضع قبل أسماء عائلاتهم وربما كانت هذا الأسماء شاهدة على الأصل الوضيع أو البسيط أو الفلاحى، كما هى الحال هنا، «باخهوفن».، وتشير بإملائها إلى شريحة شعبية. وبعد انتهاء الحكم الإمبراطورى وتزايد المد الديمقراطى، محا بعض النبلاء «فون» من أسمائهم تلميحاً إلى قبول مبدأ المساواة الاجتماعى، وتمسك بها البعض عن تعالٍ. أما تنازل المتطفلين الوضيعين عن «فون» هنا فتلميح ساخر من يلينك. (المترجم).

(*) فى السجل اللغوى للكاتبة تتكرر كلمة man وهو ضمير غير شخصى غير محدد قد يدل على شخص ما يمكن أن نستدل عليه من السياق، وقد يعنى أى إنسان مثل قولنا: أحدهم والواحد والإنسان، وهى تستخدم هذه الكلمة التى تعنى المبنى للمجهول حتى وهى تعنى شخصاً محدداً تعرفه، ويمكن أن يستنتجه القارئ من السياق، ولكنها تريد أن تشدد على أن الإنسان كثيراً ما يكون مجهولاً أو غير محدد، حتى إن المتكلم يقول الواحد أو الإنسان بدلاً من أن يقول أنا. (المترجم).

كان الأحرى بـ «أنّا» أن تترك هذا الإنسان بالذات وشأنه لأن خُلُقه أفضل من خلقها. فهو ضحية. أما «أنّا» فهى جانية. والضحية تعتبر دائماً أفضل لأنها بريئة. إلا أن هذا الزمن لا يزال يغص بالكثير من الجناة الأبرياء. هؤلاء الجناة الأبرياء يطلون ودودين ممتلئين بذكريات الحرب من فوق جلسات نوافذ مزدانة بالزهور على الجمهور، فيلوّحون بأيديهم أو يشغَلون مناصب رفيعة. وبين هؤلاء وأولئك زهور الجارونيا. ومن قائل إن كل شىء لابد من أن ينتهى فى النهاية إلى غفرانٍ ونسيان، حتى يستطيع الناس أن يبدءوا بداية جديدة تماماً.

فيما بعد سيعرف الناس، إذ يصبحون دائماً أكثر فطنة، أن الضحية كان مدير إدارة له حق التوقيع فى شركة متوسطة. ولقد كان الضحية ينعم بالعناية أكمل العناية فى بيت يحيط فيه التدبير الدقيق فيه بكل صغيرة وكبيرة، وذلك شىء كانت «أنّا» تخصه بالمقت أخص المقت. النظافةُ ضد طبيعتها القذرة النتنة، ما ظهر منها وما بطن.

يستولى الشباب على حافظة نقود الرجل. ولكنهم على الرغم من ذلك يضربونه ببشاعةٍ.

«أنّا» تنقض عليه بضربات عنيفة وتفكر: ما أطيب أن أستطيع أخيراً أن أفرغ كراهيتى الشديدة فى أى موضع دون أن يكون علىّ أن أوجهها إلى ذاتى حيث

تكون فى الموضع الخاطئ. من الخير أيضاً أن أحقق لنفسى ثراءً. عسى أن يكون فى حافظة النقود مال كثير (كان ما بها على الأحرى متوسطاً). كذلك سدد «هانس» لكمات إلى الأَمام بقبضتيه المعتادتين العمل اليدوى. وقد اقتصر باعتباره رجلاً على أشكال رَجُلَةٍ من العنف، بين لكمات وخبطات خبيثة بالدماغ (من قبيل نطح الجديان)؛ أما ركلة قصبة الساق التى طوقت شهرتها النكراء آفاق البلاد طولاً وعرضاً فقد ترك أمرَ تسديدها لـ «زوفى» التى كررتها مرارًا فى حركات مثل حركات كَبّاسَى محركٍ معَقدٍ يتناوبان الطلوع والنزول. كــان المنظر يلوح كــأنكِ لم تكونى تريدين توسيخ أصابع يديك فوكلت المهمة لقدميك، هذا ما قاله لها «راينر» من بَعد ثم طوقها بذراعيه فى حنان. إلا أنه سرعان ما طار بعيداً عنها بصرخة مسمومة مكبوتة إذ ركلته فى صابونة ركبته. لم تكن تريد هذا الذى فعله بها.

«راينر» الذى يعتبر نفسه صديق «زوفى» الأوحد (ولذلك طوقها بذراعيه) يقلِّب ثنايا ملابس الضحية شداً وجذباً بحثاً عن حافظة النقود فلا يعثر عليها تواً (ولكنه يجدها ويستولى عليها). ثم يضرب الرجل الذى لا يكاد يستطيع أن يدافع عن نفسه ضربةً بركبته فى بطنه تؤدى إلى صوت قرقرة ثم إلى شىء من بلغم يسيل من فمه. لم ير أحد دماً لأن الظلمة كانت حالكة.

هذه فظاعة ضد إنسان أعزل ، ما لها لهذا السبب من ضـرورة، هذا مـا تقـوله «زوفى» وتجـر الأشـعث الراقد على الأرض من شعره فتقتلعه لا أكثر ولا أقل.

يقـول «راينـر» الذى لا يزال يـريد الاستـمرار فى العراك: أفضل شىء هو بالذات ما لا ضرورة له. هذا هو مـا اتفـقنا عليـه. مـا لا ضـرورة له هو بالذات : المبدأ. أما أنا فأرى أن ما ضرورة له هو الأفضل، هذا مـا يقـوله «هانس» الذى يحب المال على نحـو يثـيـر العجب، ويحملق فى حافظة النقود. المال لا أهمية له، هكذا يتكلم «راينر» وهو يبصق على حـافظة النقـود متسائلاً، ما رأيك، هل بداخلها أوراق من فئة المائة أم من فئة الألف؟

المال ليس مـبـدأنا، هكذا تكلمت «زوفى» على طريقة البث التليفزيونى، فوالداها يملكان الكثير جداً من المال، وهى من منكوبى الرفاهية.

«هانس» يستـمر وهو يتصبب عرقاً فى دشـدشـة الضحية وكأنه آلة عديمة الروح تعدم أرواح الآخرين أيضـاً. هكذا هو بالضـبط فى رأى الأخوين: «راينر» و«أنّا» يريانه مثل الآلة. وقد ظلت «أنّا» طوال الوقت ترى أن هذه الآلة جـمـيلة، ولن تلبث «زوفى» أن تراه على هذه الصورة كذلك. ومن الممكن أن تكون فى ذلك جرثومةُ شَحْناء. قبضات «هانس» تنزل كالمطارق ولا تعلو إلا لتستمد عزماً جديداً. الضحية تتأوه بجرْس خفـيض، ولا تكاد تجد بقية من قوة للتأوه. وللفظة: بوليس. ولكن ليس هناك من يسمع. لذلك تشـعـر

«أنّا» بدافع يدفعها إلى أن تركله فى خصيتيه، لأنها من ناحية المبدأ ضد البوليس، وهذه هى دائماً حال الفوضويين. الرجل يصمت مفزوعاً، وينطوى على نفسه، ويتأرجح قليلاً إلى أن يرقد فى النهاية ساكناً. أما هُم فقد استولوا على النقود من قبل.

«أنّا» تلتقط «هانس» وهو يسدد حواليه ضربات متوالية فتبعده عن المدير وتجره إلى الفرار. فهذه أصوات أناس يتنزهون تتناهى إلى الأسماع. ماذا يفعل هؤلاء الناس فى هذا الوقت المتأخر؟ سيجرى عليهم ذات يوم ما جرى على هذا الرجل.

يخرج من أفواه تلاميذ المدرسة الثانوية «راينر» و«أنّا» و«زوفى» والعامل «هانس» صوت صفير عندما يدلفون كالخيول اللاهثة فى حارة يوهانيسجاسّة (١) وما يبلغون واجهة معهد الموسيقى كونسرفاتوار مدينة فيينا (حيث تتعلم «أنّا» العزف عن البيانو) الذى لا ينبعث منه إلا حفيف آلات وترية وآلات نفخ، حتى تحدث حركتهم من جانبها كذلك حفيفاً متخافتاً. السيادة فى هذا الوقت بالذات لبروفات أوركسترالية من المألوف دائماً أن تجرى فى ساعة متأخرة حتى يتاح لأصحاب المهن أن يشاركوا فيها. أحسن شىء الآن أن نندس فى شارع كيرنترشتراسه (٢) بمـــروره

---

(١) حارة يوهانيسجاسّة Johannesgasse وكلمة حارة تستخدم فى النمسا أيضاً للدلالة على الشوارع. (المترجم).

(٢) كيرنترشتراسه Kärntnerstraße شارع رئيسى متميز يحفل بالمحلات الثرية البديعة المثيرة فى فيينا يعج بالحركة. (المترجم).

الصاخب (*)، هكذا تتكلم «زوفى» بصوت كالحشرجة، لكى نستطيع التوارى فى زخم سُمّار الليل الحاشد (الذين يجدهم الإنسان هناك). ولن نستطيع أن نتوارى فى جمع واحد، لأننا نبرز ظاهرين من الزخم الحاشد مهما كنا «أنّا» وما ينبغى لنا أن نتوارى، بل علينا أن نعمل عملنا فى العلن، لأننا بظهورنا نقر بمبادئنا القائمة على استخدام العنف ضد كل إنسان دون اختيار«راينر» «أنت يا أحمق«هانس».

«أنّا» لا تقول شيئاً بعد ما قالته بل تلعق غارقة فى الفكر ملْحاً من عَرَق الضحية ودماً من الخدوش التى أحدثتها الضحية فى يدها اليمنى، اليد الضاربة، وقد حبا «راينر» فعلة «أنّا» بنظرة مادحة، وشعرت «زوفى» حيالها بشىء من التقزز ووجد فيها «هانس» ما دفعه إلى تقريعها. أنت يا خنزءورة.

«أنّا» فى باطنها غيظ كثير، يبدو أنه نجم عن صراع الأجيال، يملك عليها نفسها حتى إن أحب شىء تتمناه هو أن تحطم زجاج نوافذ العرض البديعة المضاءة فى شارع ڤيينا التجارى الرائع. أما ما وراء هذه الألواح الزجاجية فكانت تتمنى بجنون أن يكون لها، ولكن مصروف جيبها لا يكفى. ولهذا يتحتم على الإنسان أن يكسب بهذه الطريقة دخلاً إضافياً. إنها

(*) لا تضع يلينك في أغلب المواضع علامات تنصيص لتحديد الكلام المباشر بل تتركه يختلط بكلام السرد، وقد تذكر بعده أن فلاناً قالها أو تضع اسم القائل بين قوسين أو تضع نقطتين. (المترجم).

تتلوى من فـرط الحسـد عندمـا ترى تلمـيـذة من زميلاتها ترتدى تاييراً جديداً ببلوزة بيضاء أو حذاءً جديداً بكعب عال. أمـا ما تقوله بفمهـا تعليقـاً على ذلك فهو: إننى أتقيأ لا محالة على الفور عندما أرى مثل هؤلاء البنات المتبـرجات المدندشـات. إنهن بهـذه الهلاهيل القـميئـة السخيفـة بنات سطحيات مخهن فـارغ خـاو. بينمـا هى على العكس منهن لا تلبس إلا بنطلونات چينس قذرة وپلوڤرات رجالية مهرولة لكى يتخذ موقفها الباطنى تعبيراً ظاهرياً. المعالج النفسى الذى يتحتم عليها أن تلجأ إليه بسبب حالة فقدان القدرة على الكلام التى تعتريها على فترات (تصيبها ثم تتلاشى دون أن تخلف أثراً) يسألها دائماً: قولى لى يا صغيرتى، لماذا لا تلبسين ثياباً جميلة، وتصففين شعرك فى خصائل ملفوفة، لأنك مبدئياً بنت جميلة والأحرى بك أن تذهبى إلى مدرسـة تعلمك الرقص. انظرى، كيف تأتين بهـيئـة رثة، أىُّ ولدٍ يراك يفـزع منك.

أما «أنّـا» فهى من جانبها تفزع (*) من كل شىء.

لا يهم. عن هؤلاء المرحين هنا، الذين يبحثون عن متعة ليلية ولا يجدونها فى أكثر الأحيان، لأن هذه المدينة غير مـلائمـة لذلك، يختلف هؤلاء الشبـان

(*) نلاحظ أن يلينك العليمـة بتقنيات الزخرفة الموسيقية تلتقط بطريقة معروفة فى التأليف الموسيقى كلمة مهمة من الجملة السابقة (يفزع، تفزع) وتكررها فى الجملة التالية بقليل من التحوير، وخاصة عند الانتقال من فقرة إلى فقرة. (المترجم)

الأربعة المنحلون كل الاختلاف. علماً بأن الشبابَ فى غير هذه الحال خاصيتُهُ النضارة، أما هذا الشباب فلا. عندما يرفضون النضارة عن وعى، فلا يستطيع الإنسان أن يفعل شيئاً. لم يعودوا يبحثون عن المتعة، فقد حصلوا عليها من قبل. ولكى لا يلفت منظرُهم الأنظارَ تَحوَّل جريُهُم فى نهاية المطاف بإرادتهم إلى سير على الأقدام لا يثير شكاً أو ريبة. «راينر» يتأبط «زوفى» التى تعمل على إصلاح تصفيفة شعرها وهى تنظر إلى نفسها فى الألواح الزجاجية المعتمة يميناً ويساراً. لا تزال «زوفى» تحدث انطباعاً بالبراءة كل البراءة، وهى فعلاً وشكلاً بريئة كل البراءة، بل إنها تبدو أيضاً على العموم وعلى الدوام كأنها تلبس دائماً قفازاً أبيض. وهذا شىء يفتن أى رجل، ولكنه لا يرضيه أبداً. ولهذا جرى التدبير لمثل هذه الاعتداءات لأن «زوفى» لا تُرضى أحداً من الرجال. ولكن هناك أسبابًا أخرى كثيرة. ذلك أن «راينر» يغلب عليه أن يكون مخ العصابة ، و«هانس» يغلب عليه أن يكون يديها، أما «زوفى» فيغلب عليها أن تكون من قبيل البصّاصة (*)، و«أنّا» بها حنق على الناس جميعاً، وهو شىء سيئ لأنه يعتم الرؤية ويوصد السبيل. و«أنّا»على أية حال وبغض النظر عن هذا لا تسلك

(*) الكلمة فى الأصل Voyeurin مؤنث Voyeur نقلاً عن الفرنسية، وتعنى تحديداً من ينظر متلصصاً إلى ممارسات جنسية يقوم بها آخرون ويجد فيها عن عجز متعة؛ وقد تستخدم للدلالة على من يجد متعة فى النظر إلى ما لا يجرؤ على فعله. (المترجم).

السبيل إلى الأشياء الجميلة الموجودة على هذا النحو إلا قليلا، لأن الإنسان عليه أن يشتريها بنقود. و«أنّا» لا تعرف أن الإنسان لا يستطيع أن يشترى لنفسه قيمة باطنية، وهذه القيمة للأسف فى الباطن بطبيعة الحال، ولا أحد يراها. و«أنّا» تريد كذلك أشياء ظاهرية ولكنها لا تبوح بذلك صراحة. لا ينبغى أن ينهال الإنسان ضرباً على أناس بدافع الكراهية، بل لابد من أن يفعل ذلك بدون سبب، فيكون الضرب هدفاً لذاته، على حد تنبيه الأخ «راينر» إياها. المهم أن أضرب ضرباً مبرحاً، سواء بغضب أو بغير غضب «أنّا» أنت لم تفهمى شيئاً من كل ما قلت، هكذا يكلمها «راينر» عن إحساس بالتفوق.

(هانس) بهذا التعبير الهابط يريد أن يقول إنه مزق قميصه. وهو ما سيؤدى إلى ثورة المرأة العجوز (*) علىّ مرة أخرى. «أنّا» تقول، حالاً نقسم النقود بيننا فى مدخل بناء مظلم، وغداً تشترى لنفسك من فورك قميصاً جديداً.

«راينر» يكره والديه، ويخشاهما أيضاً. هما أنجباه ويقومان على معاشه الآن بينما هو يتسلى بفن الشعر. الخشية تنتمى إلى الكراهية («أنّا» التى قد يمكنها أن تحصل على الدكتوراه فى موضوعات الكراهية)، ولو لم يكن الإنسان يخشى شيئاً لكان فى استطاعته أن

(*) تعنى فى اللغة الهابطة : الأم. (المترجم).

يوفر على نفسه الكراهية وإذا بالبلادة الفجة تفرض نفسها عليه. والأفضل فى هذه الحالة أن يموت الإنسان مباشرة. وأدعياء النعمة لا يعرفون مثل هذه الكراهية. لولا الأحاسيس القوية لكُنّا أشياء أو لأصبحنا موتى، ونحن نموت فى وقت مبكر بما فيه الكفاية. وأنا أحب الفن فى أغلب أشكاله.

«زوفى» تقول أنا لا أكره شيئاً، لأننى لا أجد فى حياتى شيئاً يستحق الكره. الإحساس الوحيد المتاح لكِ هو حبك إياى، هذا ما يقوله «راينر» عندما نخرم بأصابعنا معاً عين ضحية، فإننا نرتبط نتيجة لهذا برباط أوثق مما قد يحدث فى الزواج. ونحن أساساً ضد الزواج.

لابد أن أذهب الآن، هذا ما تقوله «زوفى» التى تضطر دائماً إلى الذهاب إلى مكان ما (*) .

لا ينبغى لك أن تتركينى الآن وحدى، لأننى الآن بحاجة إلى شخص أستطيع أن أشرح له كل شىء، هذا ما يقوله «راينر» ولكنك لديك شخصان آخران موجودان ، هذا ما تقوله «زوفى» دون تأثر وجدانى بهذه التباريح، يمكنك أن تشرح لهما كل شىء. لابد أن أذهب إلى البيت الآن. ونصيبك؟ تعطينى إياه غداً فى

(*) تعبير ملفوف يعنى الذهاب لقضاء الحاجة. وهذا السجل اللغوى يتباين بحسب اللغات واللهجات، ففى العامية المصرية يعمل زى الناس، وربما قال البعض رايح أحاسب القاضى إلخ. وفى الألمانية : يتحتم علىّ، اذهب إلى مكان ما، الف حول الركن أو الناصية، أذهب إلى البيت الصغير إلخ. (المترجم).

المدرسة. «هانس» يسارع من فوره بمد مخلبين نحو النقود، وخط من اللعاب يتدلى من ركن فمه دلالة خفية على النهم. ثم يقول «راينر» بعد ذلك، نعم نعم، حالاً.

عندما تضرب أحداً ضرباً مبرحاً، فإن ما تفعله يناسبك تماماً، هكذا تتملق «أنّا» العامل الشاب تملقاً رخيصاً وتمسح بيدها على عضلات عضديه مسحاً ما كانت أمه لتفعله قط، وهو ما لم يخطر ببالها على أية حال قط. في هذه الحركة يكمن معنى مزدوج وهي بها تصبح أكثر ما يبدو عليها.

انت عزيز جداً عليّ أنّا لـ «هانس» مع السلامة «هانس» لـ «راينر» و«أنّا» نلتقى غداً.

بينما يخف التوتر يذهب التوءمان إلى البيت فى الحى الثامن حيث يقيم كثير من صغار البرجوازيين (*)هم فى المقام الأول موظفون وأرباب معاشات. كذلك التوءمان ينتميان إلى صغار البرجوازيين، انتماء لب التفاحة للتفاحة، ويحسان بأنهما هنا فى بيتهما ومطرحهما. وهما يقيمان هنا أيضاً ويصعدان مباشرة سلالم هذا البيت المستأجر

(*) الشريحة الدنيا من الطبقة المتوسطة. ولمصطلح البرجوازية ومشتقاته بطبيعة الحال أبعاد سياسية واجتماعية وارتباطات باليسارية والفوضوية وغيرها من المذاهب التى تهتم بالشرائح المظلومة أو المستبعدة أو المنبوذة. وغنى عن البيان أن يلينك لها توجهات سياسية واجتماعية وثقافية فارقة لا ينبغى أن تغيب عن القارئ الواعى. (المترجم).

المظلم دون أن يمسّا أى حائط فى أى موضع حتى لا ينطبع شىء من لون بؤسهما عليه. ثم يبلغان القمة التى هى فى الدور الرابع. المحطة الأخيرة. فى نفس الوقت الذى يظهر فيه مسكنهما المزعج يظهر الخوَر كذلك ويفتح مرغماً الباب للتوتر لأن التوتر لا يزال عنده اليوم أشياء مختلفة ينوى إنجازها وهو لا يستطيع أن يستخدم فيها الأخوين «راينر» و«أنّا» يدخل الأخوان حياتهما اليومية مرة أخرى ويغلقان وراءهما الباب.

هاهي ذي الشقة، وهاهما الوالدان. سكون رتيب يخيم قبل الاعتداءات وبعدها. على نحو غير ملحوظ انزلق الولد والبنت من دور الطفل إلى دور البالغ الذي عليه واجبات. الاثنان لا يؤديان الواجبات.

حول المسكن القديم الحقير ترتفع ارتفاع الأبراج المدينةُ القيصريةُ القديمة على هيئة مساكن وضيعة المستوى لا حصر لها. أناس، منهم قبحاء، ومنهم تافهون، ومنهم كذلك في أحيان كثيرة مسنون، يتحسسون في جنباتها طريقهم يحملون الدلاء والأباريق من وإلى مراحيض الطرقة وحنفيات مائها. وتنجم عن ذلك حركة ذهاب وإياب مستمرة دون أن يحدث شيء منتج.

قد يشبُّ أحياناً من بين هؤلاء عبقريٌّ، التربةُ التي يستمد منها غذاءه هي غالباً القذارة، والحدود التي تحده هى الجنون، وهو يريد بأي ثمن أن يخرج من القذارة، ولكنه لا يستطيع دائماً أن يفلت من الجنون. وآل «فيتكوفسكي» لا يدور بخلدهم أن في نتانتهم

أيضاً عبقريٌ قد شب عن الطوق، ذلكم هو: «راينر» وهو قد تملص بجهد جهيد من وحل موطنه وبرز حتى ردفيه، وهو يتهيأ الآن لسحب إحدى ساقيه وأن يضعها في موطئ على سبيل التجربة، ولكنه يغوص دائماً المرة تلو المرة، مثل كَرْكَدَن (١) غارق في الوحل. وهو رآه ذات مرة في «فيلم» الصحراء تعيش (٢) .أياً كان الأمر فرأسه الذي تستقر فيه دودة موهبته الأدبية القبيحة قد خرج من الوحل وعلا في الهواء ويحملق من فوق البحر الذي يتكون من سراويل تحتانية عفنة وسقط متاع، وجرائد متهرئة، وكتب مهلهلة، وعلب مساحيق غسيل فارغة، وسلطانيات ترسبت فيها بقايا ذات عفن وسلطانيات ترسبت فيها بقايا غير ذات عفن، وفناجين شاي رانتها قشرة لا سبيل إلى تحديد كنهها، وفتات خبز جاف، ونفايات أقلام رصاص، وهباء مسح بالأستيكة، كلمات متقاطعة محلولة، وجوارب مفعمة بالعرق ـ يحملق من تلقاء نفسه نحو مملكة الفن، المملكة الوحيدة المفتوحة أمام الواحد، إذا حالفه الحظ.

---

(١) هو الكركدن وليس وحيد القرن، اسمه باللاتينية Rhinoceros له فى موضع المنخار قرن أو اثنان، وهو حيوان ضخم غليظ الجلد، ثقيل الحركة يعطى انطباعاً بالعجز. أما ما تسميه بعض القواميس وحيد القرن فهو حيوان خرافى قريب الشبه بالحصان أو الجدى له فى جبهته قرن واحد، ويرمز فى بعض الأساطير إلى الطهر والعفاف. (المترجم).

(٢) Die Wüste lebt.

إلا أن «راينر» و«أنّا» الآن طالبـــان في المدرســـة الثانوية التي يتحتم عليهما للأسف أن يختلفا إليها كل يوم حتى شهادة الثانوية العامة «الماتورا».

عاد السيد «ڤيتكوڤسكي» من الحرب بساق واحدة ولكنه كان منتصب القامة، أما في الحرب فكان أكثر مما هو اليوم، فقد كان تحديداً سليماً بلا عاهة، وكان بساقين، وكان في الـ «إس إس» (*) نفس الإلحاح الذي استخدمه فيما مضى في اختيار مهنته، لجأ إليه اليوم في هوايتـه التي لا تعـرف لهـا حـدوداً: التـصـوير الفـوتوغـرافي الفـني. غـرماؤه في الماضي تبخـروا من خـلال مـداخن ومـحـارق أوشـڤـيـتسAuschwitz وتريبلينكا Treblinka أو غطوا الأراضي السلافية. الحدود الضيقة المتعنتة التي فرضت اليوم على ألمانيا يتـجـاوزها والد «راينر» كل يوم من جـديد عندمـا يلتقط صـوراً فوتوغرافية فنيـة. مثل هذه الحدود لا

(*) اختصار Schutzstaffel «فيلق الحماية» أى فيلق حماية أمن الدولة أيام النازية. واشتهر رجال الـ «إس إس» S.S بميـزات بدنية وقوة وشراسة وتنفيذ الأوامر الدموية وارتكاب ما نعرفه الآن باسم جـرائم ضـد الإنسـانيـة، وكـان لهـذا الفـيلق الخـاص صـولات وجولات موجهة ضد أعداء النظام النازى والمرفوضين مثل اليهود والغجر والشواذ والمتخلفين عقلياً والشيوعيين والمناهضين للنازية فكراً ودولة. وكان النظام النازى فى حرصه على ما أسماه نقاء الدم الألمانى والجنس الآرى يدعى الاهتمـام بالأخـلاق القويمة وسـلامـة البـدن والقـوة العـضليـة والرجـولة إلخ. ونلاحظ أن يلينك تصـفى حساباتها معهم بكل الوسائل الفنية، من تهكم واتهام وقسوة وتقبيح. (المترجم).

يعرفها إلا المحدود الأفق في حياته الخاصة، وتتمثل هذه الحدود بالنسبة إلى التصوير الفوتوغرافي في الملابس، و«فيتكوفسكى» الأب ينسف قيود الملابس والأخلاق. ولقد فهمت الأم دونما ريث ممن ورث ابنها اندفاعه هذا نحو أن يكون فناناً: من الأب. كانت للأب عين هواية فنية. اخلعى ملابسك يا مرجريتة، لنعمل صورة أو عدة صور إباحية. أأخلع ملابسى مرة ثانية بهذه السرعة، ويخطر هذا الخاطر دائماً ببالك وأنا مشغولة بالتنظيف. مَن الذى ينفق على العائلة، إن لم أقم أنا بذلك، أنا بالنهار من أرباب معاشات مشوهى الحرب، وبالليل بواب. وهوايتي التصوير الفوتوغرافي الإباحى هى كل ما بقي بعد أن تشوهت. هذا التصوير الفوتوغرافى الإباحى لم يوجد من أجل الناضجين، بل من أجل أولئك الذين لابد من توجيههم. وإذا لم يكن أولادي يتبعوننى إلى بلد الهواية، فأنت على الأقل يا «جريتل» Gretl (*) ستتبعيننى. والآن هيا، بسرعة البرق، الكاميرا فى يدي تنتظر منذ حين لتؤدى مهمتها.

ألا تستطيع أن تصورنى بملابسى مثل البشر الآخرين أيضاً؟ لا، تصوير اللابسين يقدر عليه أي مصور فوتوغرافي سريِّح. ثم إننى علاوة على ذلك أحقق مأربى مضاعفاً، أولاً عندما التقط الصور، وثانياً عندما أحدق فيها وأطبق عليها معيار النقد.

(*) صيغة التدليل من «مرجريته» (المترجم).

وبين هـذا وذاك : التحميض والتكبير. فيهما أيضاً متعة. على الإنسان في الفن أن يناضل من أجل بلوغ النتيجة. كذلك مجاهدتك ذاتك تدخل أيضاً في الصورة يا جريتل. وموهبة الفنان يراها الإنسان في أشياء من بينها عيناه التي تتبأور فى قاعها.

هيا، أسرعي: ربة بيت في مطبخها يحدق فيها رجل غريب خفِية فى أثناء اعتنائها بنظافة جسمها، وتحاول إذ لمحته أن تستر عورتها ، فلا تصل يدها إلا إلى أداة لا تفي بالغرض مثل خرقة مسك الحلل الساخنة. الحمد لله أنها لا تستر حتى الأهم. وهذا الأهم هو بالضبط ما أريده. ولما كانت ربة البيت علاوة على ذلك عديمة الحيلة، فإنها تستر الموضع الخطأ بدلاً من الصحيح. اعملي يا «جريتل»، اعملى ما أقول.

ولكن أهم شيء الآن في الظل، يا حمارة ، يا بقرة معتوهة ، بالتحديد العورة لقد فعلت مثلما فعلت في المرة الأخيرة بالضبط. وهنا مكمن الخطأ، فعليك أن تعملي في كل مرة غير ما عملته من قبل، لكي ينتج تأثير فني أصيل. هذه الأمور كلها عليك أن تتركيها لي، فمن هو المتخصص في التصوير، أنت أم أنا؟ أنت يا «أوتو» .Otto هـه، إذَن.

الأم التي شهدت فيما مضى أياماً أفضل (أيام قرينات ضباط الـ «إس. إس» أياماً تختلف عن أيام زوجات الفنانين الحالية، أخذت تجذب وتشد في نفسها من كل ناحية، فلا يحدث ما هو أحسن، بل بالأحرى ما هو أسوأ.

عليك أن تصطنعي تعبير وجه امتلأ خوفاً. كسْرُ المقاومة يؤدي دائماً إلى زيادة الإغراء الجنسي، كذلك أنا كثيراً ما كسرت عمليات مقاومة وقمت بنفسي شخصياً بتصفية الكثيرين. واليوم أعاني الأمرين بساقي الواحدة، بينما كانت النساء فيما مضى تتهافت عليّ، والسبب هو سحر الزي العسكري الرسمي. اليونيفورم الأنيق. ما زلت أذكر كيف كنا مراراً في قرى پولندية نخوض بأحذية الخيالة حتى ارتفاع بز الرجل في الدماء. ارفعي الحوض إلى أمام أكثر يا بليدة، أين راحت العورة؟

الأم تدندن أغنية من أغاني كوشات الحزينة Koschat (*)جاءت فيها عبارة أريكة من خشب البتولا. وفكرت في حقل سنابل وفي نزهة خلال الخضرة، وكلها أشياء لا يمكن أن تعرضها على سبيل الاقتراح إلا بصعوبة وتغصُّب على الأب ذي الساق الواحدة، على الأقل لكي لا يعكر مزاجها منذ البداية

(*) المقصود توماس. كوشات Thomas Koschat (١٨٤٥ - ١٩١٤) موسيقار مشهور اهتم بالأغنية الشعبية الكيرنتينية، فجمع تراثها، وقدمها وعرّف بها في أوروبا وخارج أوروبا، ومنها أغنية Valâssn ... Valâssn «وحدي، وحدي...» (المترجم).

تعكيـراً منفـراً نتنـاً نتـانة أنثى الخنزير. الأب يفكر في حقل الشـرف، ميـدان الشـرف (*)، الذي لم يبق فـيـه. وهو في المقـابل يهتم بحقل شرف العـائلة، بألا تذهب زوجته، الخنزيرة، لممارسة العهر مع رجال بلا عاهات. الإنسـان لا يستطيع مـراقبتها بمعنـى الكلمة، ولكن ماذا تفعل عند «جرايسلر» Greiblerعندما تذهب إليه؟

والسـيـدة «ڤـيتكوڤسكي» تقول إن اختـزان النضـارة كثيـراً ما يكون ضـرورياً. والسـيد «ڤـيتكوڤسكي» يقـول إنه سيجعلهـا على التو تختزن نضـارة، فيـقذفهـا بشـيء صلب يصيب كتفهـا فتتنفض من الألم. ستـتخلف عنها كدمـة زرقاء أخـرى. إذا جـاز لي أن أرجـوك يا عـاهرة. إن مـا أطلبـه ليس طلبـاً مـبـالغـاً فـيـه. وإلا ضـربتك بعكازيَّ وطرحتك أرضاً. فيمـا مضـى كنت أستطيع أن ألجـأ إلى العنف وأرتمى بجسـدى كله، أمـا الآن فـلا أستطيع، لأن من له سـاق واحـدة لا يستطيع أن يرتمى فى أى مكان (ولو فـعل لما استـطاع أن ينهض بسـهـولة

(*) لعب بكلمتين ألمانيتين مركبتين Ahrenfeldو Ehrenfeld ، حيث تعنى كلمـة Feld حقل وميدان قتال ، وتعنى كلمـة Ahren سنابل أمـا كلمـة Ehre التى تكاد تساويها صوتيًا فتعنى الشرف، يضاف إلى ذلك تعدد مدلولات كلمة شرف، فهى تدل على الشرف العسكرى فى مـيـدان القـتـال، والشـرف المرتبط بالأخـلاق، شـرف العائلة الذى يُتوقع من المراة أن تصونه وإلا اعتبرت عـاهرة. ومن هذا اللعب بالألفـاظ والمدلولات مـا لا يمكن نقله مـائة بالمائة فى الترجمة. ونستنتج من هذه السمات الأسلوبية أنها تقصد إلى بيان التناقض الأخـلاقى والعبث بالمفـاهيم والألفـاظ، حيث تصم يلينك النازيين كباراً وصغاراً باللاإنسانية واللاأخلاقية (المترجم).

مرة أخرى). وما حالى إلا كحال سمكة لا ساق لها ولكنها تعوم وتغوص فى طلاوة. ولهذا السبب أمارس التصوير الفوتوغرافى إلى حد الكمال. والآن هيا حركى ساقيك.

وأنا أتبين بعين الهاوى التي أمتلكها أنكِ عدتِ إلى إهمال شعرك فلم تغسليه كما أمرتك. أريد أن يكون ناعم الملمس كالحرير، لا أن يكون خميلة من الشوك الأشعث. إنك تقفين طوال الوقت عائقاً بيني وبين تحقيق ذاتى الذى أراه في التصوير الفوتوغرافي الإباحى. وتحدونى الرغبة كل مرة فى أن أدشدش طاسة جمجمتك على مخك عندما تتصدين بمثل هذه المقاومة لرحلاتى إلى قلب مملكة التصوير الفوتوغرافى.

ولكني يا أوتّي Otti (*) لا أتصدى بأية مقاومة لرحلاتك إلى مملكة التصوير الفوتوغرافى .

(*) اسم التدليل من «أوتو» المترجم.

«أنّا» تحتقر أولاً مَن لديهم بيوتهم الخاصة وعائلاتهم، وتحتقر ثانياً بقية الناس. وهى دائماً على وشك الانفجار من فرط الغل. تلك بركة حمراء كلها. البركة مليئة بكَم من انعدام كلام، ينهال عليها دون ما هوادة بكلام. إنها هكذا لا تتسم بأية سمة من سمات بنت لا تصفف شعرها فوق دماغها بتسريحة برمانئت، ولا تضمه فى ذيل حصان يتأرجح طالعاً نازلاً على ظهرها، ولا ترهف السمع فى محل بيع إسطوانات إلى لحن أغنية رائجة تحرك معه قدميها متوترة لأن الإيقاع الساخن يجرفها. كل الناس فيما عداها على سطح من جليد زلق غير ذى تحديد، و«أنّا» تدخل وتدفعهم بالتبادل أمامها دفعاً. ولا تزال تدفعهم بعيداً إلى الحافة غير المحددة التى لا تراها العين والتى عسى أن تكون موجودة، لكى يمكن كنسهم جميعاً إلى الماء البارد برودة قاتلة. ما تقوله محدِّثة أخاها كلام فلسفى أو أدبى، وما يخرج من ذاتها تلقائياً من تعبير هو لغة النغمات التى يبثها البيانو من ذاته.

ذات مرة فى أثناء رحلة مدرسية التقطت بنات الفصل صورة يظهرن جميعاً فيها وهن يطبعن قبلة على صورة لـ «پيتر كراوس Peter Kraus على صفحتين متقابلتين فى مجلة «براڤو«BRAVO ثمانية وجوه ضاحكة كلها تمد الأفواه مدببة بقبلات إلى أمام وهى تضحك فى الكاميرا. «أنّا» هى الوحيدة التى لم ترد أن تمد فاها مدبباً، والأرجح أنها تعرضت لسخرية لاذعة من البنات. أما الاستهزاء الحقيقى الذى لحق بها فجاء بعد قليل، عندما قالت واحدة من البنات لـ «أنّا» : تعالى يا أنى (١) Anniبسرعة، فى محل «ڤورليتسر«Wurlitzer اسطوانات لـ «باخ «Bach (٢) أليس هذا شيئاً يعجبك؟ وهذه هى «أنّا»الحمقاء، التى أصابها نور الشمس الباهر بالغباء كما يقولون، وملكت عليها دراسة الموسيقى نفسها فلم تعد تدرك سواها، وأثرت فيها أمٌ مجنونة فجعلتها تنكر المجتمع، تندفع أشد الاندفاع لتسمع هى أيضاً قطعة من موسيقاها التى لا يفهمها أحد سواها، وهى وحدها التى تستطيع شرحها. فما هذا اللحن الذى ينبعث من صندوق الموسيقى؟ إسطوانة ساخنة من «إلڤيس» Elvis هى: توتّى فروتّى Tuttifrutti، لابد من أن يرفضها الإنسان من منطلق الثقافة

---

(١) صيغة التدليل من «أنا» المترجم.

(٢) يوهان زباستيان باخ (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠) أحد كبار الموسيقيين الألمان صاحب تراث ضخم ومنوع يتطلب تذوقه ثقافة موسيقية رفيعة.

أساساً. وهـذه هـى البنـات تتـلوى فـوق أرضيـة المطعم (*)، و«أنّا» الزميلة العبيطة تظن أن صندوق الموسيقى فى محل «فورليتسر» Wurlitzerتنبعث منه أنغام «باخ» لا تلك التى يهواها الشباب.

هكذا «أنّا» تلميذة ملتوية معوجة تنفق وقت فراغها فى عزف البيانو.

كأن ما يملك على «أنّا» نفسها بالأحرى تنظيف جذرى شبيه بآلة كنس الشوارع، أما ما يملك على «راينر»نفسه فكأنه بالأحرى سلم مكون من بشر أحياء، يقف على بسطته العليا المؤلف الشاب فى نور مصدر ضوئى ويتلو قصيدة من صناعته تضم البشر قاطبة ويتمثلها أسطورية ميثية.

ولم يستطع «راينر» للأسف أن يُخضع لنفسه شيئاً آخر غير الأدب الذى يملك كلُّ إنسان قادرٌ على الكلام ناصيته، ولا يزيد أحدٌ فى ذلك ولا ينقص عن أحد آخر، وإنْ كان هناك أشخاص معينون لا طاقة لهم على أن يتجاوزوا بيئتهم بمنهج أفضل، يحتكرون الأدب لأنفسهم احتكاراً. إلا أن الأدب يحقق لـ «راينر»ما يريده تحقيقاً كبيراً.

وإذا حدث أن دُعى التوءمان على عكس المتوقع إلى حفلة پارتى متحررة فإنهما يقولان من فورهما لا،

(*) إشارة إلى موجة موسيقى ورقص الروك آند رول فى خمسينيات القرن العشرين وكان الأمريكى إلڤيس پريسلى من نجومها المشهورين. (المترجم).

نحن لا نخالط مثل هؤلاء الناس، هذه متع سخيفة تافهة. وهما لا يقولان لا إلا لأنهما لم يتعلما الرقص، ولا يحتملان فعل شىء لا يتفوقان فيه على الآخرين. وكثيراً ما يثقل التخلى على الشباب أكثر مما يثقل على المسنين؛ لأن المسنين تمرسوا على التخلى من قبل.

«راينر» يقول إن الإنسان يستطيع أيضاً أن يمتلك إنساناً. ولابد لتحقيق ذلك من أن يكون أكثر علماً منه فيعترف به حجةً فى الموضوع. على سبيل المثال «هانس» العامل الشاب الذى تعرّفا إليه فى مرقص چاز . «راينر» سيشرح له كل شىء إلى أن يتحول إلى أداة بلا إرادة؛ وذلك أمر أصعب من تشويه نص أدبى، فالأشخاص لديها القدرة على ضروب من المقاومة المباغتة. ذلك عمل مرهق ولكنه يتحدى الإنسان.

الفن مرن وطويل النفس إلى حد بعيد. والناس أحياناً معاندون مكابرون، ولكنهم مستعدون لتقبل الشروح. صحيح أنهم يظنون أنهم يعلمون على أية حال أفضل علم، ولكن «راينر» يعلم فعلاً أفضل علم.

أما الزملاء الطلاب فقطيع مسكين من الحملان، جهلاء وأغرار. هم يحكون عما فعلوه مع بنت فى نهاية الأسبوع فى بدرومات الاحتفالات، بدرومات فى بيوت أهلهم جرى توسيع بنائها وتعديلها لإقامة

الاحتفالات، أو فى حجرتهم المريحة الخاصة فى مساكن «هيتسينجر»، أو فى الغابة فى أثناء البحث عن عيش الغراب، أو فى كابينة حمام السباحة. والبنات يحكين عما رضين أن يُفعل بهن أو عما أبين أن يفعلن بهن، وكيف توسل إليهن المتوسلون. ولكنهن لم يخضعن لأنهن يردن البقاء عذارى. كلمة تجر كلمة. وأنت يا «راينر»، ألم تعرف بنتاً قط؟ وهم على الأقل عند الحديث عن مثل الموضوعات الحميمة لا ينادونه بندائهم المألوف يا «أستاذ». ويشرع «راينر»على الفور فى الشرح فيقول، إن الشهوة ضرب من الوله. (؟؟؟؟). أتعلمون أن ألوعى إبان هذا الوله لا يكون إلا وعياً بالجسد وبالتالى وعياً انعكاسياً بالجسدية. وهناك فى حالة الرغبة، كما هى الحال بالنسبة للألم الجسدى، شىء من قبيل الانعكاس يعمل على أن يتنبه الإنسان إلى الرغبة تنبهاً شديد التركيز. (ماذا .. ماذا .. ماذا؟ أنا لا أفهم كلمة واحدة).

«أنّا» تقول إن الرغبة هى لهذا السبب موت الشهوة، لأنها ليست فقط اكتمال هذه الشهوة، بل هى أيضاً فى الوقت نفسه غايتها ونهايتها. الناس يبحثون عن المتعة، ولكن المتعة تظل سخفاً لا معنى له على الإطلاق.

طلاب الفصل كلهم ينصرفون عن هذه التمثيلية، ويقولون إن السيد الأستاذ والسيدة الأستاذة يهرفان

بما لا يعرفان. فهما لم يمسا بأيديهما من قبل واقع الجنس .

«زوفى پاخهوفن» تخطر كالغزالة خلال حجرات المدرسة التى تفوح منها رائحة الجير القميئة وتبحث فى كيس نقودها عن نقود تشترى بها سندوتش الفسحة السيئ السمعة وكوكاكولا. تخفى «أنّا» عن حسد شريحة الخبز السميكة المدهونة بالشحم التى أعدتها ماما ووضعت فيها قلبها كله، لأن «أنّا» هى حبيبة أمها (أنثى مثلها) بينما «راينر» ابن أبيه. يقع حبُّ «زوفى» على «راينر» وقوعَ ضربةِ سيف يد على الرقبة، ويقول لهذه البنت التى يهيم بها سراً: الوعىُ يفقد من مجال إبصاره بشكل ملحوظ تجسد الآخر ويمتص تجسده فى ذاته، لأن تجسده يصبح هدفه النهائى. أنتِ الآن تعرفين الأمر يا «زوفى» وعلى الإنسان أن يتصرف طبقاً لما عرفه.

«راينر» دس ظفراً فى كفه كما يقولون. إنه يصبو بعنف أى عنف إلى أن ينال «زوفى» وهى كذلك من جانبها مثله تماماً شديدة الرغبة فى أن تناله. إلا أنها لا تعترف بذلك.

«راينر» يقول لـ «زوفى» على سبيل التقرير إنه الحيوان المفترس وإنها هى فريسة الحيوان المفترس. «زوفى» تقول إنها لا تفهم مقصده. أتحب أن تأتى مرة معى لتلعب التنس «راينر» يقول إنه يلعب دائماً على أرضه. «زوفى» تعبر عليه بعينيها عبوراً منساباً

سـريعاً. «راينر» يقول إن عليها أن تقبل بقبـول حسن أن رغبـة الشـخص فى مداعبة آخَر تتحـول إلى رغبـة الآخر فى أن يُداعَب، الإنسـان يريـد أن يحس إلى حد التقزز بازدهار جسمه. هل شعرت «زوفى» بذلك مرة؟ إذا كانت الإجابة بالنفى، فهو يبين لها، كيف يحدث هذا.

«زوفى» تخرج.

«أنّا» تقـول إن كل شىء يقـززها جـداً، وبخـاصـة اليوم.

عندما تعود «زوفى» بسندوتش السـلامى من محل «جــرايسلـر» Greibler، سـيأمـرها «راينـر» بأن تسلمـه السندوتش. سـتكون تلك مـسـألة إرادة. وهـاهى ذى «زوفى» تعـود، «راينر» يضع عـدة أصـابع على شـريان رقبتها الرئيسى على سبيل التجربة ويضغط بقوة. آه، قل لى، هل جننت، فى الرقبة أعصاب كثيرة يمكن أن يميتها الإنسـان بسهولة عن غير قصد. يقـول «راينر» لا مجـال للحديث عن غيـر قصد. لقد رأيت ذلك فى فيلم فرنسى.

أتُراك تقـتل بشْـراً لا لشـىء إلا لأنك رأيت ذلك فى فيلم فرنسى.

يقـول «راينر» من هذا الذى يعلم كل ما لدىَّ القدرة على فعله. أنا لا أعـرف إلا أننى قـادر على فعل أشيـاء بشـعة بشـاعـة لا يتصـورها أحـد، وأننى أسيطر على نفسى لكى لا أعملها.

فى الخلفية تتربص «أنّا» بنصف سندويتش لم يعد له صاحب. «زوفى» تعرض على «أنّا» عرضاً: لقد أحضرت لك معى أيضاً سندويتشاً. بالسمك والبصل كما تشتهين. عظيم!

بعد أن التهمت «أنّا» نصف سندويتش، تذهب من فورها إلى المرحاض وتدس إصبعها فى حلقها. تخرج الأشياء التى التهمتها ولكن بتتابع عكسى: رنجة وبصل. أف. «أنّا» تتأمل ما تقيأته باهتمام وتشد السيفون. إنها تشعر كأنها تتكون كلها من قذارة، لا غرابة فى ذلك، فهى تأتى معها دائماً بلا انقطاع كالمغناطيس بهذه القذارة من البيت.

ذات مرة عندما كانت طفلة لاحظت أمها فى البانيو. وكانت الأم على غير المألوف من عادات الاستحمام فى البانيو تلبس سروالاً تحتانياً أبيض انتفخ فى الماء كالشراع. وكانت عليه بقع حمراء. شىء منفر. مثل هذا الجسد لا يزيد عن كونه دلاية سهلة التلف عالقة بالإنسان، وما هو بالشىء الأساسى فى الإنسان، على الرغم من أن هناك أشياء كثيرة تُشترَى وتدس فى الجسد أو تعلق عليه. عندما ترى«أنّا» شيئاً أبيض اللون تريد على الفور أن تضع عليه بقعة.

«أنّا» تفكر برغمها دائماً فى شىء ممجوج يمر من خلال مخها من جانب واحد. حاجز الحدود يفتح لأعلى دائماً فى اتجاه واحد. الشىء الممجوج يدخل،

ولا يخرج بعد ذلك أبداً، يتدافع فى حنايا هذا المخ، ومَخرج الطوارئ موصد. على سبيل المثال الذكرى المهينة لقيام عدد من أمهات التلميذات بتقديم شكوى إلى رئاسة الفصل. لأن اهتمامات «أنّا» الجنسية كانت تخرج من فمها فى شكل نكات قذرة قذارة الخنازير (بالمناسبة مثل اهتمامات «راينر» الجنسية أيضاً التى لم تكن تخرج إلا من فمه). قيل عنها فى الشكوى إنها تسمم الأرواح الطفولية لطائفة من زملائها وزميلاتها. آنذاك بدأت لأول مرة مشكلات الكلام التى ألمت بـ «أنّا»، لسانها كثيراً ما يقول لا، اليوم لا أعمل.

حالياً تعود «أنّا» مرة ثانية لوضع بقع على الأشياء البيضاء، وأحب شىء إلى نفسها هو أن توسخ بهذه البقع السطح الخارجى (*) لـ «زوفى» إلا أن هذا السطح الخارجى مصنوع من أحسن خامة قماش تقاوم البقع. خامة القماش تطرد الاتساخ.

وهذا مثل آخر صغير. «أنّا» فى الرابعة عشرة من عمرها. تجلس عارية على الأرض وتستعين بمرآة حلاقة قديمة وشفرة حلاقة للتخلص من غشاء البكارة ولكنها لا تحتكم على معلومات فى التشريح فتصيب على سبيل الخطأ الأمعاء ويتدفق دم كثير.

(*) تعبير غير مألوف من بين تعبيرات غير مألوفة عديدة تستخدمها يلينك وتميز أسلوبها المعبّر عن غير المألوف من المضامين. (المترجم).

عندما تخرج من مرحاض المدرسة النتن إلى الخلاء، تتمسح بطبيعة الحال من فورها من فوق «زوفى» باعتبارها أول شىء أبيض بياض الثلوج، وتدفنها تحتها. «زوفى» الانهيار الجليدى. هل تأتين عصر اليوم إلىّ عابراً؟ نعم.

«أنّا» تضغط بشدة وباستمرار، فلا دم يأتى (مثلما حدث آنذاك)، ولا حبر ولا عصير توت برى ولا قىء.

«زوفى» تمسح عليها برفق وعلى نحو عابر يتجه إلى الخارج. حيث النور الناصع. ناصع حتى إن «زوفى» بثوبها الأبيض الناصع لا تعود تبرز على الخلفية وتختفى دونما أثر.

أبو «هانس سيب» Hans Sepp أتى من الحركة العمالية وقتل على سلم الموت فى ماوتهاوزن (*). نور الشمس الغاربة ينكسر على نحو أعنف مما كان عندما انبثق من الشمس، ساطعاً فى نوافذ حارة «كُخجاسّه» Kochgasse. الإنسان يضطر إلى قفل عينيه أمام عنف الطبيعة. مبهوراً. السكان مدربون على قفل عيونهم أمام شىء ما.

فى الناحية المواجهة من الحارة دكانٌ صغير

(*) ماوتهاوزن Mauthausen منطقة في ولاية أوبراوسترّايش Oberösterreich بالنمسا أقام الحكم النازي فيها معسكر اعتقال لمن اعتبرهم أعداءه ومن بينهم من اتهموا بالشيوعية أو بالاشتراكية المختلفة عن الاشتراكية القومية النازية، وبخاصة ما عرف بالديمقراطية الاجتماعية والحركة العمالية. (المترجم).

للخيوط ولوازم الحياكة. هناك على مفرش كروشيه صغير خيوط ملونة وشلل صوف، والإبر المدببة فى داخل الدكان. «هانس» يدخل المبنى الاجتماعى الذى يقيم فيه مع والدته على طريقة مخلوقات الرب وقد مسته أشياء الحياة اليومية. جامداً ينظر من خلال السيدة وابنتها (تلبسان معطف الشغل الأسود) اللتين تخدمان سيدات يعملن فى بيوتهن. كذلك أم «هانس» عاملة تشتغل فى بيتها. فى بيتهما الرث تقوم بكتابة عناوين على مظاريف، ولكن فى مقابل أجر.

كذلك البطاطس والبرتقال والموز فى دكاكين الفاكهة والخضراوات تتسم بشىء طبيعى فى ذاتها. «هانس» يفكر متعالياً: من المؤكد أن «أنّا» و«راينر» قد يقارنان هذه الأشياء بشىء يعرفانه من فن الشعر المصطنع والمتكلف. أما أنا فالطبيعة أشد قرباً منى، فأنا أعيش على نبض الزمن. إننى أدع الأمور تجىء وتروح، وأدخلها فىّ ثم أخرجها منى بعد ذلك. فى حارة لاودونجاسّه Laudongasse يصلُ الترام رقم خمسة صليلاً يتقطع تقطعات عجيبة فى محطته أمام الفرّان. «هانس» يفكر: أنا لم يفسدنى الفن والأدب بعد.

كذلك أمه تنظر فى الشمس الغاربة المنعكسة بذاتها. فى رأسها وقلبها عندئذ الحركة الديمقراطية الاجتماعية التى كثيراً ما خيبت رجاءها من قبل. لا ينبغى أن تكرر خيبة الرجاء أكثر، وإلا فستجرب

الشيوعيين. من أين لك هذا البلوفر يا «هانس» هذا الصوف (الكشمير) أعلى من مستوى ميزانية بينما عدة طبقات. وتشعل الأم فتلة من البلوفر وتتأكد من الرائحة القبيحة: صوف خالص. «هانس» العائد إلى البيت من الـ «إيلين» ـ أونيون Elin-Union اتحاد الطاقة الكهربية – الذى تعلم فيه مهنة كهربائى جهد عال ، يقرر من فوره أنه تلقى البلوفر هدية من صديقته «زوفى»، والداها من الأغنيـاء. وهو على الرغم من ذلك الرجل وهى المرأة. وسـيـبـقى الأمـر كـذلك، وسيحرص هو على بقائه بلا مساس. الأم تقول: إذا ظللت تتصرف على هذا النحو فستصبح، دون أن تلاحظ، خائناً لقضية العمال. يذهب «هانس» إلى الحجرة المطبخ، وهى المطرح الوحيد المدفأ، ويصب لنفسه لبناً حتى يستطيع أن يستمر فى ممارسة الكثير من الرياضة. وينام فى الحجرة الضئيلة، وتنام الأم فى حجرة المعيشة الباردة. طُز فى الطبقة العاملة ويحيا «الروك آند رول» هذه هى الطبقة التى تنتمى إليها. آمل ألا يستمر ذلك طويلاً، فأنا أرجو أن أصبح مدرس رياضة بدنية، وربما أكثر من ذلك، من يعرف.

فى هذه اللحظة ينهمر سرب جديد من البشر العاملين من الترام نمرة خمسة إلى الحارات الجانبية، آبار سلالم نتنة تدب فيها الحياة فجأة، أمهات عائلات يندفعن لاهثات إلى باب الشقة لاستقبال القائمين بالإنفاق عليهن. ينتزعن منهم الشنط الرثة؛

وأوانى المطبخ الملفوظة والترامس؛ الناس الأحسن حالاً ينتزعن من قبضتهم خطفاً حقائب ملفات وجرائد وبقايا سمك الفوريللا Forelle [1] الذى يأكله موظفو الحكومة، وأوراقاً مدهننة إلخ. تدخل الأقدام بسرعة فى جوارب البيت المهلهلة التى كانت إلى وقت غير بعيد تُلبس عند الذهاب للعمل. ذلك أن الناس يعرفون ماذا يعنى التوفير، وإن لم يكن كل واحد ملزماً به. لا يمكن أن يشترى الواحد دائماً شيئاً جديداً إذا كان القديم لا يزال موجوداً. أول أولاد تلقوا صفعات من آبائهم يرفعون أصواتهم المجروحة المبحوحة بصراخ صرير. الولد «كارلى» [2] ممنوع اليوم من النزول، لا ، لا. فى حديقة بيزرلبارك Beserlpark العامة عند الناصية تطيل الكلاب الحبال التى ربطت بها لتمرح فى النجيلة وتتبرز قليلاً ليلاً هنا وهناك. بعض من مشوهى الحرب الذين كانوا فيما مضى يبثون الحياة فى صورة الشارع يتأملون الكلاب باهتمام ويتذكرون الوقت الذى كانوا فيه فى الخارج المعادى أصحاب مقام رفيع ولم يعودوا الآن كذلك.

وهم يقرقعون بالحبال التى ربطوا فيها الكلاب، ولكن القرقعة لا تحرك فى الكلاب ساكناً. لم يعد

---

(١) نوع من السمك المتميز الذي تُتخذ منه شرائح تقلى او تدخن ويأكلها القادرون بالخبز في الفسحة، وقد يأكلها الموظفون المهملون على مكاتبهم، وربما اتخذوا لها علبة أو كيساً أو لفافة يتركون فيها البقايا. (المترجم)

(٢) صيغة التدليل من اسم "كارل". (المترجم).

هناك من يطيع أوامر الجنود السابقين الذين لم يعد لهم من يدينون لهم بالسمع والطاعة. السلطة ضاعت للأسف.

«هانس» يلتهم عدداً من شرائح الخبز المدهونة بالزبد الصناعى المارجرينة، ويتأمل فى مرآة حلاقة قديمة يقال إنها كانت ملكاً لأبيه خصلة شعره المرفوعة فوق رأسه كالعرف (*) لا تعودى من جديد إلى حكاياتك عن معسكرات الاعتقال إنها تتناثر كالغبار عندما تبلغ أذنى.

فى الناحية الأخرى تُنزل صاحبة محل لوازم التطريز التندة إلى نصفها، من خلفها زبونة قد انحنت ولا تزال تتكلم عن باترون جديد؛ عصر الصور المطرزة المحبوبة المعلقة على الحيطان فى بداية انطلاقه ولن يلبث أن ينطلق كل الانطلاق. ما يكاد الناس يقتصون ما يحتاجون إليه أشد الاحتياج، حتى يبدءون فى التفكير فيما يجاوز حد اللزوم. وخيرٌ لهم ألا يفكروا إطلاقاً فيما هو ضرورى. شمس الحياة تأتى مما يجاوز حد اللزوم، عندما لا يكون لدى الإنسان شىء له لزوم. ثم إن الحياة اليومية رمادية.

منذ أربعة أسابيع توقفتَ عن حضور الاجتماعات المسائية للمجموعات، والأرجح أنهم فى الوقت الحالى

(*) من مظاهر تأثير أسلوب الحياة الأمريكي. (المترجم).

بالذات يحتاجون إليك للصق الإعلانات (*) (الأم لـ «هانس» .ابحثى لك عن عمل وسخ بعيداً عنى (هانس لأمه). تستشهد عندئذ فى بلادة بنصوص من كتاب ما.

كان وضع العمال إلى ما بعد الخمسينيات (خمسينيات القرن العشرين) أسوأ بكثير من وضعهم إبان الأزمة الاقتصادية عام ١٩٣٧ . وتعتبر هذه من أسوأ وأنكى سنوات ما بعد الحرب. رُفعت الإنتاجية وهو ما يعنى تعاظم استغلال العمال، بينما تضاءل المعروض من المواد الغذائية تضاؤلاً شديداً. فى وقت الأحداث كانت أحوال الجميع قد أصبحت أفضل بكثير، وسُمح لمعجزة اقتصادية أن تدخل دون أن يعوقها عائق (تعبير معجزة اقتصادية تعبير ألمانى ظهرت علاماته فى أفلام عديدة متمثلةً فى مناضد كُلَوية الشكل وبارات منزلية وفى نساء كثيرات شقراوات سمينات رفعت نهودهن البضة إلى أعلى بدعامات معدنية). والناس يستقبلون المعجزة الاقتصادية بصيحات الترحيب. ولا يزال هناك أناس لم يدخل إليهم شىء على الإطلاق، وعلى وجه الخصوص لم تدخل إليهم معجزة. ولا زالوا يفتحون بابهم فلا يدخل شىء، إلا برد من الخارج. وإلى هؤلاء المحرومين تنتمى السيدة أم «هانس سيپ».

(*) المقصود لصق إعلانات الدعوة للحركة. (المترجم).

وبينما تُحطم أعصاب ابنها بتكرارها التشديد على أن عام ١٩٥٠ هو العام الحاسم الذى دفنت فيه آمالها قبل الأخيرة (النقطة الأساسية اليوم هى : اندفاع حرس «أولاه» (*) Olah المخمورين إلى داخل المصانع منهالين باللكم والركل والضرب بالعصى وبالهراوات على العمال المضربين لكى يرغموهم على العودة إلى العمل. «أولاه Olah» هو المستشار القومى للحزب الاشتراكى النمساوى ورئيس مجموعات سحق المتظاهرين إلى آخره، إلى آخره، كلام فى كلام فى كلام) تغفل عن شىء هو بالتحديد أن ابنها أخذت تنمو فيه منذ حين آمالٌ وهمية نمواً متناسبًا مع هذه التطورات ولكن فى الاتجاه العكسى وهو لا يعتبر هذه الآمال وهمية بل واقعية. «هانس» ينعم بالشباب وبالصحة ، ويعتمد على قبضاته، تماما كما اعتمد عليها قياديو الحزب الاشتراكى الديمقراطى «پروبست» Probst و«كوتسى Koci» و«فْربا» Wrba

---

(*) فرانتس أولاه Franz Olah سياسى نمساوى كان له دور فى قيادة العمل النقابى وفى الحزب الاشتراكى النمساوى Sozialistische Partei österreichs ويختصر إلى SPö، وفى الحكومة حيث شغل منصب وزير الداخلية واستقال فى فضيحة مالية. وكثيراً ما يتجه النقد إلى بعض قادة العمل السياسى الذين يتهمون باستغلال معاناة العمال الكادحين لتحقيق مصالح خاصة وللقفز إلى مناصب، ولا يتورعون عن التنكر للمبادئ التى دعوا إليها بحماس وعنف، وعن إيذاء المخدوعين الذين حملوهم على أكتافهم. ومن الواضح أن نقد أخلاقيات العمل السياسى الانتهازى له أهمية محورية فى أدب يلينك الملتزم سياسياً واجتماعياً وإنسانياً. (المترجم).

عندما سحقوا الإضرابات. تعلم «هانس» أنه لا يلزم أن يكون الواحد قيادياً فى هذا الحزب العمالى المحبوب لكى يقضى على شىء بالضرب بالهراوات، بل يمكن أن يقضى عليه بطريق مباشر، وأن يكون ذلك فى المقام الأول من أجل صالحه هو وحده. وهكذا تبدأ فى وقت ما ثروة فى التراكم وفى التعاظم.

مصابيح الشوارع الأولى تضىء، التيار الكهربائى يندفع فيها. التيار الكهربائى «هانس» هو وحده الذى صنعه. ولم يصنعه الرب المحبوب. الأم تذكّره: لقد كان عملك دائماً يعجبك. «هانس»يقوم بحماس: هناك ما هو أجمل، بل إننى أعرفه.

ومن أجل هذا الهدف مات أبوك. وأنا من منظورى أقول إنه ما كان ينبغى أن يموت، فذلك شىء تافه بالنسبة إلىّ «هانس».

تصورى يا ماما لو كنا أكثر مما نحن الآن فرداً، لما كنا نستطيع أن نتحرك فى هذا المكان الضيق بحال من الأحوال. ولكن هناك يا «هانس» ناس عندهم مكان أكبر من أن يمكنهم أن يسكنوه. فى «هيلينتال» Helenental قصر صغير وفى ڤيينا-هيتسينج Wien- Hietzing ڤيلات عائلية قديمة. «زوفى» تسكن هناك، وأنا كذلك سأقيم فى إحداها، على نحو أو آخر، هذا هو الوعد الذى يقطعه «هانس» برقة عاطفية يطبق «هانس» البلوڤر

الكشمير ويلبس چمازيتة البيت القديمة المرقعة التى يرجع تاريخها إلى أيام الطفولة. إنه يحفظ شيئاً لوقت قادم (وهو ما لابد أن يتعلمه الإنسان فى وقت مبكر، فعندما يكون الإنسان صغير السن يكون هناك دائماً وقت قادم، وعندما يكون مسناً، يكون العمر انتهى) وفى الوقت القادم يوفر من أجل وقت قادم يأتى بعده، لكى يكون عنده شىء فى المسغبة التى نأمل ألا تحدث.

الآن تنطلق فى البيت كله عملية طهى طعام العشاء وكأنها تستجيب لأمر آمر (*) ، روائح مقيتة وروائح زكية تتخلل بير السلم وتتغلغل فى البياض المتهالك، حيث تلقى معارف قدامى لتلفوا معها: كرنب وقرنبيط، بطاطس وفاصوليا. الفرقة الثانية من الأولاد الذين تلقوا صفعات تصرخ من خلال الأبواب. بابا المرهق أعصابُهُ ساءت حالتها. هس، هس، هدوء، وإلا تتمزق الطبقة العازلة للأعصاب نهائياً.

«هانس» تراوده رؤيا قوامها پورسلين براق، وشوك وملاعق وسكاكين من الفضة ونعومة عامة فى الكلام والشغل. فى النبرة والسلوك اللذين لا يخطئ فيهما الإنسان أبداً، لأن الأفضل للإنسان أن يمد يده فى

(*) صورة الإنسان الذى يصبح أسير تصرفات نمطية يأتى بها الجميع وكأنهم صبوا فى قالب واحد أو آلة تعمل بضغطة على الزرار أو كائنات بلا إرادة يتحكم فيها صاحب الأمر أو قطيع يتحرك بديناميكية القطيع التى تخنق التفرد والإرادة والحرية والمسئولية. (المترجم).

جيوب آخرين. هانس لديه مثل أعلى، لأنه شاب ينمو. المراهق والمثل الأعلى صنوان. والنتيجة هى نوايا تطلعات يلعب فيها الحب دوراً ، يكون دائماً ناكراً ذاته، ولهذا يستطيع الإنسان أن يأخذ منه ما يحلو له على نحو ما.

«هانس» يقول على سبيل التقرير: إن «راينر» قال القويُ فى الطبيعة يفتك بالأضعف. والمنطق يحدد لى بديهياً مَن منهما أود أنا أن أكون. من «راينر» هذا؟ (سؤال خائف من الأم). أنت تثيرين حفيظتى إثارة لا تحتمل بأسئلتك الغبية، هكذا يعاندها الابن ويندفع إلى الخارج على الرغم من أنه حتى لم يأكل كما ينبغى، وتلك حاجة أخرى من حاجات الشباب. برنامج الأكل كان يتكون اليوم كحاله كثيراً من جولاش بطاطس (*).

الأم تقف فى الحجرة المعتمة، ظهرُها يؤلمها بسبب الكتابة، من حولها يهبط الأثاث الغامق الكئيب الملفوظ، علامة دالة تشهد على أنها لم تحقق شيئاً يذكر فى حياتها، والذنبُ فى ذلك ذنبها. والمذنبون جميعاً جُناة، والجناة جميعاً مذنبون. أما ما يهبط فوقها كذلك فهذا الكيس البشرى ، الذى يشبه كيس تدفئة إبريق الشاى ، والذى يتكون ممن ماتوا

(*) ليس الجولاش فى النمسا من الحلوى بل هو نوع من الطبيخ الشعبى اليومى البسيط تختلط فيه بعض الخضراوات والبطاطس بشىء من اللحم أو الشحم على هيئة تقترب من الحساء المكثف. (المترجم).

مضروبين ومشنوقين ومخنوقين بالغاز ومقتولين بالرصاص وممن انتزعت من أفواههم الأسنان الذهبية. سلام يا «هانزى»، تصبح على خير (هكذا كان اسم زوجها، وهكذا اسم الابن). ابنها «هانس» الذى كبر الآن، ولم يعد «هانزى»، خرج من البيت لتوه. خسارة أن بابا لم يره وهو يكبر. ولكن الأغراب كانوا أهم عنده من العائلة. على ماما الآن أن تهتم بالأمر وحدها. الموضوع بالنسبة إلى ولد بدون أب صعب، وهذا ما نقرؤه مراراً، أما بالنسبة إلى البنت فالأب ليس مهماً إلى هذه الدرجة. ولما كان أناس أكثر كياسة من أم «هانس» هم الذين قالوا هذا الكلام، فلابد أنه صحيح. والشمس لم تضحك لهذا الكلام لأنها راحت منذ قليل نهائياً. لم يبق من حارة «كوخجاسّه» إلا الدوائر المنيرة التى ترسمها المصابيح وكأنها تسلخها من ظلمة البيوت. ولكن هذا لا يعنى إلى الآن أن الشىء الذى لا يراه الإنسان غير موجود. فهو، ما لم يضع أى لم يوهب أو لم يُنس، لا يزال موجوداً. إنه لا يزال موجوداً، وكثير من الأقدار التى ليست بالضرورة ذات منفعة على نحو خاص، تجرى أحداثها فى هذا المكان. ولكى ينأى «هانس» بنفسه عن هذا القدَر، هاهو ذا يدخل لتوه فى قدر أكثر منفعة ويبرع فيه كل البراعة.

كان الخريف دائماً يحمل كثيراً مما يثقل ضميره، وبخاصة وقبل كل شىء آخر عندما يشعر إنسان لا يزال شاباً بالخريف. المُسِن يفكر من قبل فى الموت

دائماً، أما الشاب فلا يفكر فيه إلا فى الخريف، حيث يُلِم هبوطٌ عام بورق النبات وبالحيوان. «راينر» يقول إنه ينشر جناحى سِحْرِه الذاتى فى ليلة الخريف. من بَعد تتملص قطط دامية من سلاسل شونة تنفضها عن فرائها الجريح. هذه قصيدة. «راينر» يفكر لا إرادياً فى نساء عندما يفكر فى ذبول خريفى، على سبيل المثال تذبل أمه ذبولاً شديداً إلى النهاية. المرأة تريد شيئاً فى داخلها، أو تلد طفلاً يخرج منها. هذه هى صورة المرأة فى عرف «راينر» رائحة نتن تفوح عن النور عارمة، هذا ما يقوله «راينر» فى قصيدته عن الخريف. لم ينته إذًا كل شىء إلى النهاية تماماً، بل أوشك. كما فى حالة أمه. الأب لا يزال أنيقاً والأم لم تعد جذابة. أما أمه فتحب غيره أكثر منه، ألا وهى أخته. وهى تقول إن البنت تحتاج إلى ذلك أكثر منه لأنها نفسياً أكثر عرضة للخطر منه. أما أبوه فيحبه أكثر لأنه حافظ السلالة وحامل الاسم.

بحواس لا يحتاجها الشَّعر فى هذه اللحظة ينصت إلى التليفون الذى سيأتيه بـ «زوفى» إلى البيت دونما جهد. عندما يسأله سائل، هل تنتظر شيئاً، يقول لا، فما هذا الذى أنتظره، وهو فى الواقع ينتظر الصوت المحبوب. ولكنه لا يأتى إلا نادراً. لا ينبغى للإنسان أن يخطو الخطوة الأولى، حرصاً منه على قيمته الذاتية. لماذا لا يأتى الصوت إليه عبر موجات الأثير، ولكن فقط من خلال برنامج ما يطلبه المستمعون الإذاعى السخيف، حيث يوجه أناس سخفاء تهانى أكثر سخفاً

بمناسبة أعياد ميلاد أو أسماء سخيفة. خير لهؤلاء الناس ألا يكونوا قد ولدوا أصلاً، فلا فرق بين أن يعيشوا أو لا يعيشوا.

«زوفى» تفكر نادراً جداً فى الحب، ولكنها كثيراً ما تفكر فى الرياضة البدنية. البنت الرياضية عليها أن تفكر فى شىء آخر.

«راينر» فيه الكثيرُ المفرط من الأشياء المعوجة. هذه الأشياء المعوجة إضُرٌ يثقل على الطفل إلى أقصى حد، والمراهق لا يستطيع أن ينفضها عنه بسهولة. مرات أكثر من أن تحصى رأى الطفل أمه التى تشبه هيكل حصان هرم تنهار تحت ضربات الأب المبرحة وتستحيل إلى حرف v كبير. وهو يستخدم فى الضرب غالباً براطيش منزلية قديمة يمكن رميها بعد الاستخدام. بدأ هذا الضرب المبرح بحسب ادعاء المدعين فى نفس اليوم الذى انتهت الحرب العالمية فيه بالهزيمة، لأن الأب كان قبل ذلك ينهال بالضرب المبرح على أجانب فى صور وأشكال متغيرة، ولم يعد لديه الآن على الدوام من بديل إلا أشكال الأم والأولاد. ولقد طارد بشراً وأغرقهم فى المستنقعات فلقوا حتفهم بسرعة، وهذه أشياء موثقة. من هذه الناحية حظه أسود كالزفت حيث إن آخرين ممن فعلوا نفس فعلته علت أسهمهم أما هو فلا. مثل هذا قدَرٌ مقدور وشىء فردى يختلف من فرد لفرد آخر. ففى هذه العصبة من الصفوة آنذاك كان هناك

فاشلون مثل أبيه ظلوا مثل العيال الوسخين. الصفوة تلاشت ولم تبق إلا العصابة الصغيرة بناسها. هو إنما يؤدى عمله بشرف ولا حاجة به إلى أن يخجل، على حد قوله. ولقد جرب نفسه فى مهن كثيرة وظل حتى الآن يفشل دائماً. وسافر إلى فرنسا لأنه كان يريد أن يتولى الدعاية لمنتَج فرنسى باستخدام البالونات المناطيد، ولكن (الفرنسيين) كلفوا بالمهمة شخصاً آخر توسموا فيه المزيد من المهارة. وهكذا نقصت الفرص واحدة. وهاهوذا الأب ينكمش لأسباب طبيعة من شأن التقدم فى السن.

الأم تقول له إن تعليم العيِّلَيْن هو أهم شىء، وهو واجب. وإن تنفيذه يتم عن طريق المدرسة الثانوية الجيمنازيوم. والأب يقول خير لهما أن يعملا ويكسبا أجراً، وتلك إجابة أثارت حفيظة التوءمين أى إثارة. وهما يعتقدان أن ذلك أمر لا يجوز أن يفرض عليهما.

من أركان الحجرة التى انسدت بالكراكيب تومض سحنة الفقر القبيحة الذى يهددهم، بل الموجود هنا منذ وقت طويل، ومضةً ودودةً وتغمز بعين واحدة. أرجل بنطلونى الجينس اللتان ثنيتا وخيطتا مراراً وتكراراً ودُعِّمتا بشريط يحميها تحفر فى ران الأرضية خدوشها، والأم مضطرة إلى أن تنظف بالأجر بيوت أناس أغراب، فيلقى بيتها الإهمال. فى بيوت الناس الأغراب، رجال أغراب. ولهذا يصرخ الأب وكأنه ثورٌ يُشوى فى النار حياً. الأم لا تجد

حماية، ليس لها شريط يحميها كشريط ثنية البنطلون، فهى تتعرض دومًا للركل واللكز. أما الشىء الذى عجزت كذلك عن نشره حواليها، فهو نوع من الراحة النفسية التى يشعها البيت الذى تتولى ربة البيت أمره. هذا الشىء مفروض عليها أن تؤديه لأن الضابط السابق موجود هنا من أجل أمر آخر غير نشر الراحة النفسية فى البيت. إنه يحطم البهجة حيثما وجدها.

فى مجموعة المعارف ، وهى مجموعة صغيرة، يُعتبر الأب شاذَ الطبع، يأتى بالغريب العجيب من السلوك، ولا يقبل من أحد عرضاً، لأنه على حد قوله لا يحب أن يأكل من آنية الآخرين.

كثيراً ما يفكر الأب فى الهياكل العظمية المعتمة لأناس ظل يُعمل فيهم القتل حتى لم تعد ثلوج پولندا نقية وبيضاء، بل أصبحت مدنسة ودامية. ولكن الثلوج تأتى من جديد المرة تلو المرة، ولم تعد الثلوج فى هذه الأثناء تحمل أى أثر للمفقودين.

والأم من ناحية أخرى تحاول أن تعلم أولادها الإنسانية، وتلك هى مهمة الأم. ولكن الأم ستضطر قريباً أن تتخلى عنها لأن الأولاد يريدون أن يكونوا لاإنسانيين وأن يفعلوا كل شىء لكى يظهروا هكذا. ما يعمله الإنسان لا يجدى، ويثير التقزز. كل شىء يثير التقزز، ولكنهم لا ينحونه عن طريقهم، بل العكس هو الصحيح، الواحد يصيبه القرف من ورق مكموش،

من أعقاب سجائر قديمة ملقاة على الأرض، من حواف الجبن، من جلود السجق، من بقع القهوة وقبل هذا وذاك من قلوب التفاح وبذور البرتقال. هذه هى الأسوأ. والواحد لا ينحيها بعيداً لأنه يجد فى تمدد المعدة لأعلى وانقلابها من القرف إحساساً جميلاً. المسكن كله أركان وحنايا مليئة إلى حافتها، تغص بتلال من سقط المتاع. ولدى المواطن الصغير دائماً ما يخفيه، ومن أجل هذا كانت هناك أركان. عند آل «فيتكوفسكى» يمكن أن يشاهد الإنسان كل ما يريد المواطن الصغير إخفاءه لأنهم لا يرمون شيئاً. أمام هذه الأركان يقف المواطن مستعداً فى كل وقت لأن ينأى بنفسه ويأتى دون أن يرقبه رقيب بأفعال مما تأتيه الخنازير.

التوءمان متفوقان فى وسط النحس، لأنهما تحررا من كل شىء ويفعلان ما يريدان. «راينر»يقول: الناس محددون من قبل على نحو ما، أما أنا فلا، لأننى متفوق عليهم، بناءً على إرادتى. والفرد على عكس ذلك يكون حراً إذا ما أراد ذلك. و«راينر» يتقبل بكل الرضا والاستحسان هذه الحرية التى قدّمت إليه لتوها خطابَ اعتمادها. فى داخل «راينر»بطولة وحيدة مهجورة. وحيدة حيث إنها لا يراها أحد، ولهذا فإن أجمل بطولة بطبيعة الحال لا تزيد قيمتها على أن تكون نصف قيمة. أياً كان الأمر فـ «راينر» يستطيع أن ينظر إلى نفسه مواجهة، عندما ينفرد بمرآته.

أحياناً يكون اليوم يوماً مـألوفاً تماماً، فيلتقط الأب أحد التوءمين عامداً متعمداً وينهال عليه ضرباً وتقريعاً. لأن الولد (أو البنت) لا يحبه الحب الذى يريده. وإذا الولد يجدف بذراعيه دون مُعين فى الهواء، ولكن مضمون الطفل يصعد من الجسد مسافة لأعلى تتاح له منها إطلالة أفضل على الحدث البشع. ولقد اعتاد التوءمان ، «راينر» و«أنّا» على ذلك الصعود، وهما إلى الآن يعتقدان أنهما ما زالا فى مكان عال يستطيعان أن ينظرا منه إلى الآخرين دونهما. وهما لا ينموان بدنياً إلا نمواً عسيراً ومترددا. ولكن الحس بالأعلى لا يزال باقياً فيهما. وفى رأسيهما يتضخم شئٌ سيُحدث فيما بعد انفجاراً له ضوء برتقالى اللون.

الآن جاء الوقت الذى خلّف التوءمان فيه الأب من ناحية المعرفة الخالصة وراءهما. ولكن الأب يعتقد مع ذلك أنه يعرف أكثر منهما، وهذا ما حققه له العمر. وهو من فعل الخبرة. المعرفة لا العمل هى التى تجعل الإنسان حراً فى هذا الزمن الجديد. ونحن لا نريد أن نعمل، وبخاصة العمل اليدوى، لا. وكثيراً ما يكون هؤلاء الشباب، الذين لا يريدون إلا الرقص والاستماع إلى موسيقى الجاز، بعيدين أشد البعد عن النضج، بحيث لا يستطيعون التعامل مع الحرية، ولهذا تنتزع منهم مرة أخرى.

الأم تنحدر من عائلة أفضل هى الآن دون مستواها إلى حد بعيد. كانت تعمل مدرّسة. وتلاقى الزوجان

فيما بعد على الأرض الواطئة فجأة من جديد. «أنّا» و«راينر» يكرهان والديهما لأن الشباب كثيراً ما يتسرعون ويرفضون الحلول الوسط. وكثيراً ما يرتكب الاثنان أفعالاً شائنة حيال الأب المكروه بأن يقلدا ساخريْن متقززيْن تقززاً ما بعده تقزز كل حركة من حركاته، أو ينتزعان منه عكازيَه أو يمدّان فى طريقه ساقاً لشنكلته (وهو الذى لم تعد له إلا ساقاً واحدة)، أو يبصقان فى طعامه أو لا يأتيانه بما يهوى. ويصرخ الرجل المُسن غاضباً من الاستفزاز والتحرش. ولكنه لا يستطيع بحال من الأحوال أن يقيم الدليل على أنهما فعلا ما فعلاه عامدين. إلا أنه على الرغم من ذلك يدعهما فى المدرسة الثانوية الجيمنازيوم. على هذا النحو، كما يرى الرائى بوضوح ، يمكن أن تتحلل القيَم: قيم النفوذ والسلطة الأبوية.

إلا أنه عنده امرأة وأم يمكنه أن ينتقم منها. يمكنه أن يقول لها إن جسمها أصبح على نحو متزايد يشبه الجبن المتعفن، أو أن يأخذ من الإناء الخزفى المعهود فلوس البيت ويخبئها ، ويتهمها بأنها أنفقتها على نفسها مبذرة. واليوم يشهد مثل هذا الموقف: ماما تلتمس السلوى لدى ولديها فقد أخذ لتوه متعمداً مريلتها الجديدة النوفى وقصقصها قصاصات، وكانت قد فصلتها بنفسها من فضلة قماش ابتاعتها من الأوكازيون، فضلة جميلة منقوشة برسم زهور ملونة، وخاطتها على ماكينة الخياطة التى تدفع أقساطها. لم تكن لديها أدنى موهبة فى الخياطة، ولكنها خاطتها

بكل عناية. وكانت سعيدة بأنها صنعة يديها. وما يصنعه الإنسان بيديه يكون فى أغلب الأحوال أحسن شغلاً وأكثر جودة، لأن الإنسان يعرف من أين وكيف ومم، وهو ما لا يعرفه الإنسان قط بالنسبة إلى الجاهز. ولكن الأريب يخمن بطبيعة الحال ويستنتج: خياطة رديئة ومهملة حتى أن الأزرار سرعان ما تقع، والسعر غال غلواً مفرطاً. ولكن إنتاج الأرخص ممكن. هكذا وفرت الأم الكثير بتحريك أصابعها تفصيلاً وحياكة، وهاهو ذا بابا يقصقصها قصاصات قصاصات عامداً متعمداً. لا لشىء إلا لأنه أساساً لا يريد لماكينة خياطة أن تضع قدمها فى البيت. إذا خاطت الأم لنفسها هلاهيل جديدة فسيخطر ببال رجال أغراب مجهولين أن يحملقوا فى جسمها المترهل المتهالك. وما أنواع القماش التى تختارها إذًا؟ صحيح: أقمشة مثيرة ملونة أو ما تفهمه على أنه ملون (نقشات على شكل عيش غراب صغير، نحل، جعارين، زهور إلخ). وما التفصيلات التى تختارها؟ صحيح: تفصيلات تحدد صدرها وفخذيها وردفها، بقدر الموجود منها. وهى أشياء لا يجوز تحديدها. هذه الأشياء لبابا فقط وليست لأحد سواه. أنت تريدين طبعاً إغراء بعضهم، ولكننى وأنا مبتور الساق أكثر رجولة من أى رجل آخر تكون له ساقان ولا يكون رجلاً. هل تريدن أن أبرهن لك على ذلك تواً؟ هيا. لا يهم على السجادة المبقعة بجانب السرير أو فى السرير ذاته، الذى شهد الكثير من الألم والدم والذى

تفوح منه رائحة نتنة قميئة. وليس من الممكن أن يغسل الناس الغسيل دائماً أبداً بأيديهم ، فالإنسان يحب كذلك مرة أن يقرأ كتاباً جيداً وأن يرتاح. ولكنك تتصرفين تصرفك المعهود، فبدلاً من أن تشترى غسالة أنت تشترين ماكينة خياطة. ولو كنا اشترينا غسالة لكنا الآن نظيفين، ولكن ما نحن الآن؟ نحن قذرون. وأنت تلبسين مريلة جديدة حمراء. هيلاهوب، المقص. شغل كثير تبدد فجأة. تلك سفالة.

اعتبرى نفسك سعيدة لأننى لم أحدث بك أنت أيضاً إصابات بدنية وجراحاً قد تعلمتها. على الإنسان أن يغالب نفسه أولاً، بعد ذلك تسير الأمور من تلقاء ذاتها. بالمناسبة، عندى فكرة لسلسلة صور جديدة، فى مقدورى أن أحدث فى جلدك خدوشاً وشقوقاً وثقوباً. ولكن من الممكن أن أرسمها بالألوان المائية التى يستخدمها الأولاد.

قالت الأم بأسلوب التملق الرخيص لولديها حيث تلتمس التفهم ولا تجده: صنعت لكما تورتة مشمش. وهى تبنى تملقها على أساس التعليم باعتباره درجة تمهيدية نحو هذا التفهم، وعلى «إيقاع قلب الولدين ولكنهما خرجا من الإيقاع منذ وقت طويل. لقد وضعت استثماراتها فى «أنّا» و«راينر»، وهذه هى النتيجة، الاثنان اللذان خرجت بهما دونما سواهما خاليان من كل دفء ومن كل عاطفة. هذه هى التورتة، وهذان هما الصحنان الزجاجيان. إننى أصنع كل شىء

هنا حيث تراكمت الكتب الكثيرة، فلم يعد للتورتة الطازجة مكان على الإطلاق، ابعدا كل هذه الكراكيب بعيداً.

لا، الكتب لن نبعدها بعيداً، لأنها أهم من أى تورتة. ونحن نقرأ فيها الآن أن وجودنا قيمتُه صِفر. انسحبى فى سكون إلى حيث أتيت يا ماما، هكذا يرميانها التوءمان بعيداً. المسكينة غير مرغوب فيها فى كل مكان. وهذا شىء يؤثر فى حالتها العامة تأثير الكارثة المحدقة.

وبعد أن صرخ التوءمان فى أمهما صراخاً عنيفاً، انتقلا إلى التورتة فالتهماها عن آخرها. هنالك يغدقان على نفسيهما بلا حدود.

لم يبق لماما قطعة واحدة منها، على الرغم من أنها كانت تود أن تأكل قطعة .

«راينر» يعتقد أن اضطرار المرأة إلى السكوت على ما يجرى عليها بدنياً يساوى الحط من قدرها. وهو يلاحظ ذلك على أمه التى تصرخ فى حجرة النوم صرخات استغاثة. ومن الممكن أن تكون أشياء غير سوية تفعل بها ولهذا تصرخ. وكثيراً ما لا حظ الأقارب أيضاً على «راينر» نظرة غير سوية، لعلها نجمت عن أنه رأى هذه الأشياء فى حجرة النوم مراراً وتكراراً. ولكنه لم يُنعم النظر إليها قط. سرعان ما تنزل رأسه تحت اللحاف. فلا يبصر بشىء وإنما يشم رائحته هو. أحياناً لا يأكل «راينر» إلا حساءً ويرفض الطعام اليابس الحرش، على الرغم من أن الرجال يحبون الطعام الحرش. «أنّا» لا تأكل فى كثير من الأحيان شيئاً من طعام، وتظل على هذه الحال أياماً. عندما ينهض الأخوان بعد رفض تناول الطعام يأويان إلى سرير واحد .... يفصل بينهما حاجز مقصود، فهما ولد وبنت، ويجعلان بينهما وبين العالم الخارجى ساتراً. «راينر» يكتب قصائد، حتى يؤدى الساتر وظيفته على نحو أفضل. كثيراً ما يرى وجوهًا فى

الأشجار تحت هذا المخرف على كتابة القصائد. ليس له أصدقاء، بل زملاء ليس إلا، يتصرفون ضده على نحو يتنافى مع الزمالة، وهو أساساً يحتقر الزمالة. عندما يكتب «راينر» الشعر، فهو لا يقوم بحركة طلية مثل السمك الذى يقفز عالياً، كما عهدناه كثيراً عند موزيل (*) يقفز عالياً وفضياً.. بل حركة إلى الحفر والعض.

«راينر» و«أنّا» يعيان كل ثانية أنهما، نتيجة لانتقال والديهما للإقامة فى المدينة، قد أفلتا من أماكن مثل «إيبزيتس» Ybbsitz و«لا على التايا» Laa an derThaya «ولا على البيلاخ» Laa an der Pielach أو تلك التى تحمل اسم «زانكت ميخائلس .St. Michaels إنهما سعيدان لأنهما غير مضطرين للحياة فى إقليم بشع فكرياً يعرفانه من دوّار الجدّة الفلاحى. كل شىء ممكن احتماله إلا هذا. حيث العقائق الألبينية والحدادى وغيرها من الواغش والخشاش تتعلق بمخالبها صارخة فى أشجار ارتسمت عليها علامات الشتاء. حيث سحابات مختلفة تئز فوق سماء غائمة، الأيِّل يثغى وتلاميذ مدارس إلزامية وتلاميذ مدارس ابتدائية معتوهون يكبسون لحمهم كبساً فى أتوبيسات عامة. بينهم يشغى ميكروب الفقر. هذه الطحينة من الأطفال التى تتصاعد أبخرتها من ملابس صوفية قديمة موروثة عن إخوتهم الكبار.

(*) الأديب الشاعر النمساوى روبرت موزيل (١٨٨٠-١٩٤٢) Robert Musil صاحب الرواية الضخمة التى لم تتم «الرجل الذى بلا صفات» وقصص مثل مجموعة «ثلاث نساء» وغيرها. (المترجم).

يقول «راينر» لا قدَر يطرق بابهم، فقد حكم عليهم منذ مولدهم بالموت، وفى رءوسهم جميعاً دائماً الصورة نفسها. الصورة التى فى هذا الرأس مثل الصورة التى فى الرأس الذى يليه. ويحدث هذا فى البلد الحر، الذى ليس به على أية حال أى أثر للحرية. بقاع سخيفة لا مذاق لها تمتد داخل المطر، لا يرى الناظر حدودها، ولكن الحدود موجودة، موجودة فى رءوس السكان. ولقد اكتشف التوءمان ضيق الأفق أيضاً فى المدينة الكبيرة ، ما أعجب أنهما قد تغلّبا على هذه الحدود منذ حين. لقد انقضا بأسنانهما المدببة على الحبل السُّرى ذى البريق المائل إلى الزرقة الخاص بأماكن إقامتهما المحددة سلفاً فقرضاه حتى انقطع. السرسوب الدموى تتساقط نُقَطُهُ من ذقنهما. لسانان باهتان، لسان «راينر» ولسان «أنّا» يلعقانها. عما قريب لن تكون هناك بقية جلْد من الحدود الطبيعية. مساحات واسعة شاسعة لا نهائية تتفتح بشمس باردة مثل صفار بيضة غير مجروح من حوله لبن.

لو كان هنا من يجرح، فهما «أنّا» و«راينر»، هما اللذان يجرحان.

لم يعد هنا صقيع شوارع قروية يحدث صليلاً، ولا أحذية خروج رقيقة النعل لأيام الآحاد، لا تناسب الجو ولا من يلبسها. لا شىء يندفع كالزمبلك إلى سينما

رعاة البقر ويخرج بنفسه على هيئة رعاة البقر (*) على الرغم من أن الإنسان لا يجد هناك سوى مهابيل آخرين تتدلى من أنوفهم كالفوانيس إفرازات لم ينظفوها واكتست رءوسهم بالبريانتين. لا خوف من الرجوع فى وقت متأخر إلى البيت، ولا من أن يتلقى المرء ضربات بآلات حادة. ثم يكون على المرء فوق هذا وذاك أن يحمل إلى الحظيرة جرادل ثقيلة مرهقة مليئة بشراب الخنازير الدافئ. وإذا نسى المرء قبل ذلك أن يخلع أحذية الخروج فلا مفر من أن يعتبرها أحذية للحظيرة.

ليس التوءمان شخصين هامشيين، بل هما ممثلان رئيسيان. إنهما مركز الدائرة، وما هو بنقطة، بل شريحة عريضة من الناس.

لا يطل من «أنّا» و«راينر» ابتهاج بالحياة، كالذى يطل من إنسان فى مقتبل العمر ينصت إلى الراديو الترانزيستور، وإنما يطل منهما غيظ وتقزز. يعطى الناس أولادهم حباً، وكأنما يستوى هذا مع ألا يحبوهم على الإطلاق. الأولاد يعتقدون أن فى كل إنسان قطعة غير محددة. هى شىء لا يعرفه أحد مسبقاً، يسقط من الحقل الاجتماعى، ويكون لذلك

(*) وصف لانهمار مؤثرات أمريكية وأجنبية من مصادر أخرى غيرت أسلوب حياة الناس فجأة ودون مبررات ودون حاجة ودون فهم ودون استيعاب، هنا حديث عن موجة رعاة البقر فى السينما، وموجة البريانتين إلخ. وسنعود بلينك إلى نقد هذه المؤثرات مراراً. (المترجم).

حراً كل الحزية. الناس اللى تحت ، التحتانيون ، فقط هم الذين يحبون أكل التورتة، ويحبون أن يسمعوا الفيس بريسلى Elvis وبيتر Peter وكونّى Conny [1].

«راينر» يأكل [2] شوربة فراخ خفيفة تسبح فيها كما حدث من قبل أشياء لا سبيل إلى تعريفها وتعكر الشوربة مرة أخرى.

جونيللات كونّى [3] الجديدة، هذه الجونيللات الموضة، تمزيقها بالأسنان، شىء ربما كان من الممكن أيضاً أن يفعله الإنسان. فى الفترة الأخيرة أحبت جماهير البنات الرمادية لبس هذه الجونيللات، لأن قماشها رخيص، والإنتاج كبير، والجونيللا تنشر البهجة إذا كانت حمراء، وهى دراماتيكية إذا كانت زرقاء.

هدم تسريحات الشعر المنفوش المكعبة بالشعر(أعشاش الحدآن) فوق رءوس بنات قبيحات قبحاً يجاوز التصور وحل تلافيفها بفك البنس. ومضغ «البلوفرات النيقى» الكثيفة الوبر بالأسنان ولتها وعجنها حتى تتلبد وتفقد كل أثر لنفشتها وتتبَط وتلين وترتخى وتصبح بلوفرات عادية. «راينر»يعض بالنواجذ فى شفته حتى تنزف دماً عندما يخطرن

(١) أصحاب الأغاني الرائجة انذاك (المترجم).

(٢) الألمان لا يشربون الشوربة والحساء إلخ بل ياكلونها. (المترجم).

(٣) كانت المعجبات بالمغنية كونّي يلبسن ما تلبسه ويعتبرنه موضة. (المترجم).

أمامه على هذه الهيئة ويقلن خذني، لا بل خذني أنا، وقد رسمن على الجفن العلوي خطوطاً وصبغن الشفتين بأقلام الشفاه البيضاء أو كريمة الشفاه الوردية الفاتحة وهن قطيع أغلبه رمادي الهندام وبعضه منقوش بنقوش زهرية. تحت الجونيللا التي نشّتها الأم رائحة هذا الجزء من الجسم. لابد من جونيللا تحتانية «پتيكوت»، ولكنها لا تصلح للغسيل.

«راينر» لا يريد الآن أن يدخل في علاقة وثيقة مع بنت، بل يريد أن يحكم على البنات من بعيد. وهو يعلم أنه لا يزال لديه وقت.

ماما تدخل قليلاً، وتفزع بحق من نسلها، ولكنها تقول، هذا النسل يجدر به أن يكون عنده شيء جميل وأن يعمل شيئاً جميلاً في أفكاره وكلماته وأعماله. وهما لهذا السبب يذهبان إلى المدرسة الثانوية الجيمنازيوم، وهذا ما يتعلمه طلاب العلم هناك. عليهما أن يبنيا جسوراً لا أن ينسفاها، الجسر الأول يوصلهما إلى رفاق الإنسانية، والجسر الآخر يوصل رفاق الإنسانية إليهما. ولكن التوءمين لا يريدان بناء جسور.

«أنّا» نحن في واقع الأمر حريةٌ تختار، ولكننا لا نختار أن نكون أحراراً. الحرية محكومٌ بها علينا. إنني عندما أنظر إليك يا ماما، أجد هذا صواباً. أنت متروكة في الحرية وهذا صحيح بالنسبة إليك. وليس هناك من سبب في كونك متروكة إلا وجود الحرية. وهذا هو ما يراه الناظر إليك بادياً عليك.

ماما لا تفهم هذا الكلام، ولكن الشىء الذى تعرفه هو أن العالم سيصبح أحسن حالاً ، إذا ما استمع هذان إلى فلاسفتهما وفنانيهما أكثر من استماعهما إلى عقلهما الأنانى الضيق المتدنى الذى يفتقر إلى الإحاطة. عليهما أن يصدقا بيتهوفن وسقراط.

يشرح التوءمان للأم أن عدم وجود هذه الأم أمر قابل للتفكير وللاحتمال. الأم: لقد أنجبتما أحدكما تلو الآخر. لهذا فأنتما موجودان، وأنا موجودة. ما هذا اللغو. ألا إن هذا العالم جميل غاية الجمال وواسع غاية السعة وملوَّن غاية التلون وشاب غاية الشباب، وبخاصة وقبل كل شىء آخر عندما يكون الإنسان نفسه شاباً. لكما أن تقصا پوستر إلفيس الجديد، هاهى ذى تسمح لهما بذلك أخيراً، على الرغم من أنه كان ممنوعاً من قبل.

ويطردان الأم طردهما ذبابة مزعجة. وتعود لهما مرة أخرى تلك النظرة غير السوية التى كانا ينظرانها من قبل.

تذهب الأم إلى حال سبيلها وتقول وهى بالباب، إن ولديها اللذين سيظلان عند ماما طوال حياتها طفليها الصغيرين، اللذين تقوم على رعايتهما، يجب أن يُسمح لهما بأن يفرحا بأشياء صغيرة. من الناس من لا يطيقون أشجاراً وزهوراً وخمائل شُكلت بشكل غريب على هامش الطريق بل يعمدون أحياناً إلى تشويهها. وهم نفس الناس الذين يعذبون الحيوانات أيضاً. إنهم من العوام الذين لا فكر لديهم، وما هكذا يكون

أولادهم. ينبـغى على أولادهم أن يراعـوا الأشـيـاء الصغيرة التى على الهامش، والتى لا يلحظها آخرون. وعلى هذا ربت مـامـا ولديهـا. وكم صـارعت فى هذا السبيل زوجها. إلا أن هذا الرجل باعتباره جندياً جلفًا بفضل مشاهدة أفلام التسلية الرخيصة. ولو لم يكن جلف لما استطاع أن يقتل. كان بحاجة إلى الجَلافة. وما كانت النعومة لتصلح هنا ، لأنها كانت ستعارض هذه الصورة التى تتخذها مهنة هذا الرجل.

ولا تزال الأم ترى أمامها فمه وقد فغره أمام فيلم هاينتس ريمـان Heinz Rhmann (*) المسلى. وفيلمه المحبوب، أحب الأفلام إليه هو فيلم «فُويَرْتسانجِنْبُوله» Feuerzangenbowle ولقد شاهده مراراً وتكراراً دون كلل أو ملل. فى هذا الفـيلم كـان يتـعـرف وحـده إلى

(*) ممثل كوميدى ألمانى (١٩٠٢ ـ ١٩٩٤) كان مشهوراً فى النصف الأول من القرن العشرين، عاصر عصر النازية، وطولب بتطليق زوجته اليهودية فى عام ١٩٣٨ ففعل، ولم يكن من أتباع النازية، ولكنه لم يناصبها العداء. ومن أفلامه فى ذلك الوقت «فُويَرْتسـانجِنْبُوله» Feuerzangenbowle (١٩٤٤)، الذى منعته الرقابة، ثم صرح هتلر بعرضه بعد أن زاره هاينتس ريمان زيارة خاصة. وكلمة Feuerzangenbowle (المكونة من لفظتين ماشة Feuerzange+bowle شفشق مكور) تدل على مشروب كحولى يصنع من خليط من أنواع مختلفة من الخمور وقد يضاف إليها فاكهة مقطعة وتوضع فيه قطعة من السكر بعد حرقها فى اللهب وهى ساخنة يمسكونها بماشة ويقولون إنها تعطيه مذاقاً خاصاً. ولهذا الشراب عشاقه من السمار فى بعض مناطق ألمانيا وربما فى مناطق أخرى. وفيلم «فُويَرْتسـانجِنْبُوله» Feuerzangenbowle الحافل بالمغامرات والمقالب المضحكة مأخوذ عن رواية بنفس الاسم من تأليف «هاينريش شبورل» Heinrich Spoerl، صدرت فى عام ١٩٣٣(المترجم).

التلميحات الخفية بينما كان الآخرون يقهقهون قهقهة كصهيل الخيل للحيل التى المبرّزة. كان هذا الفيلم فى وقت نشأته يستشرف المستقبل. ولقد تنبأ الأب بذلك. وكثيراً ما يحكى الأب دون أن يطلب أحد منه موضوع فيلم «فُويَرْتسانجنْبُوله»، الأولاد للأسف لم يعودوا يستطيعون معايشته. فى هذا الفيلم كان الزمن الجديد آنذاك يطل بوجهه الحقيقى فى شخص هذا المدرس الشاب الذى كان يمتلك مثلاً قومياً أعلى. يقول المعلم فى هذا الفيلم السينمائى إن الزمن القديم لابد أن يختفى دون أن يوقفه أحد. وبابا يرى أيضاً هذا الرأى، والتوءمان يجهزان على التو هذا الزمن الجديد. ولكنه زمن أجّد من الزمن الجديد الذى يتحدث عنه الفيلم.

ماذا تريدان إذًا، أنا على أية حال ضد كل ما ولى عهده من تقاليد. ولقد شاهدت كذلك عدداً من الأفلام الاستعراضية تمثل فيها ماريكا روك Marika Rökk، وهى ذات مقومات هائلة وقوة إرادة، لأنها لا تزال ترقص. وكان هناك فيلم هانس كريستيان أندرسن (*) Hans Christian Andersen المؤثر. الممثل الذى لعب الدور الرئيسى فيه شق بعد ذلك بطنه وبطن زوجته وأولاده لأن زوجته هذه كانت يهودية. قبل موته أتيحت له للمرة الأخيرة فرصة عرض فكاهته الإنسانية العميقة كل العمق والبريئة

(*) هانس كريستيان أندرسن (١٨٠٥ ـ ١٨٧٥) Hans Christian Andersen الأديب الدنماركي الشهير مؤلف مجموعة مهمة من أقاصيص الأطفال.(المترجم).

من التخريب. وهذه الفكاهة لا تؤدى وظيفتها إلا عندما تخرج كليةً من الداخل. وهذا الداخل تهرأ بفعل سم سريع المفعول. ومن الناس مَن يموتون دون أن يلحظهمً أحد إلا أقل مما ينبغى، وربما بعد معاناة ألوان أشد من العذاب. هكذا تهرأت الأحشاء، ولم يبق الأديب صاحب الحكايات للخلَف إلا على شريط سيللولويد. وهكذا بقى منه شىء دائم الحياة.

جميلاً جميلاً جميلاً كان الزمن.

رمال الصحراء حارقة

ضوء ربيعى ناعم نعومة خاصة يسقط من خلال الأبواب الزجاجية التى أبدعها الفنان [1] «لاليك» Lalique والتى زارت فى باريس فى عشرينيات القرن العشرين معرضاً عالمياً ثم أتت بعد ذلك مباشرة إلى فيينا. كذلك «زوفى» تتصور نفسها أيضاً شيئاً من زجاج، أو من پورسيلين ملمع أو من أحب شىء إلى نفسها، أى من صلب نفيس. [2] والرياضة البدنية تُلَمِّع «زوفى» من كل ناحية وقد استطاعت الرياضة البدنية بالفعل أن تجعلها متحركة فى كل الاتجاهات. وما لم تحققه الرياضة البدنية، تحققه مكتبة الأب، ألا وهى الخلفية أو المستوى. ولكن «زوفى» بالأحرى بنت رياضية أكثر منها مدفع ثقافة. فهى ليست وحشاً

(١) حظى الفنان «رينيه لاليك» René Lalique (توفى فى عام ١٩٤٥) بشهرة فائقة بإبداعاته التى استخدم فيها الزجاج والكريستال والألماس والجواهر والأحجار الكريمة، وبموهبة فذة فى اللعب بالألوان والشفافية والنور والتعتيم، وتهافت الأثرياء على اقتناء أعماله ومنها الفازات والأبواب . (المترجم).

(٢) الترجمة الحرفية الدقيقة للكلمة الألمانية الدالة على الصلب الذى لا يصدأ أو الإستينلس ستيل. (المترجم).

من وحوش الذكاء. كل زوايا كيانها الحادة تدوّرت أكمل التدوُّر واكتملت تسقية وتقسية معدن «زوفى» وتلميعه حتى بلغ أروع بريق. التوسيخ غريب على كيانها كل الغرابة، تماماً كما كان كل اللاألمانى منذ سنين غريباً على الطبع الألمانى، إلا أن حركة سياحة قوية قد بدأت اليوم ، وجاءت بالعالم إلى الألمان فى عقر دارهم، وبالتالى نقلت الألمان إلى العالم خارج دارهم.

ثم إنه ليس هناك فى هذه المساحة الناعمة التى تغرى فعلاً بالهجوم نقطة للهجوم ينزلق الإنسان دائماً عندها. وهذه هى «زوفى» تدخل مرتدية لبس التنس (وهى ترتدى دائماً صنوفاً من الملابس الرياضية) وتقول لـ «لراينر» الذى يجيش بين جوانحه حبٌّ لها، ولكنه لا يجاهر به، حتى لا يفقد مركزه، سلفنى بسرعة ورقة بعشرين للتاكسى، فليس معى الآن بالمصادفة نقود، وماما خرجت لشرب الشاى. ويبحث «راينر»وهو يبكى بكاءً خافتاً فى كيس نقوده الصغير، وتتلقى «زوفى» منه النقود التى تعتبر مبلغاً كبيراً بالنسبة إلى «راينر» لن يراه مرة أخرى يقيناً أبداً. فالنقود بالنسبة إلى «زوفى»أساساً لا شىء، لأنها موجودة بداهةً. وبينما يظل «راينر» يتابع بنظره ورقته الجميلة من فئة العشرين، حتى بعد أن تركت البيت. أبو «راينر» يعتبر ركوب التاكسى مرضًا من أمراض العظماء لابد من أن يقهره ابنه، وهو مرض يفقد معناه عندما يدفع أجر تاكسيات غرباء. «زوفى» ترى فى التاكسى وسيلة انتقال، لا أكثر ولا أقل.

«زوفى» لن ترد إليه النقود أبداً، ستنساها، لأنها بالنسبة إليها ليست بذات قيمة فعلية.

«راينر» سيفكر مضطراً فى هذه النقود وفى غيرها من النقود، ولكنه لن يجرؤ أبداً على المطالبة بردها.

السجادة عبارة عن مساحة عجمية، «زوفى» شىء لابد من الدخول داخله، ولكن الإنسان لا يعرف كيف، فليس هناك موضع لقابض. هل يمس الإنسان فمها ويحيل لسانها إلى طحينة حتى لا تستطيع توجيه مزيد من كلام جارح مهين، أم يتجه إلى أسفل وهو الأصعب. ولكن هذا الانحراف عن المدخل ذلك أصغر الضررين. ولكنه يمكن أن يكون سبباً مرتبطاً به.

فى كل مكان لوحات وقطع تشع ثقافة قديمة وفناً قديماً، لا يمكن أن يشارك الإنسان فيها بنصيب إلا إذا امتلك أولاً هذه الأشياء على نحو ما. وأفضل السبل إلى ذلك امتلاك «زوفى» نفسها، التى ليس بها، كما قلنا، موضع لقابض يمكن الابتداء منه. وعلى الرغم من أن «راينر» درس قوانين الفن دراسة جيدة فإنه لا يملك أى عمل من الأعمال الفنية. ثم إن قوانين الفن لا وجود لها إطلاقاً لأن الفن إنما يكون فناً لأنه لا يخضع لأية قوانين. وإلى هذه النتيجة وصل «راينر» وحده. أما البشر فهم على عكس الفنون يخضعون لقواعد وإلا قيل إن الناس فوضى، كل واحد منهم ضد الآخر. هذا ما تقوله والدة «راينر» لوالد «راينر» وما يقوله والد «راينر» لوالدة «راينر» أما

«راينر» فهو يعشق الفوضى بالضبط لأنه يعرف قواعد التعايش المنظم، ولهذا السبب يحتقرها. وعلى الإنسان لهذا السبب أن يحطم كل شىء وليس له بعد ذلك أن يبنى شيئاً.

هذا مخلب من مخالب «راينر» ينتفض لكى يحاول مرة ثانية مسك «زوفى» مسكة عصماء رافعة، ولكنها تفلت منه وتقول إنها لابد من أن تلبس الآن ثياباً أخرى. مرة ثانية. سأذهب معك. لا لن تذهب معى.

ويبقى من فوره حيث كان. أحد الأخطاء التى لا حصر لها التى ترتكبها الطبقة الوسطى هو أنها تدع الآخر يثبط همتها على الفور عندما تقوم بمبادرات لا حنكة فيها. فما يكاد الإنسان تتاح له فرصة للصعود حتى يرفع يده دون حتى أن يتظاهر بأنه مستمر قليلاً. الويسكى هنا، صب لنفسك منه فى هذه الأثناء.

«راينر» يشد بعنف ثنايا بلوفره المترهل الرخيص، بينما تتملص «زوفى» منه كما فعلت من قبل أكثر من مرة. لقد أصبح الموضوع سخيفاً.

مخه المسكين يسرح تواً إلى صنوف قديمة وجديدة من المذلة. هناك مواضع مشوهة فى عقله يتوقف الفيلم دائماً عالقاً فيها. ليس فيها شىء جميل، كلها أشياء قبيحة. رحلات أيام الآحاد مع الأم تعاود الظهور، عربات ترام تفوح فيها رائحة الجوارب المبتلة بالعرق وحشد من البشر الفقراء فى ثياب رمادية، من النوع الذى تنتجه حرب طويلة ولا تستطيع أن تقضى

عليه قضاءً مبرماً فى التو والساعة. هيا إلى الفينرفالد Wienerwaldغابة فيينا. قلانس صوفية وفقوها من مخلفات حرب صوفية فككوها، وجمّعوها، وبنطلونات تزلج واسعة، أحذية واطية حقيرة وأسوأ شيء : ربطة الأكل القميئة. رائحة الجبن تفوح منها قوية إلى أمام وتصيب الآكلين بالعطش. لا ذهاب إلى مطعم، لأن ذلك يكلف مالاً، الطفل يمكن أن يشرب ماءً، ولكن الماء لا يوجد فى أى مكان. وبعد قليل يلفظ الخبز بالجبن أنفاسه تحت أسنان الأم المعدنية وتتصاعد من معدتها رائحته العفنة لأنها لم تمضغه جيداً. ولا يؤدى المضغ الكثير المبالغ فيه إلا إلى نقل المذاق القبيح ونشره فى كل مكان.

السقيفة الكريهة التى على الإنسان أن ينتظر فيها الترام التالى رقم ٤٣ على الأقل عشرين دقيقة حتى يفرغ من دورة كالشنيطة. المحطة الأخيرة. نويفالداج Neuwaldegg. دائماً أبداً فى الزخم، فى مادة بشرية أصابها الفقر أشد الفقر. وكثيراً ما تَقَرَّر توفير ثمن تذاكر الترام وساروا على الأقدام على طول حارة الستسايلة Alszeile وفى نهايتها أتاحت لهم الأم (الأم الطيبة، الطيبة!) بفلوس التذاكر أن يركبوا لعبة الكاروسل الدوارة، وهو ما جعل الأولاد بطبيعة الحال يعون بوضوح أكبر وجودهم كأطفال، ذلك الوجود الطفولى الذى يريدون أن ينفضوه عن أنفسهم. وعلى الرغم من ذلك يتصايح «راينر» و«أنّى» مهلّين، وقد استقر فى قلبيهما ومخيهما سم عوادم السيارات

المندفعة المصلصلة. لا لأن تلك البيئة تتلوث الآن وقد شوهتها الحرب من قبل، وإنما لأن رأس المال اللازم لشراء سيارة ينقصهما. ثم هذه «أنّى» تتلوى فى رحيع الكلاب وورق القمامة لتشد الانتباه إلى معاناتها النفسية الهائلة. المعاناة النفسية ترف، ولهذا يتركها الناس على حالها ولا يلتفتون إليها. إنها تريد أن تكون وحدها فى سيارة خاصة جميلة، لا مع ناس كثيرين، وبالذات العائلة، فى ترام قذر مقيت، الجميع فيه متساوون، والإنسان لا يستطيع لهذا السبب أن يمثّل شيئاً خاصاً. لم يعد من الممكن أن يأتى شخص يركب سيارة مرسيدس ويسأل ما اسم هذا الولد، أو ما اسم هذه البنت. أو يمسح فوق رأس الولد أو البنت بيدين يكتشف الإنسان من منظرهما أنهما ينتميان حتماً إلى جنس العمال. ولا يلاحظ أن الطفل الصغير الذى دغدغه يحمل فى قلبه سم الفردية. وأنه مستعد لبثّه.

ذات مرة ثارت ثائرة «أنّى» تحت مسّةِ يد فى قفاز، ونفثةِ نَفَس خليط بين الثوم والنتن مرّت من فوقها، وشخص كلمها كأنما كانت طفلة عادية، وهو مالم تكنه آنذاك. لم تكن عادية ولم تكن طفلة. وانساب البول ساخناً بين فخذيها متجهاً إلى أسفل (الاندفاع إلى أسفل) وأخذ يعض غضوباً ولاذعاً فى سروال مشغول من الصوف فى البيت باحثاً بلا هوادة عن مخرج من بؤس يوم الأحد: فى أرضية عربة الترام المقلمة. نقطة، نقطة. وتهوى ذراعا الأم متأرجحتين من فوق لتحت، لضرب مبرح، ثم تصعدان من جديد إلى أعلى، مرة ثانية، رياضة توازن بدنية ماما العزيزة

التى استجمت جيداً لتوها فى هذه الرحلة. صراخ مجنون من الطفلة الأنثى. «راينر» انكمش وتوارى بين جدّين عندما انهالت الصفعة الأولى، وتشبث كذوات المخالب فى حذاء غابة ڤيينا (الڤينرڤالد Wienerwald بقدم أحدهم. هل يذهب الصبى إلى المدرسة؟ ما اسمك؟ بدلاً من السؤال الحس بلسانك أوسخ شىء.

فى الخارج تخرج سيارات أوپل وفولكسڤاجن مثل أسماك القرش من غمامة الخريف وتقفز فى الحال من جديد بأجسامها العاتية قفزة حاسمة الانصياع وإن ظلت رعناء موغلة فى قلب الضباب، وغايتها دائماً نصب أعينها. وفى هذه الأثناء يسير الترام رقم ٤٣ متثاقلاً صاخباً ويكبح جماحه. «أنّا» تقبع فى مستنقعها الخاص، وقد اتسخت اتساخاً مقيتاً، وماما تسأل الأمهات الأخريات النصيحة فيما عليها أن تفعله مع البنت التى مازالت لا تتحكم فى بولها وتبلل ملابسها على الرغم من أنها كبيرة هكذا. اجعليها تتبول فى البيت قبل الخروج، هذا كل ما فى الأمر يا ناس؟ المرة القادمة، هه، عليك أن تتذكرى هذه النصيحة. وانتظرى إلى أن يعلم بابا بما حدث، عندئذ سيستأنف الضرب المبرح تواً. وعلى الرغم من أن بابا لم تعد له إلا رجل واحدة، إلا أن قوة ذراعيه التى أثبت فيما مضى مضاءها، لم تُصَب بشىء قط. نعم، حتى عندما تكون للإنسان ذراعان من هذا النوع، فإن تجهماته تحدث أثراً مضاعفاً. الزمى الآن السكون وإلا أخذتِ صفعة أخرى.

على حين غفلة من الجمع ضم التوءمان أيديهم متلصصين بعضهما في البعض الآخر وكشرا عن أسنانهما اللبنية على نحو ڤامپيرى ينتقم بمص الدماء، انتظرى يا مامى حتى نكبر ونفعل بك مثل الذى فعلته بنا، أو أشد عنفاً.

تحت المقعد نفاية تفاحة وقطعتان من قشر الجبن وكثير من أديم السجق ألقاها أحدهم ظن أنه هنا فى بيته، وأنه يستطيع أن يوسخ كل شىء ويجعله كحظيرة الخنازير، وما هو إلا راكب وسيلة مواصلات عامة هى ملك لهؤلاء العموم. أن تكون «أنّا» مالكة لجزء من هذا الترام فشىء لا يواسيها بحال من الأحوال، فهو بالإضافة إلى ذلك ملك لآخرين كذلك. وكثير من الناس يظنون فى كل مكان يحلون به أنهم فيه فى بيتهم. من المؤكد أنهم يتصرف فى بيوتهم على هذا النحو نفسه، بئس ما يفعلون، أفعال شياطين، هؤلاء الناس موجودون.

الولد «راينر» يعض كالمختنق فى قشر الجبن ويمص فيه ملتصقاً به كدودة علق، رمل مبلل يقرقع بين فكيه اللذين لم يكتمل عليهما صف الأسنان الدائمة بعد. هوب، هذه معدة تتلوى، الخبز المدهون بالشحم الذى كان قد فسد جزئياً يتدافع نحو مخرج. مخرج الطوارئ. الفرحة بالرحلة العائلية يفقدها الإنسان كلها بمرور الوقت عندما تنتهى الرحلة دائماً نهاية مضعضعة واهية. واحدة تتبول على نفسها، والآخر يتقيأ. ويحدث هذا بينما قد يكون من الممكن

أن يجلس الإنسان طوال الوقت على مقاعد مريحة منجدة بالجلد ويقول للسائق إلى أين يحب أن يذهب ويصل بالفعل إلى حيث يحب أن يصل دون أدنى مشقة.

وتدخل «زوفى» من الباب كأنها تدخل من تلقاء نفسها ملمعة، ترتدى على سبيل التغيير فستان بعد الظهر لأن عليها أن تنزل البلد مع الأم. من خلف يسقط نورٌ قوى من خلال باب التراس، ولا يبحث تائهاً عن ضالته المنشودة بل يستقر تواً على شعر «زوفى» الأشقر. وكذلك يتوهج الباركيه قليلاً.

ليس هناك شىء على الطبيعة، ومع ذلك فكل شىء بحكم الطبيعة على الحال التى هو عليها.

الطفل الذى فى «راينر» يبكى صارخاً، وأسوأ شىء هو عندما يأتى الإنسان فى آخر لحظة فلا يجد فى الترام مكاناً للجلوس ويضطر إلى الوقوف. ولا يفيد الزن فالكبار لا يقفون للأطفال، بل على الطفل أن يكون فى كل وقت مستعداً للوقوف. يجد الإنسان بالترام نفسه فى واقع الأمر كله مضغوطاً مدفوعاً قطعة بعد قطعة إلى داخل غابة قبيحة مظلمة وإلى أجسام قبيحة أيضاً، دون أن ترى عين مدخلاً أو مخرجاً. الإنسان الآن فى الداخل نهائياً وعليه أن يسير بالترام مع السائرين. يجد الإنسان نفسه وقد وُضع واقفاً فى داخل آخرين، يوارى نفسه بين معاطف شتوية نفتالينية و«أنوراكات» من أيام ما قبل الحرب. وفى مكان ما - والإنسان لا تخطئه النوائب -

شابان حسنا المنظر، من المؤكد أنهما طالبان، تحت أيدى أبويهما سيارات خاصة، ولكنهما ليس لديهما اليوم وقت ليأخذا الابن والابنة بالسيارة إلى مكان ما، ولكن السيارة موجودة موجودة موجودة ، ملكهما، هما اللذان يتحدثان عن التزلج على الجليد وعن رحلات المجموعات كما لو كانت شيئاً طبيعياً جداً. على الإنسان أن ينافسهما، ولكنه لن يستطيع ذلك أبداً مع هذا الأب وهذه الأم، على الفور عندما يبلغ سناً معينة، ولكن لابد من أن يمر وقت حتى ذلك الحين. كم يبدو على شكلهما أنهم من المسحوبين المدببين الذين يخترقون الريح، كأنهما أناس للغد منذ الآن، ويا للهمة التى يملكون ناصيتها. وهذه البنطلونات الحديثة الضيقة المسحوبة المدببة! هذان لا يمتلكهما أحد، وذلك أمر واقع يراه الناظر إليهما على الفور، فقد أتيح لهما أن يعيشا وحدهما حياتهما إلى منتهاها. فى الوقت الحالى مازالت يد الأم تضغط على الطفل تجاه الأرض وتحيله إلى طحينة وتجعله يُحضر بأسنانه كالكلب المروض قشر الموز.

و«زوفى» ـ التى لا يسمح غلافها الخارجى بإمكان التعرف إلى وظائف جسمانية من هذا القبيل، وخاصة تلك التى تتجه إلى الأعمق وبالتالى إلى الأسفل، ولكنه مع ذلك يقوم بوظائفه، بل على خير وجه، ولكن لا أحد يرى كيف أو بأية وسيلة ـ تخرج بعيداً وتذهب مراراً لا تحصى إلى مكان ما كتب عليه ممنوع الدخول. تقريباً فى كل مرة نقابلها فيها تكون مضطرة

إلى الذهاب بشكل ملح إلى مكان ما (*) ، وهى تأتى دائماً متأخرة. وإن لم يكن لهذا أهمية لديها. «راينر» هو الذى لا يتبعها بل يبقى ويغتاظ.

(*) كثيرًا ما يعنى هذا التركيب المبهم، الذهاب إلى دورة المياه (المترجم).

هم ينتحون جانباً، لا لأنهم ينفرون من النور، بل لأن النور ينفر منهم وهذا أمر يفهمه كل لبيب. يحدث هذا فى حوش المدرسة وفى الفصل. عصبة الذئاب تتحلق دائماً فى أركان بعضها حول البعض. وهى تتظاهر بإنسانية فوقانية لا مراء فيها، وهو ما قد يحب الآخرون أن يتظاهروا به، ولكنه لا يبلغ بهم إلا إنسانية تحتانية لابد من أن تكون موجودة لكى يبرز جهد إنسانى فوقانى ما. فجأة تمتد أرجلهم من حنايا مظلمة ، فينقلب متعثراً فيها دائماً تقريباً ولدٌ لينٌ حبيب ماما أو بنتٌ لينةٌ حبيبة بابا تلبس جونيلة بنقشة مربعات ذات كُسَر. الزملاء أولو الهمة من الطلاب يقولون إن موضوع الحديث بينهم حبْلُه لا ينقطع أبداً عندما يذهبون مع صديق أو صديقة لتناول الجيلاتى. إنهم يتحدثون عن كيفية قضاء وقت الفراغ بشكل له معنى، عما يحدث فى المدرسة، من يمشى أو من تمشى مع من فى مدرسة الصنايع العليا أو الجامعة أو من لم تنل إلا مستخدماً تجارياً وسيماً كريماً تمشى معه. وثمة مواضيع أخرى للحديث هى

حـفـلات الموسـيـقى، المسـرح، المعـرض ، البـارتى، الإسطوانة. أما جماعة الضغط «أنّا» «زوفى» «راينر» فإنها ترفض مثل هذه الموضوعات. فقد كبروا على مرحلة الإسطوانة، ولكن ، إنْ لم يكن منها بد ، فلتكن إسطوانة كـول چاز [1] أو روك سـاخنة. و«زوفى» ترفض ما يقل حِدَّة عن هذين اللونين من الچاز لإنها ليست بحاجة إلى أن تصنع حِدَّة. الأشياء تأتى إليها، فتقول لها أحياناً ابعدى اليوم بعيداً، وأحياناً تقبلها. بحسب رغبتها ومزاجها. و«راينر» يقول من الخير أنها تظاهر بالصلابة، أما بين ذراعيه فلها أن تستجيب، وأنت تلين مرةً أيضاً.

لابد من أن يشحذ الإنسان فى «زوفى» المبرر كما ينبغى سلفاً، لكى ترتكب جريمة أو عدة جرائم، لأنها بذاتها لا تعتقد أنها بحاجة لأن تجهد نفسها. كذلك ليس جميلاً أن تسهر بالليل وأن تقوم بأشياء تنفر من النور، ويتطلب الأمر منها أن تغالب نفسها حيث إنها فى هذا الوقت يمكنها أن تتمدد فى فراشها وتقرأ رواية بوليسية مثيرة.

«شتيفتر» [2] Stifter الذى مات منتحراً يرفع صوته أعلى من حصة اللغة الألمانية القلقة، ضحية

---

(١) cooljazz نوعية من موسيقى الچاز القوية كان لها جمهورها المتحمس في مطلع خمسينيات القرن الماضي. (المترجم)

(٢) ادالبرت شتيفتر Adalert Stifter اديب نمساوي (١٨٠٥-١٨٦٨) توفي منتحراً ليأسه من الشفاء وعجزه عن احتمال آلامه. آمن بعلاقة عميقة بين الإنسان والطبيعة، ووصف الكثير من مشاهد الطبيعة، وربما ضاق به المتمسكون بالأدب الرقيق المنضبط=

تخطيطه الفاشل لحياته وزواجه المحطم، لم يجد شيئاً يعمله أفضل من أن يكتب بأسلوب كأنه المرهم فى وصف احتفال رفيع بعيد العَنصَرة، يخرج فيه إلى طرف الغابة الساكن، لا حيث وقف أيل صغير نشيط (لا يحفل بأن يقف عنده أو لا يقف، تعليق «أنّا» بتصرف)، بل حيث يوغل للنزهة فى شىء يعتبره كما يقال منظراً طبيعياً لانهائياً، ماذا يعرف سيادته عن اللانهائية. عقله لا يستطيع إدراكه. «راينر» يشعر فى ذاته بلانهائية أديب يحطم كل الأغلال. هو، لا «شتيفتر»، يشعر بها، «شتيفتر» برهنها بحياته الفاشلة، إذ إنه لم يثق فى قدرته على فعل شىء. ويستعرض «أدالبرت شتيفتر» المزيد من صنوفٍ من الجمال ليس فقط عن أحياء بل عن كائنات جامدة لا حياة فيها «راينر» يفكر:الطبيعة تميل إلى الغرق فيما لا حياة فيه، ولا يزيد ما نفعله عن مساعدتها فى ذلك. يدون ذلك فوراً فى ورقة من كشكول لـ «زوفى» كانت لتوها تخطط فيها رسوماً ظلية لخيول. إنها لا تحفل بما لا حياة فيه، بل ببث الحياة بالرياضة

= المتغنى بالشاعرية، وربما وجد البعض فى كتاباته إرهاصات متشائمة، وربما أساء إلى صورته إعجاب نيتشه به، وقد أحاطت شكوك من اتجاهات مختلفة بنيتشه وما يمكن أن تكون النازية قد اغترفته من آرائه. ولا تخلو برامج تعليم اللغة الألمانية والإنشاء والنصوص والنقد على أية حال من بعض أعماله أو مقتطفات منها لنقاء لغته ورصانة أسلوبه كما يقول المولعون بالتراث ، بل إن نيتشه كان يعتبره من أهم الناثرين الألمان فى القرن التاسع عشر. وانوه هنا بفصل عنه فى كتابى "صفحات خالدة من الأدب الألمانى"، بيروت ١٩٧٠. (المترجم).

البدنية. لابد للإنسان من أن يكون على وعى بجسمه أو بجسم حصان عندما يقع من الخطوة البطيئة إلى الركض. ثم تقلب الريح الحصان والفارسة، ويضيّع الهواء الطلق المزاج المتعكر وانعدام الراحة. فى مثل الهواء لا ينبغى أن يخلد الإنسان إلى الراحة وإلا علاه الصدأ.

ولكن الشر يفضل أن يلزم أماكن مستورة عن الريح، أما الشباب الشاحب المايع فيفضلون الأماكن المغلقة كالحانات المتخذة فى القباء تحت المبانى، أما فى الخارج فى ضوء النهار فيؤثرون على التو أن يأخذوا بأيدى العميان لعبور الشارع أو أن يداعبوا كلباً صغيراً.

ماذا يعنى هذا الضجيج، «ڤيتكوفسكى» رقم واحد و«ڤيتكوفسكى» رقم اثنين، هل تسكتان من فضلكما، أم أسجلكما فى دفتر الفصل وما تفعلان من ضجيج؟ لا، لا تسجلى أى شىء على الإطلاق، إلا سقطاتك الخاصة اكتبيها فى مفكرتك الخاصة. من المؤكد أنك فى كل أسبوع ترتكبين سقطة. من فمك تفوح رائحة، وبشرتك لونها رمادى قبيح ورسغا قدميك وارمتان متضخمتان، يا سيادة الأستاذة «أنّا».

«شتيفتر» ينقّر كطائر نقار الخشب عن طيب خاطر على بريق النسمات البراقة وسحابات إبريلية عجيبة مليئة بنظرات الشمس ومن خلالها الخطوط الخضراء الجميلة التى ترسمها بذور الشتاء، و «راينر» يقول كان الأحرى به أن يكون له عضو أخضر جميل،

ويرمق «زوفى» من الجـــانب وينفش ريشـــه وينقنق ويقأقئ .

«أنّـــا» تقترح اجتذاب «هانس سيب» الذى تعرفت إليه منذ وقت قليل فى حانة چاز فى قبو، هو الآخر ليرتكب معهم جريمة أو اثنتين. وترى أنه سيكون أداة مثالية وأن عليه أن يهجر شريحة العامل. الرأى العام يناسبه دائماً شخصٌ منعدم الحيلة نسبياً فى المصنع ، فى المكتب، على هذا النحو أو غيره. «هانس» مكلف من قِبَل اتحاد «إيلين أونيون» بأن يشتغل فى أعمال كهرباء الضغط العالى. وهو على ما يبدو دائماً فى خطر يتهدد حياته. التيار الكهربائى يحب أن يقتل، قتلاً نظيفاً مباغتاً مؤكداً. وهو لا ينذر مسبقاً، إنه يأتى من العدم. المُهان يرى فى مكتبه كثيرين يجرى عليهم مثل الذى يجرى عليه ولا يغيب تضامنه معهم. وهذا التضامن يعطيه بالتالى قوة لا ينبغى أن تكون له فى مجموعة «راينر»، لأن «راينر» هو بشكل نهائى القائد، فقد جاءته الفكرة هو شخصياً. ومهما يجول «هانس» ببصره فلا يجوز أن يظهر عاملٌ آخر مثله، وليس له إلا أن يرانا نحن فقط. إلام يصير، يصير متلقياً لرسائل، لتحذيرات، لأوامر، لعبارات تشجيع.

«أنّا» تقول إن سرقة محافظ نقود عمل طفولى، أنا أود على الفور أن أنسف شيئاً. فيلتفت ملتفتون إلى الذى نسف، ولن توليه الدنيا إهمالاً عاطفياً، بل توليه اهتماماً.

«راينر» يخترع أكاذيب إذ يقول عندما يطير أبوه إلى نيويورك، فإنه هو أيضاً يشعر بقفصه الصدرى فى داخله يُنسَف (كما يقول) من فرط سعادته بالنظر من فوق إلى تحت ، ذلك لأن الحرية فوق السحاب. إلا أن أباه فى واقع الأمر لم يتجاوز منذ نهاية الحرب سڤيتل Zwettl فى حى الغابة. هذه الحقيقة لا يذكرها «راينر» «أنّا» تتذكر أنها عندما كانت طفلة قدمت لبابا باقة من زهور السوسن بمناسبة عيد ميلاده فألقاها فى المرحاض وشد السيفون. لماذا يخطر هذا الآن ببالها؟

حقيقة أن على الإنسان أن يرى هذا، ولكن الفوضوية تكفى عندما يريدها شخصٌ لذاته. فهى تحرره هو بدايةً. ولا ينبغى للإنسان أن يعمد عن طريق الفوضوية إلى بلوغ شىء ما، وألا يكون ذلك بصفة خاصة من أجل مجموعة من الأشخاص ، أياً كان هؤلاء الأشخاص.

يقول (المركيز) دى صاد (*) إن على الإنسان أن يرتكب جرائم. ونحن نستخدم فى التعبير عنها كلمة

(*) المركيز دى صاد Marquis de Sade كاتب فرنسى ١٧٤٠-١٨١٤. صاحب آراء فوضوية تقوم على المادية وإنكار الأديان والدعوة إلى المتع الجنسية المتطرفة باعتبارها حقًا للفرد حيال المجتمع، والرأى عنده أن الطبيعة ما أنشأت البشر إلا ليتمتعوا بلا حدود، وليست هناك أهمية فى فلسفته للضحايا فسقوط الضحايا ضرورة، والألم يرتبط عنده بالحب وما إلى ذلك من مبالغات تصدى لها بالنقد رجال الدين وعلماء الأخلاق والنفس والاجتماع والسياسة. وكلمة السادية أو الصادية التى تعنى التمتع بتعذيب الآخرين نحتت من اسمه. (المترجم).

جرائم اتباعاً للاتفاق العام، ولكننا فيما بيننا لن نسمى أعمالنا بهذا الاسم «أنّا» نحن نحتاج إلى المعيار ذى الصلاحية العامة، لكى نحفز أنفسنا على ما لدينا من انعدام المعيار. نحن متوحشون حتى عندما نظهر بقصد التمويه على هيئة مواطنين. نحن أولاد مواطنين، ولكننا لا نقف عند هذا الحد. إننا فى داخلنا متآكلون نتيجة أعمالنا السيئة، ونحن فى ظاهرنا طلاب مدرسة ثانوية.

«راينر» الذى يقرأ الغريب لألبير كامو (*) يقول إنه يود أن يخلف وراءه عدائية العالم. وإذا انتزعوا من الإنسان الأمل فى شىء أفضل، فإن الإنسان يكون فى النهاية قابضاً بيده على حاضره. فيكون الإنسان نفسه هو الواقع ويكون ما عداه كومبارس. عندما يرى «راينر» أمسية ما يقول على التو إن هذه الأمسية هدنة حزينة انطفأت فيها الحياة.

مدرسة اللغة الألمانية تقول لا ينبغى لـ «أنّا» و«راينر» «فيتكوفسكى» أن يزعجا جماعة طلاب الفصل بثرثرتهما الدائمة.

(*) رواية «الغريب» L'tranger للكاتب الفرنسى ألبير كامو Albert Camus ، ولد فى الجزائر فى عام ١٩١٣ وتوفى فى عام ١٩٦٠. يتناول فيها موضوع اللامفهوم فى الإنسان واسمه فى الرواية «ميرسو» Meursault الذى يجد نفسه غريباً فى عالم لا يعبأ به ، فموته لا معنى له مثل مولده أو موته، وهو غريب فى مجتمع يعتبره مجرماً يسجنه ويعدمه بينما هو يعتبر نفسه بريئاً، ويظل مخلصاً لنفسه، ولا يذهب إلى تمييز المستقبل على الحاضر، ولا المشاعر على المحسوس، ولا الأمل على الاستسلام حتى عشية موته. (المترجم).

«شتيفتر» يقول: ثم كانت الغابات الشاحبة المائلة إلى الحمرة التى تسير على طول الجبال، ومن فوقها نسمة هواء رقيقة زرقاء. هل تستطيعين أن ترى الغابات تماماً وهى تسير؟ آمل أن تكون الجبال قد تزودت بالتذاكر اللازمة. لا، دون مزاح («راينر») عندما يرتكب الإنسان جريمة فإنه يحتاج إلى سند شخص يحبه، هو فى حالته هذه امرأة «زوفى» وهذا السند ليس المرأة بالنسبة للرجل من الدِّقة القديمة، بل المرأة بالنسبة لفنان شاب. عندما ينزل إنسان عميقاً إلى هذا الحد فى اللاشرعية فلابد من أن ينتظره بباب اللاشرعية الشريك الـ «أنت» «زوفى» أنا فى الواقع متقزز من رغباتى، ولكن هذه الرغبات أقوى منى. وكذلك حبى لك أقوى مما أنا. ولكنه بدون رغبة جسدية نحتفظ بها لأنفسنا مستقبلاً.

«أنّى» تقول: كلام زفت ، ما الحب إلا تلامس سطحين من الجلد.

«أنّا» تقول، لم أعد أحتمل هذا الـ «أدالبرت شتيفتر» دقيقة واحدة أخرى، هذا قرار نهائى. الولد الذى يتناول إبرة الرفا هذه من طقم أدوات شغل اليد الخاص بى ويدسها بكل قوة ـ وأنا عندما أقول قوة فأنا أعنى ما أقول؟ ونحن فى وسط الحصة تحت ظفر إصبعه دون أن يرفع عقيرته بالصراخ، سأذهب معه إلى دورة مياه الصبيان، أول كابينة إلى اليسار. «راينر» يجد ذلك على نحو ما ثورياً. «أنّا» تقول، لا ليس الأمر على هذا النحو، فليست مساواة الجميع هى الهدف، فهى ضد الطبيعة وضد علم الوراثة

الخاص بها، وإنما المقصود هو العكس. الفصل الكامل والعزل. لا يمكن أن تعجب المساواة إلا من لا يستطيع أن يصعد إلى طبقة الأقوياء. فهو يعوض نفسه بالهبوط بهؤلاء الأقوياء، ويعتقد أن هؤلاء الأقوياء قد أصبحوا أيضاً ضعافا. ماذا عن الإبرة؟ «جيرهارد شفايجر Gerhard Schwaiger، ولد متوسط أنجبوه متأخراً جسمه كله حبوب على الأقل حيث تراها العين ولديه ميل للاحمرار خجلاً، وجد فرصته العظيمة قد حانت، ساعة الصفر، وهاهو ذا يدس الإبرة بقوة تحت ظفر إصبع السبابة الأيسر. آه! تبتسم «زوفى» ابتسامة بيضاء كالصوف الأبيض المرشوش بقليل من مسحوق «فيفا» (*) «راينريندهش» أن الولد «جيرهارد شفايجر» بالذات هو الذى دس الإبرة وهو الذى لم يكن يهتم إلا بالشوكولاتة. وهو شاحب كمنديل اليد ويقول آه إنها مؤلمة جداً. «أنّا» عاينه دونما فرحة. السيدة الأستاذة تقول «شفايجر» كالطفل، ولكنه إذا كان محصوراً بشكل ملح، فليذهب إلى دورة المياه، والمرة القادمة فى الفسحة يتم التنفيذ ويتجه «جيرهارد» إلى الباب ويتحرك كأنما كان عليه دهن، ويرمق قبل انصرافه «أنّا» بنظرة من متآمر يريدها كثيرة التعبير. ولكنها ليست كثيرة التعبير، بل مسكينة. ساعدينى من فضلك يا «أنّى»، أنا متيم بك منذ وقت طويل وأحتاج الآن مسحة من التلطف والحنو، وإلا فإننى سأظل عاجزًا جنسيًا أجمل هدية عندى ليْتَها تكون نتفة من الحب، يا أميرة.

(*) من إعلانات عن مسحوق غسيل. (المترجم).

«راينر» يقول لأخته: أيكون هذا الولد بالذات دون ما سواه. أرجو ألا أضطر للمجيء ومعى المفك لكى أخلصك ...يا «أنّى» هل معك عازل طبى من هذه الكتلة الشمعية.

نعم معى واحد ولكنى كما أعرفه يحمل معه عازلاً منذ شهور، لأنه كان ينتظر أن تسنح له هذه الفرصة منذ وقت طويل. ولكنه فى هذه الأثناء تآكل وتفتت لم يعد يفى بالغرض.

«أنّا» ڤيتكوڤسكى هل تتفضلين باستئناف القراءة من حيث وقفنا. نعم يا سيدتى الأستاذة، «شتيفتر» يعلمنا أن البشر ليسوا أحراراً، فهم عبيد قوانين الطبيعة. لذلك لابد من أن نلجأ إلى هذه الحركات العنيفة (إذا لم نكن من قبل نركن إلى أحد!) التى يميل أواسط الناس إلى وصفها بأنها جرائم نعتبرها نحن بمثابة المعيار، على أية حال معيارنا نحن، لا معيار الآخرين.

ثم تخرج «أنّا» مطرودة، وهو ما كانت قد عقدت عليه النية. وبينما «أدالبرت شتيفتر» «يسترسل فى وصف احمرار وجه بعض الشباب الذين تلونت بشرتهم بهذا اللون يراهم الإنسان فجأة، إنه يحب هذا النوع من الخجل، يرغى الرجل الشاذ، تذهب «أنّا»هادئة كل الهدوء إلى دورة المياه ... وإلى جيرهارد الموعود موعود.

«زوفى» مسكنها مؤثث ومفروش ومخدوم على طراز(*) البيدرماير .Biedermeier ?لا أحد من زملائها وزميلاتها فى المدرسة يتبين ذلك، لأنهم من شباب اليوم الذين مات الماضى بالنسبة إليهم. وما تتمناه «زوفى» عكس «بيدر» و«ماير»على خط مستقيم، فهى تتمنى أن تصبح امرأة شديدة البأس لا تهتم بالمشاعر وإنما بالأرقام دونما سواها. وهى تود أن تتلقى فى سويسرا تعليماً اقتصادياً خاصاً وأن تتاجر فى الأسهم والعملات. كل ما ليس من الأسهم والعملات يتفتت عندما يصطدم بها ويتلاشى. وهى فى هذا على النقيض من «راينر» بشكل صارخ الذى يحتاج إلى مشاعر نحو نشاطه الأدبى ونحوها هى، «زوفى» صديقته العزيزة. فقد أصابته «زوفى» حتى النخاع. أحيانا يحدث لرجل وامرأة شىء من هذا القبيل مرة واحدة فى العمر، ولا ينبغى أن تضيع الفرصة وإلا كانت العواقب تعيسة. و«راينر» يدع المشاعر عامداً واعياً تتغلغل إلى أعماقه، وفى أعماقه يفترس الاشمئزاز من هذه المشاعر ما يفترس ويخرج ليعبر عن ذاته فى قصيدة. و«راينر» عنده ما يكفى من هذه

(*) الـ «بيدرماير» Biedermeier اسم يطلق على عصر فى التاريخ الثقافى الألمانى بين عام ١٨١٥ وعام ١٨٤٨، وهو يدل فى الفرش والأثاث على بساطة وأناقة والوان فاتحة وأشكال موفية بالغرض محققة للوظيفة، وغنى عن البيان انه على الرغم من نسبة نشأته إلى البرجوازية يدل على مستوى رفيع أو مترفع لا يستطيعه إلا الأثرياء. وكلمة بيدرماير Biedermeier اسم شخصية تمحورت حولها قصائد تهكمية، يتكون من كلمتين بيدرBieder ومعناها المستقيم الأمين الدقيق «وماير» Meier وهو اسم علم متكرر قريب من دلالته من اسم «سيد» عندنا، خولى أو رئيس عزبة. ويلينك تتهكم فى تعاملها مع التضاد بين الدلالة الحرفية والمعنى عندما تقطع الكلمة المركبة وتقول لا هو «بيدر» ولا هو «ماير». (المترجم) .

الآراء فى الماضى والحاضر والعالم. وهو يطلب شيئاً واحداً : أن يُتاح له أن يتم فى هدوء كتابه الذى يريد أن يؤلفه. والرجل فى داخله يقول، إن عليه أن يحصل على «زوفى»، والفنان فى داخله يقـول ابق الذئب المتوحد كما أنت. «راينر» يحيط نفسه بمصفحة من الجليد، ولكن لابد من أن نشعر بأن هذه المصفحة الجليدية يمكن أن تذيبها «زوفى»

«زوفى» تلبس ملابس التنس، لأن عليها أن تذهب بعد قليل إلى ماتش تنس. «راينر» يطحن بفكه الأسفل على فكه الأعلى. الفكان يرتسمان من الخارج أبيضيْن. إنهما لا يلوكان شيئاً أدنى من قطعة من جاتوه شوكولاتة أحضرته الخادمة . لم تُتح لهما فقط فرصة للطحن بل أتيح لهما علاوة على ذلك سبب. «زوفى»تخرج من الصورة دائماً على عجل قبل أن يستطيع المصور أن يضغط على الزرار ويلتقطها. «زوفى» نورٌ سرابى لا قائمة له. الخادمة أتت كذلك بصينية عليها أكواب للويسكى. الشلّة تعرف هذا الشراب من الأفلام السينمائية التى يتناوله فيها الناس تناولهم للغذاء. ولقد أصبح الناس الآن يرون فى الأفلام السينمائية الجديدة منذ حين تركيبة اجتماعية تتحلل، كذلك تتحلل تركيبة الزيجات والعائلات إذا لم يعالجها الإنسان برفق. ولما كانت الحرب قد أصابت كل شىء تقريباً بالخلل، فمن الممكن كذلك نسف تركيبة طبقية، بل من الممكن التغلغل داخل الطبقات الاجتماعية القيادية (لم تكن الطبقة الحاكمة قد اخترعت) إذا أوتى الإنسان العقل المناسب لذلك. الفيلم الألمانى الجديد يصور المرونة

الاقتصادية للأشخاص العاديين الذين يجهز رأس المال مرونته وراء كواليسهم. لقد تلقف الفيلم الألمانى هذا الموضوع من أمريكا التى انتصرت. فى أمريكا كان من الممكن دائماً التعدى على الحدود، فى تكساس على سبيل المثال حيث توجد حدود للمراعى. ومجموعات الشركات تتأوه كأنها جبال جليد وتعقد فيما بينها روابط فتنشأ روابط مجموعات الشركات. مياه تفور عالياً وتغلى خوفاً من النقرس. والطلاق يصبح موضوعاً، لأن الناس فى نهاية المطاف لديهم وقت لقطيعة تحدث بين الأطراف، وتراكم رأس المال يختفى كموضوع، فلا يصح أن يراه الناس على التو.

«هانس» الذى عليه فى عمله أن يقفز وأن يحجل، يسارع قبل غيره إلى القفز لكى يفسح للخادمة مكاناً على المنضدة. وكانت أمه قد علمته فيما علمته إياه من أشياء زائدة عن اللازم أن يكون مهذباً مع النساء، وهو ما كان عليه الرجال فى الماضى. وهذه «زوفى» تعطله فى آخر لحظة، وتتجز الخادمة العمل بمفردها. الخادمة غير موجودة يا «هانس»، هذا شىء عليك أن تتعلمه. ولكن كل شخص نراه بعيوننا لا بد أنه موجود، أم ماذا؟ لا.

العيب الرئيسى الذى كان، بجانب العيوب الكثيرة الأخرى، يعيب الفوضويين (*) النمساويين (هذا إذا

(*) الفوضوية _ الأنارخية Anarchismus اسم يطلق على مذاهب تدعو لمجتمع بلا دولة وبلا قوانين، أو إلى حرية فردية بلا حدود أو إلى حرية مطلقة للجميع أو إلى ألا يكون هناك امتلاك. نذكر من دعاة الفوضوية ستيرنرStirner ويـــرودون Proudhon وباكونين Bakunin (المترجم).

كان هناك أصلاً فوضويون نمساويون) هو وضعهم الاجتماعي الفظيع، الذي كانوا يأبون الخروج منه. ولكن هذا الكلام هراء؛ إذا كان الفوضوي يريد للجميع نفس الشيء، فليكن من فوره شيوعياً. ومن هنا كان هذا الكلام لغواً. إن ما على الفوضوي أن يفعله هو هدم أغلب ما خلفه الجيل القديم.

«راينر» يشرح أنه في الصيف سيذهب لممارسة الملاحة الشراعية، وأن أخاه في أمريكا يعرف العديد من ممثلي السينما وأن أمه ستذهب إلى الحمام الدافئ في فيللاخ [1] Villach حلمها القديم). ثم إنه ليس له أخ. «راينر» يقول على سبيل التقرير إن تقاليد السريالية للأسف انقطع حبلها نتيجة للحرب العالمية. هو يهتم بالمشكلات الإستاطيقية ويريد أن يكون له دور قيادي. ربما يكون من الممكن الحصول على دور قيادي إذا ما ضرب الإنسان «زوفي» باختصار وبقوة على فمها حتى ينزف دماً. لا، لا يجوز، إنها تفتح الآن باكو بسكويت، أحب نوع بسكويت إليه، بسكويت مكسو بالشوكولاتة «راينر» يلتهم كثيراً منه التهاماً حتى يدوخ. أقوى دافع لدى الإنسان هو أن يتحرر من العمل اليدوي. وهو يستصوب استخدام أي وسيلة. يعتقد البعض خطأً أن الحصول على عمل غير يدوي حق لهم نالوه من الطبيعة. «راينر» يعتقد أن «هانس» يعتقد ذلك. [2] ذلك أن «هانس» يقول على فترات

(١) مدينة نمساوية على الحدود مع إيطاليا فيها عيون طبيعية ساخنة درجة حرارتها ٢٩، تستغل سياحياً وطبياً. (المترجم).

(٢) تكرار كلمة «يعتقد» متعمد. فهو من مميزات أسلوب يلينك. (المترجم).

متباينة إن الطبيعة ليس لها فى نظره معنى إلا قيمتها بالنسبة إلى وقت الفراغ، وهى قيمة إيجابية. ثم يتغلغل إلى داخل هذه الطبيعة. أنا أراك على حق فى هذا «زوفى»، كذلك أنا تجدوننى دائماً تقريباً فى وقت فراغى فى الطبيعة، هناك يمكنكم البحث عنى عندما تحتاجون إلىّ.

«هانس» :أنا أود أن أغير مرة مهنتى التى لا تملأ قدراتى وأن أصبح مدرس رياضة بدنية. هل تحسين بعضلاتى يا «زوفى»، إنها لا تنمو خارجة من كيانى إلا من أجلك وتزداد كل يوم قوة. لا يزال علىّ للأسف أن ألزم فى الطبيعة الطرق والدروب العامة التى وضعت عليها علامات إرشادية. عندما أصبح متسلقاً شجاعاً يمكننى أن أجازف بسلوك دروب بلا علامات وأن أقطف مراراً زهرة «إيدلفايس» البيضاء الكريمة. (*) «راينر» يتحاشى هذه الطبيعة كلما لقيها، وهو يتحاشى على أقصى ما يستطيع حصة الرياضة البدنية متعللاً بالمرض والوهن. لا ينبغى أن يعرف بابا عن ذلك شيئاً، ماما هى التى تكتب طلب إعفائه من حصة الرياضة البدنية. «زوفى» تقول إن الطبيعة العامة للأسف تتخرب نتيجة الورق وما هو أسوأ من الورق، كلما زاد تردد أواسط الناس عليها حيث يخلفون وراءهم دائماً بالضرورة قذارة. هذه

(*) Edelweib زهرة بيضاء نفيسة تنمو غالباً فى جبال الألب على حافة قشرة الجليد، وهناك إجراءات مشددة للحفاظ عليها. (المترجم).

مشكلة جديدة تضر بالبيئة. فيما مضى لم يكن لدى الناس وقت للإضرار بالبيئة، لأنهم كانوا مضطرين للإضرار بأنفسهم، فى الحرب مثلاً.

«راينر» اسمعى يا «زوفى»، لقد كتبت مرة أخرى قصيدة جديدة، تدور حولك.

«زوفى» وهذا هو أيضاً الشىء الوحيد الذى يميزك على عامة الناس. لأنك لا تحتكم على إمكانات مادية، كنت ستفضل كل التفضيل بطبيعة الحال اعتماداً عليها أن تمتاز على عامة الناس. «راينر» أنت تثيريننى اليوم فعلاً بما يدعونى إلى التقيؤ. ما هو المال. أف للشيطان. دماغ الإنسان مستقل عن حرصه على قوت يومه. هناك على سبيل المثال شرائح قيادية لا تحتكم فى كثير من الأحوال على الفكر الضرورى، بينما يمكن أن يكون صغار الناس أحياناً أذكياء جداً. الدماغ وذكاؤه شىء مستقل تماماً.

«هانس» يرى أن جوهر الإنسان هو الذى يحسب له حساب. وعلى الإنسان أن يرقق خُلقَه. هانس يود أن يرجع بفكره بعيداً بعيداً إلى الوراء ويشرح الموضوع لأنه يسبب له مشكلات داخلية. ولكن «زوفى» للأسف ترسله الآن ليصلح البيك أپ لأنه لأسباب من غير الممكن الوصول إليها لم يعد يشتغل. وهى تعتقد على الأرجح أن التيار الكهربائى هو فى كل الحالات التيار الكهربائى. بينما هو يفضل المشاركة فى الكلام لكى يفيد منه. من يعلم، ربما سيكون فى مقدوره أن يفيد

من كل شيء في المستقبل! على الإنسان أن يفكر أيضاً في المستقبل الذي لن يكون في مجال التيار الكهربائي العالي. «راينر» يبيّن جمال العنف، عندما يشعر الإنسان بتكسير العظام والعظيمات وبانتزاع الأوتار وكذلك بانفجار الجلد المشدود عند الارتطام، أو عندما يكون هو المتسبب فيها. كذلك يعلن أنه عما قريب سيؤثث البيت تأثيثاً جديداً بموبيليات ستيل فقط مستوردة من فرنسا.

تقول «زوفي» :يا لك ويا لخوفك الأبدي من اللمس، أنت لا تستطيع أن تمد يدك إلى أحد أو أن تنظر بريئاً في وجهه ، وتتملص من «راينر» الذي يريد أن يمد إليها يده بريئاً لكي يداعبها أو يلمسها على نحو آخر. «زوفي» مدربة على الإفلات من «راينر» دعني وشأني، لماذا تصمم على أن تلمسني؟ الإنسان يتكلم بفمه لا بيديه.

ولكن الإنسان يقبل بالفم، يا زوفي، يا حبيبتي. ما بي أقوى مني.

«هانس» يقول على الفور إنه أقوى، هل نريد أن نراهن. ويمد هذا الغِّر ذراعه بالفعل ويريد أن يسدد إليه لكمة لكي يثبت كلامه. أما تلميذ الثانوي بذراعه الضامرة فلا يزيد ما يفعله عن أن يرمقه بنظرة اشمئزاز. أما نظرة «هانس» فتقول: خسارة على اختبار القوة الذي لم يحدث والذي كنت قد فرحت به مقدماً. «هانس» لديه قوة، بل قوة تكفي العديد من

الأشخاص. لماذا تدربت ساعات طوال؟ للا شيء، فقوتى لم تحظ بالتقدير.

«زوفى» تصمت. «أنّا» تغتاظ.

«أنّا» تلتقط مشتتةَ الفكر شعرةً من فوق كُم جاكيت «هانس» هذه محاولة اقتراب، تقوم بها «أنّا» لأنها تشعر بأنها منجذبة نحو «هانس» ذلك أن «هانس» عندما يأتى بفعل، يخلق تجاه بعض الأشياء علاقة أخرى تختلف عن أخيها أو «زوفى» فما هو هذا الشعور عندما تلمس هى من جانبها «هانس» إنها تلمسه تواً والشعور ينشئ بُعداً جديداً، هو بُعد الجهد البدنى الجهيد.

«راينر» يقول إنه يجد لعب التنس سخيفاً، وإنه ربما يود أن يجرب نفسه فى الجولف. عمه فى إنجلترا (لا عم له فى إنجلترا) يلعب الجولف. «هانس» لايعرف ما هو الجولف. «راينر» يقول إنه لا حاجة به إلى أن يعرف ذلك، لأنه بداهةً لا يحتاج إلى الجولف.

«زوفى» تقول إنها تعتقد أن التشديد الزائد على حرية الإرادة وعلى الشخصية الذاتية تعود بالناس مرة أخرى إلى المسيحية.

أما «راينر» الذى لا يزال بعيداً عن أن يقهر المسيحية فى داخله، والذى كثيراً ما يحب أن يتناقش مع القساوسة يقول لها، لا ينبغى لك أن تتكلمى عن الرب بهذا الامتهان، لأنه لم ينته بعد إلى أنه نهائياً غير موجود. وهو منذ كان طفلاً وإلى أن أصبح مراهقاً كان دائماً خادم سر الكاهن فى الكنيسة.

ثم يشرح «راينر» الإرادة الحرة التى عند الإنسان. و«زوفى» تقول إن المثقف نفسه يشدد على الإرادة الحرة عندما لم يعد يجد ما يأكله.

«راينر» يقول: هذا المثقف الذى تتكلمين عنه هو أنا. «زوفى» تقول: إن السعى إلى مهنة المثقف تنتهى فى النهاية إلى اعتناق إيديولوجية المثقف. وفجأة تتخذ كل إشكالية تنجم عن التحرر من الإنتاج المادى وزناً زائداً يميل بها. وهكذا ينشأ عالَمٌ مختل ويدافع عن نفسه ضد كل ما عداه.

«راينر» يشرح لـ «هانس»، أن الإنسان لا ينبغى له أن يملك فكر كاتب إذا ما كان عاملاً من العمال.

«هانس» يشرح لـ «راينر» إنه لا يود أن يكون لديه فكر كاتب، بل فكر مدرس رياضة بدنية.

هل وجدت العيب فى البيك أپ يا «هانس» لا، لأننى أفضل أن أبقى بينكم وأشارككم الحديث. و«راينر» يقول عليه أولاً أن يتدرب على أن ينصت.

«زوفى» التى تنتبه ببطء إلى مدرس الرياضة البدنية المستقبلى تسأل فى تلك اللحظة، ما هذه الملابس التى يلبسها والتى تشبه أن تكون ملابس صبى يوم التثبيت فى الكنيسة، البنطلون أقصر مما ينبغى بالنسبة إليك، وكذلك الكُم نفس الشىء، وأين

أساور القميص؟ لا وجود لها، هذا أمرٌ مؤكد لا ريب فيه (*).

ثم هذا القماش، لا، لا، شكلك مستحيل، إنه إهانة لعينى. «هانس» الذى لبس أحسن بدلة يوم أحد لديه خصيصاً من أجل خاطر «زوفى»، لم تُهن قط عينه ولا عين أمه (التى فكت ثنيتها وطولتها بيدها شخصياً مرتين، هذه البدلة) انكمشت إلى حجم حبة البسلة كأنها كانت منفوخة وأخرج أحدهم الهواء منها. لقد أراد خصيصاً أن يظهر ببدلة أمام «زوفى»، حتى يعلو درجة فوق مستوى «راينر» الذى يلبس بنطلون چينس، وهاهى ذى تسخر منه أشد السخرية. وهو بيديه يستر كل المواضع التى انكمشت فيها البدلة انكماشاً مؤسفاً. ولكنه ليست لديه أيدى كثيرة تكفى لسترها جميعاً. والبدلة انكمشت فى التنظيف، أقسم لكم على ذلك، قبل التنظيف فى المغسلة كانت طويلة تماماً، وعملية الهرس فى المغسلة، ضد إرادتى، هى التى جعلتها تنكمش. ربما كان من الممكن تقديم شكوى لأنهم بهدلوا البدلة وقضوا عليها.

انتظر قليلاً، سآتيك بشىء من ملابس أخى. المقاس مضبوط. «راينر» تكاد عيناه تجحظان من فرط الحسد. إنها تقدم إليه پلوفر كشمير بفتحة

(*) نلاحظ في هذه الفقرة التداخل بين الحديث المباشر والحديث غير المباشر، وضمير الغائب وضمير المخاطب في الجمل ذاتها. وهذه سمة من سمات أسلوب يلينك الذي يعجن أشكال الحديث، وكلام الأشخاص المختلفين عجينة واحدة. (المترجم).

شكل السبعة وبنطلوناً من أفخر قماش صوفى، مصنوع من صوف طبيعى. ويغتاظ «راينر» إذ يتلقى «هانس» مثل هذه الأشياء الجميلة التى لا يتلقاها هو. ولكن ما هذه إلا نزوة من «زوفى» المطيورة التى تخطر هنا وهناك مثل ضوء السراب المرتجف، وستنتهى هذه الأشياء عندما تستقر. كل ما فى الأمر أنها تلعب بـ «هانس» الذى لا يلاحظ ذلك، لأنه مبتدئ فى فن الحب.

«زوفى» تقول إن على «هانس» أن يغير ملابسه هنا الآن أمامهم. وهو لا يريد ذلك لأن ملابسه التحتانية متسخة. ولكنه مضطر لأن يفعل وإلا فلن يستلم البنطلون والبلوفر. «أنّا» تخرم بنظراتها النارية الحارقة خروماً فى «هانس» «زوفى» تبالغ فى تنظيف بقعة على ثياب التنس لا تراها إلا هى وحدها. يقول «راينر» موجها الكلام إلى داخل المكان الخالى من الهواء الذى يمكث فيه، إن عليهم أن يعملوا، أن يعملوا، وأيضاً أن يعملوا. وإن عليهم فيما بعد أن يحملوا تبعات الأعمال التى سيقومون بها بعد. وهى بطبيعة الحال بصفة عامة أعمال سيئة، لأن هذه المعايير الأخلاقية لا وجود لها بالنسبة إلينا. فى عيد ميلادى الثامن عشر سيشترى لى أبى سيارة سبور.

تقول «زوفى»: شىء هزلى أنك فجأة تريد أن تعمل شيئاً وكنت حتى الآن لا تعمل بل تقرأ الشعر وتكتبه فقط. وهى تعتقد أن العمل لا يناسبه.

«راينر» يقول: إن «زوفى» لا يخطر ببالها كَمَّ ثروة الغضب والكرْه التى تكمن فيه. ذلك أن التفكير له حدود، ولقد اصطدمتُ بها منذ وقت طويل، لأننى أفكر منذ سنين بلا انقطاع، وهأنذا فرغتُ من التفكير، الحدود لا بد من هدمها. فى عيد ميلادى الثامن عشر سيدفع لى أبى كذلك نفقات رحلة إلى أمريكا. الفرق بين المركيز دى صاد چورچ باتاى (*) هو: أن المركيز دى صاد، وقد حُبس مع عدد من المجانين، يجرد أجمل الورود من أوراقها فتسقط على بيارة روث. ولقد قضى فى السجن ٢٧ سنة عقاباً له على آرائه. أما «چورچ باتاى»فيجلس على مقعدته فى دار الكتب القومية الفرنسية. كان «المركيز دى صاد» - وإرادتُه المطالبة بالتحرر الاجتماعى والأخلاقى معروفة - يريد أن يشكك فى صنم شعرى قائم لكى يجبر التفكير على الاحتجاج على قيوده. أما إرادة التحرير الأخلاقية والاجتماعية عند «چورچ باتاى» فمشكوك فيها جداً. واختلافى أنا عن «دى صاد» على سبيل المثال يكمن فى أننى لست صاحب مذهب أخلاقى، وفيما عدا ذلك فأنا كلٌّ ما كانه هو، وأكثر منه!

(*) چورچ باتاي Georges Bataille كاتب فرنسي (١٨٩٧-١٩٦٢) شغل بموضوعات جوهر الإنسان ووجوده، وجذبته في ذلك مناهج الكاثوليكية ثم انصرف عنها إلى الماركسيةوعلم الاجتماع وعلم النفس وخاصة التحليل النفسي ومناهج التصوف وعقائد الشرق الأقصى، وله نظرات ونظريات في علاقة الفرد بالمجتمع وفي التاريخ والفن والأدب والجنس واللذة والموت، وتصور للإنسان المكتمل غير المقطع (المترجم).

وسأل «هانس» وقد اكتسى بالكشمير عن الاثنين اللذين ذكرهما «راينر»، من يكونان، فعلّمه.

هذه الهجمات التى نخطط لها لابد من أن تتخذ إطاراً من المبررات التى تتدرج فى مدارج عالية. من فوقنا، هكذا نقول على نحو ما. يقول «راينر» سأشرح لكم هذه المبررات تواً.

«زوفى» تقول (*) أرجوك لا تشرح شيئاً، أتوسل إليك، فلو قلت اليوم شرحاً آخر فوق ما قلته من قبل فسأصرخ. ولكن لابد من أن أشرح لكم لماذا نريد أن نعمل ما سنعمله، وإلا عملتم هكذا بلا هدف، وهذا ما لا يصح.

«هانس» يقول إنه يريد أن يتقدم من ناحية الثقافة.

«أنّا» تقول إن عليه لهذا أن يقرأ كثيراً.

«راينر» يقول ليس عليه أن يقرأ ، وإنما عليه أن ينصت إليه، «راينر» هو المثقف، وليس «هانس» إذا لم يستطع المثقف أن يضبط عالمه مع الإيديولوجية التى يدعمها، أى أن يكون عليه فى الواقع (مثل «هانس» أن يمارس نشاطاً يدوياً قذراً، لكى يعيش، فإنه هكذا

(*) نلاحظ كثرة استخدام فعل يقول، الجميع يقولون، والكاتبة لا تحدد أول الكلام وآخره بعلامات تنصيص. فمجموعة الجمل في فقرة ما تكون أقوال أكثر من شخص. في حالات قليلة تضع نقطتين أو اسم الشخص بين قوسين. اما راينر فهو علاوة على انه يقول «شرح» أيضاً. (المترجم).

يقوم فجأة بالدفاع عن عالم خطأ، ولا يعود يدافع عن عالمه هو. خير لك أن تدافع يا «هانس» عن عالمك الصغير. لا تحاول أن تصبح أكثر مما أنت، لأن هناك أحداً أكثر منك: الا وهو أنا.

يَخِيب «راينر» رجاء «هانس» إذ ينصحه بأن يصرف النظر تماماً عن العمل الثقافى. وهو على حق إلى حد ما لأن الإنسان أحياناً يمكن أن يعانى من مركزه نتيجة العلم أكثر مما يعانى نتيجة الجهل الذى قد يكون رحيماً.

بطريقة حادة تطلب «زوفى» من الجميع الآن أن ينصرفوا لأنها سمعت صوت سيارة «شڤارتسفيلس» الرياضية الأنيقة التى ستخطفها إلى ماتش تنس رفيع المستوى. مثل هذه السيارة الأنيقة سيتلقاها «راينر» بمناسبة عيد ميلاده، السيارة نفسها بالضبط. هل يسمحون له أن يجربها لكى يستطيع أن يقودها مباشرة بعد عيد ميلاده؟ لا. لا يسمحون له. «راينر» يحاول على الأقل أن يلمس «زوفى» فى مواضع لايزال فيها مكان، ولكنها تفلت منه وتتسرب كالرمل على أية حال من خلال أصابعه التى لا تتسم بجرأة شديدة. رمل ناعم.

وعلى محطة الترام التى سيركبون منها مرة أخرى ما ينقلهم إلى أحياء فقيرة استمر حديثهم عن كيفية الهجوم على شخص ما. هجوماً لا يهدف بطبيعة الحال إلى الثراء، وإنما إلى أن يتحرر الإنسان نهائياً كل التحرر. للمستقبل كل المستقبل. لا يزال «هانس»

غير مقتنع جداً، بأن عليه أن يحرر نفسه. إنه يفضل أن يشاهد الآن ماتش تنس وأن يتعلم المزيد من الرياضة. لا يزال ينظر آسفاً حواليه مراراً ويطيل النظر، ولكنه لا يرى شيئاً مثل هذه السيارة الرياضية الأنيقة أسرع بكثير من أى ترام يكر المحطات بصعوبة محطة وراء محطة.

قفوا، لن نبـرح الترام بهذه السـرعة ، لنبق قليلاً. الترام يمتلئ بحشـد من لون واحد لا يدرك الإنسـان من النظرة الأول أمـرهـم. هل هم بهـائم أم بشـر. لا شىء يبـرز من هذا الحشـد، اللهم إلا قبـعـة امـرأة شـمطاء، قبعة ذات لون صادم، لون مودرن. القبعة تبـرز على نحـو سلبى. تقـول: أنّا هؤلاء بقـر أو غنم، يسـيـرون صـابرين إلى المذبح وهناك يمسكون هم أنفسـهم السكين ويشـيرون إلى الموضع الذى يتم فيه الحز والجز.

كـان الرجـال لونهم رمـادى بالكامل، رمـادى فى رمـادى، وكان العمل فى المصانع قد حفر تجاعيد عـمـيـقـة فـى وجـوههم المجـردة من الجنس، القليلة الرجولة. أما ما سيعملون مع زوجاتهم فى البيت، فمن الممكن تصوره: لا شىء. لا شىء فيه لطف. بل حتى لا شىء يتجرد على نحو خاص من اللطف، فهم يفتقرون إلى مـا يلزم من تميـز. العمل المقـزز الذى يقومـون به جـرد البـعض من شـعـر الرأس، والبـعض الآخـر من

الأسنان، ودس لآخرين قذارة تحت الأظافر. «هانس» يتباعد باطنياً عنهم، ويتقوقع ظاهرياً بأشد ركن ظلمة، حتى لا يلاحظه أحد، وبصفة خاصة حتى لا يتصور أحد علاقة تربطه بهذا القطيع. خطأ.

أما إذا ظهرت بنت جميلة وحيدة، فهو يغمز لها غمزة استدعاء. يسمون ذلك غزلاً، وهو شىء لخالى البال.

«راينر» و«أنّا» اللذان لن يميل أحد على أية حال إلى تصور علاقة تربطهما بهذا الحشد لأنهما لا يبدو عليهما شغل عمال المصانع، يقفان طليقين متفتحين، ويدعان ريح الرصيف المكشوف تهب متغلغلة فى وجهيهما الشرسين. عما قريب سيكون الترام خلفهما، وسيارة جديدة تسير تحتهم.

الفجوة بين «هانس» والتوءمين انفتحت هنا على نحو أشد عنفاً حيث كان أناس آخرون موجودين وكانوا ينظرون: كانت «أنّا» و«راينر» فوق، وكان «هانس» لا يزال تحت، ولكن هذه الحال ما كانت لتدوم.

إذا لم تكن الريح التى تثيرها حركة المركبة هى التى تضغط على صدر «أنّا» فمن إذًا هذا الذى يضغط فجأة عليه؟ إنه رجل يميل إلى السمنة واضح أنه موظف، فى الطريق إلى زوجة وطفل، وواضح كل الوضوح أنه يريد فى هذه الأثناء أن يأخذ فى السكة شيئاً أكبر من مقاسه بعدة نمر ألا وهو: «أنّى». البنت الصبية النضرة التى تعجبه.

فجأة تضغط كتلة لينة من الخلف على «أنّا»، إنها هذا الرجل الذى يتحين الفرصة (التى لا تتاح كثيراً لأناس من صنفه!) ليقترب من هذه المخلوقة الصغيرة التى ما زالت تفتقر يقيناً إلى التجربة لكى يستخدمها لأغراضه. ليس هناك ولى أمر تبصر به العين وتعرفه من ظاهره، إذاً من المسموح،من الممكن التقرب إليها بشىء تتعلمه؛ المراهقان اللذان يرافقان الغانية الصغيرة، من الممكن أن يكتشف الإنسان من مظهرهما مباشرة أنهما لن يحاولا فى النهاية التصدى لشخص ذى سلطان. وما الشخص ذو السلطان إلا هو، موظف فى بنك، يتطلع إلى منصب رئيس فرع. من البديهى أن يصطنع حسن السلوك الذى لن يصد هذين الوقحين الغرّين عن المساس به.

إذا هما أثارا صخباً فمن الممكن بالاحتداد المبرر الإنكار واتهامهما بالوقاحة.

ما هذا الذى يقترب به من «أنا». هل هذه عصا خشبية يدسها موظف البنك فى مكان حساس من جسمها شىء مقزز هذا العضو هذا الإنسان يقترب منها متسولاً قليلاً من الحب والتسامح ، ما تمتنع زوجته عن منحه إياه متعللة بتعللات سخيفة كل السخافة. مثل هذا الجسد الذى أوتيته البنت هو الأعظم. «أنّا» تلمح للزميلين، أظن أننى أخرف.

يشتد ضغط الموظف. يندس فى الزحام، وقد ازداد شجاعة، والزحام يشتد، كلما زاد الاقتراب من

قطاعــات المدينة، والتــزاحم يعــين الاتصـــال بين شيخوخة وصبا. بين فوق وتحت، وتحت أكثر والمرأة واقفة.

وثمة يد حريصة تستجيب وتتحسس طريقها على الرغم من أن أحداً لم يوجه إليها نداء. ولكنها على الرغم من ذلك تأتى. وتتصنع أنها فى وضعها وهى تتجه نحو صدر «أنّا» أنّا تعطى زميليها إشارة بأن الوقت الذى انتظرناه أزف. «هانس» لا يزال متردداً مشغولاً ببنت صغيرة شقراء (ورد أحمر، شفاه حمراء، نبيذ أحمر) ، أما راينر فيفتح الخط.

تبتسم «أنّا» بأسنان حيوان مفترس مسنونة ابتسامة كأنها تنطلق بأمر تشغيل، الشفتان تتباعدان، لسان مبتل باللعاب يظهر، والأفضل التظاهر بشىء من التخلف، فهذا من شأنه زيادة الثقة والاستهبال حيال الغريب. الرجل المشتاق الراغب فى الحياة يشير بإصبع السبابة إشارة قبيحة، يفهّم «أنّا» أنه يريد المزيد ولكن كيف يتم ذلك المزيد الوضع المزيد سخيف كل السخف فى الترام، فنحن فى مركبة من وسائل النقل العام مثل السردين فى العلبة، الأفضل أن نكون فى فراش فأريك أروع وصال فأنا قوى جنسيًا ولست مسناً، بل أنا ناضج، مناسب لتقدير عذراء فى السابعة عشرة، فالزوجة قد اعتراها شىء من البدانة، أليس كذلك، ومقاس صدرها كبر. الإنسان بطبيعة الحال يمكنه أن يختار بين كل الأعمار والألوان والأشكال والمقاسات. هكذا يفكر الرجل، وما هكذا

تفكر المرأة، لأن الجنس لديها يسير مساراً سلبياً. مرسومًا مسبقاً فى خلقتى الشخصية أن أكون مناضلاً فردياً، ذلك شىء لم يتح لكل رجل. النساء التى يعرضن لى للتذوق أكثر مما أستطيع أن أستهلك. هل من تحسين للمتعة هذه يا آنسة فرصتك الكبيرة التى طال انتظارك إياها.

يد خبيرة بعد النقود تمسك بيد «أنّا» التى لم تظهر حتى تلك اللحظة علامات المقاومة وتسحبها إلى قدس أقداس موظف البنك، إنها يد لا تحتاج إلى أن توسخ نفسها فى شغل المصانع. يد يلاحظ الإنسان عليها المهارة اليدوية المنعمة. إنها تعرف كيف. إنها تعد نقود غريبة طالما كانت الدنيا منّورة فى الخارج، وإنها الآن فى الظلام الذى لا يعرف لأحد فيه اسم، تسحب يد بنت غريبة إلى قلب الحياة كلها. هنا القلب، المركز العضو أهلاً. نهارك سعيد في وسط الشحم هه ، شىء عظيم.

«الآن» أعطت «أنّا» إشارة وكمشت قليلاً بطريقة متصنعة فى قماش البنطلون المشحم هنا وهناك هل هذه مطواة يحملها معه، ربما لتقشير البرتقال، أو لتقطيع السجق. لا ليست سكيناً، بل سير جلد، لا شك فى ذلك، فالسكين شكلها مختلف. إنه هو، هيه، وصلنا.

«هانس» لا يزال مذهولاً كل الذهول، ولكن «راينر» فهم صيحة «الآن!» فهماً صحيحاً. بخفة الفراشة مد

يده فى الجيب الأمامى وسحب محفظة النقود من المكان المعهود الذى يضعها فيه كل الذين يستخدمون يمناهم، فى الجيب الأيسر. وما كان ليحس لو وضع له أحدهم قنبلة فى جيبه هذا. يبدو أن المحفظة ليست عامرة بالنقود، ولكن «راينر» مسرور لأنه سيشترى عدداً من كتب الجيب بهذه النقود.

أرجوك يا آنسة اضغطى جميل اضغطى أشكرك، زوجتى فى البيت لم تعد أساساً تعمل معى هذه الأشياء، ومثلى حامد شاكر بدونها. هل تسمحين يا آنستى الجميلة بأن أراك مرة أخرى؟ إلى أعلى قليلاً ، حسناً. يا لتَمَكُّنك! وإن كنت أستطيع أن أعلمك ما هو أفضل من ذلك. هل لديك وقت ربما غداً بعد المكتب؟ خسارة.

عسى ألا يأتى السيد المحصل الآن ويقول هل من راكب لم يأخذ تذكرة، من فضلكم. ويكون عليك التوقف.

هاهو ذا المحصل. لم يعمل التوءمان من فرط التعجل حسابَ أن يكون هذا القذر ربما بدون تذكرة وأن يكون عليه أن يدس يده فى المحفظة. الحمد لله هنا تحويدة والترام تهدأ سرعته. وبينما يمُد الحمارُ صاغراً يده إلى المحفظة، ينط الأخ والأخت من الترام نطتين قويتين إلى الشارع، و«هانس» المذهول الذى لم يفهم شيئاً وراءهما مباشرة، يوشك أن يكون تأخر. كادوا أن ينقلب بعضهم على البعض الآخر، وهاهم

أولاء يستعيدون توازنهم بجهد جهيد، بينما المنحوس داخل عربة الترام يبحث يائساً عن محفظته، ونقوده التى كانت مخصصة للحصول بآلاعيب كالسحر على هدية عيد ميلاد يقدمان لفردٍ مقرف من أفراد العائلة، أين يمكن أن أكون فقدتها، مَدَد يا يسوع (والضوء يخفت شيئاً فشيئاً، كأنما يتلون الأفق بحمرة السَّحَر!) يندفع المجرمون الشباب بسرعة على طريقة كلب الصيد إلى قلب الظلام فى حى غريب. بعد قليل تتلاشى لهثاتهم الشبيهة بنفثات النفير بين البلوكات السكنية الخالية من الشرفات البارزة حيث بعض وجبات عشاء توضع على الموائد وأخبار الصحف يلتهمها الملتهمون.

وتتلاشى هيئاتهم الظلية البيضاء النابضة بالحيوية الجياشة بين واجهات خرسانية رمادية. خطوط بيضاء متعوجة فى بلِّيَة زجاجية تدور بسرعة هائلة. دوائر فى الماء ترتسم عندما يسقط فيه حجر ويغرق .

الآلة الكاتبة تقرقع بهمة ومن تحتها تتكون حروف على المظاريف. أم «هانس» تستدعى بنفسها الحروف. لم تحصل على عمل أفضل لأن المعجزة الاقتصادية عبرت عليها ولم تأبه بها. وابنها «هانس» أيضاً يعبر الآن عليها ولا يأبه بها ويلقى ملابسه على الأرض. ما كان أحوجك يا «هانس» إلى يد أبيك. من حسن الحظ أننى لا أجد إلا يدكِ أنتِ فقط، تلك التى سأتركها عما قريب من أجل يد امرأة أُحبها. ستكون هى «زوفى».

يساورنى انطباعٌ بأنكَ ستترك مزيداً من الأيادى التى امتدت من ظلام الظروف الاقتصادية إليك، أيادى إخوتك وأخواتك الذين جاءوا من طبقتك ومكثوا فيها.

أنتِ على حق تماماً فى أننى أريد بأسرع ما يمكن أن أخرج من هذه الصلصة العنيدة على الرغم من أنها ملتصقة بى. وأنا فى الاتحاد الرياضى الـ« الفاتWAT أتدرب على رياضات كثيرة مختلفة قدر المستطاع،

حتى أكوّن صورة شاملة ويكون لى أن أعرف أى هذه الرياضات سأختارها مهنة لى. ليس عندى فى شأن الأيادى ما يشغل بالى إلا ضربة اليد المقلوبة الباك هاند backhand فى التنس وهى ما ستعلمنى إياها صديقتى «زوفى».

الأم متعَبة مثل كلب نافق سيدفن تواً. وهذا العمل الذى تعمله رتيب، لا يمكن أن يسمى مهنة، ولا يكاد يحقق مردوداً. وعلى الرغم من أنه لا يحقق مردوداً فإنها تلح فى التمسك به وهى تتحدث إلى ابنها. إن عليه أن يلتحق بجماعة شبيبة الحزب وأن يلصق ملصقات الحزب وأن يروج له، وهذا ما يرفضه. لقد وجدتُ طريقى بنفسى وحدى، وعلى الآخرين أن يفعلوا مثلما فعلت.

وهو لا يدخل فى جماعة من جماعات شبيبة الحزب أساساً إلا إذا اعتبروه زعيماً وإلا فلا. وفى أى جماعة من جماعات شبيبة الحزب يتم أولاً تمييز البنات، وفى هذه الجماعة بالذات لا تكاد توجد بنات، لأن النساء لا يهتممن بالسياسة لأنها قذرة، بل يهتممن بالموضة والرجال والنظافة. وهو باعتباره رجلاً لابد بناءً على هذا أن يتجه إلى خارجها لكى يغازل ويضحك ويرقص. لكى يتمتع بشبابه، والأفضل مع «زوفى» و«أنّا» ثانيا لا يستهان بها، وإن كانت عجفاء بعض الشىء. «هانس» رياضى وهو أساساً الرئيس.

تتردى الأم فى قمع أسود من الصمت، تضىء على جداره الأملس المتجانس المنحنى أحيانا صورة زوجها القتيل، كونى شجاعة، إننى أموت إذا لم يكن من الموت بدٌ، من أجل الديمقراطية الاجتماعية، من أجل قضية العمال، فالاثنان شىء واحد، الديمقراطية الاجتماعية وقضية العمال، والعمال سيعترفون بما قدمته وسيوفوننى أجرى . لن ينسونى هناك أبداً، وسأستمر حياً فى ابنى. فكونى إذًا هادئة كل الهدوء. إننى بمعنىً معيّن أموت من أجل النمسا قاطبة، التى أنت جزء ضئيل منها، ولكنه جزء حبيب، وما من أحد (باستثناء الشيوعيين) يعترف لها بأحقية الوجود. وبما يشبه أن يكون التصوير البطىء ترى الأم جلاميد الصخر الثقال من تربة ماوتهاوزنر Mauthausener(*) النامية، عندما فتكت بالمعتقلين الواهنين الخائرين. حتى بعد انتهاء العمل كان لزاماً عليهم أن ينزلوا الدرك بجلاميد الصخر الثقال. وتربة ماوتهاوزنر لا ترفض، فهى أم والأم تصبر دائماً على كل ما يجرى عليها. وعلى الرغم من أن الأم رفضت على الدوام، فلم يبق لها الآن من شىء إلا أكوام عالية من الورق. تتلاشى صورتها أمام العيون.

«هانس» يقول متهللاً كأنه ينفخ فى الترومبيتة.. اليوم أذهب كذلك إلى حانة قبو الجاز، ويلتف بالملابس على موضة أواخر الخمسينيات. فهى حماية وتمويه. هذه الفترة الزمنية قطعت فيما يتعلق بالموضة

(*) منطقة في النمسا العليا حاضرتها مدينة لينتس، أقام فيها النازيون معسكر اعتقال ارتكبت فيه الفظائع. (المترجم).

الصلة بكل ما كان موجوداً من قبل، ولابد بصفة عامة فى مـرحلة الشبـاب من قطع الصلة بكل شىء، لكى يستطيع الشاب أخيراً أن يتحـرر من ضـروب الإكراه العديدة، على المستوى الخاص والمهنى.

ماما تهمس: ليس العمل إكراهاً، الإنسان يحقق ذاته فيما يعمله. تحقيق الذات الحقيقى لا يتم إلا عندما لا يكون الإنسان عبداً لإنسان آخر.

أنا منذ وقت طويل لم أعد هكذا، بل أنا فرد يجعل أفراداً آخرين، تحديداً من النساء، أصحاب إرادة. وأنا لست مسئولاً إلا أمام ذاتى، وكذلك المرأة التى أحبها ليست مسئولة إلا أمامى.

مـثل هذا الكلام لا تحب أم «هـانس»، الأم «سـيـپ» أن تسمعه. وابنها يرفض أن يثور ضد الذين يظلمونه، وهكذا يقوم أمـامـهـا فـبـراير ١٩٣٤ الذى كـانت فـيـه نصف طفل. رأت العـديد من الزمـلاء الذين كـانوا يريدون تحسين ظروفهم المعيشية ممددين فى الشارع ميتين ونازفين. أطلقت الفاشيستية (*) النار بمدافعها

(*) الفاشيستية أو الفاشية Faschismus كما يشرحها قاموس دودن Duden كلمة إيطالية أصلاً fascismo مشتقة من فاشو fascio عن اللاتينية fascis وتعنى ربطة خيزران وما إليه من العصى، رمز المستبدين الرومان القدامى، اتخذها الدكتاتور موسولينى رمزاً على نظامه الدكتاتورى الذى استمر فى إيطاليا من عام ١٩٢٢إلى ١٩٤٥ وهو نظام يقوم على فرد قائد مستبد، ويستند إلى قومية متطرفة، ومعاداة للديمقراطية، وتطرف راديكالى يمينى. وتستخدم اللفظة دلالة على أشكال الحكم الدكتاتورى الشبيهة ومنها النازية الهتلرية ١٩٣٣-١٩٤٥. والعلاقة بين إيطاليا الفاشيستية وألمانيا النازية لها دلالاتها من حيث التطابق فى الأهداف والوسائل. (المترجم).

المتوسطة والثقيلة التى كانت ملك يمينها، وكان القابضون على روافع التشغيل مثل الضحايا أنفسهم أبناء عمال، ملك يمين الفاشيستية أيضاً. انساب فيضانان قوامهما أبناء المحرومين من الميراث أحدهما فوق الآخر(بحثوا فى القذارة عن ميراثهم فلم يجدوه إذ يتضح لكل ذى بصيرة أن آخرين كانوا قد أخذوه). البعض وكان بينهم كثير من العاطلين الموجَّهين الذين أُجبروا على «الدفاع عن الوطن» كانوا مسلحين بكامل أسلحة دولتهم. جيش اتحادى، مدفعية، طوابير دبابات. الجزء الثانى من الفيضان: بنادق آلية غير محظوظة، أوكار شائكة لطيور ضعيفة وراء نوافذ أبنية البلديات الكبيرة، فى بيوت العمال. أوكار بنادق آلية. فيضان يجرف وينقسم مثل بطيخة ناضجة، هى ستار التاريخ، من نفس القماش، هنا من جردوا من حقوقهم، وهناك من لا حقوق لهم. أما مَن يصدرون الأحكام فهم بعيدون كل البعد عن الطلقات ويوجهون البطالة ومسالك الثروة القومية التى تنتهى فى الظلمات لكى تظهر فى ضوء المسرح من جديد على هيئة حرب عالمية. هم يفتحون ستار البشر ويقفلونه، ويشدون خيوط المضاربة وتهريب السلاح وإشعال الأجور والأسعار، والتضخم والعنصرية والتحريض على الحرب.

لا يخطر بباله، «هانس»، شىء أفضل من أن يدهن شعره اللامع بدهان الشعر، البريانتين، وهو العبء المخيف الإضافى فى الغسيل الشاق الذى يقع على

كاهل ماما، بقع دهنية لا سبيل إلى إزالتها إلا بجهد جهيد، شأنها شأن كل وصمة. وإنما يجرى هذا الذى يجرى بقصد الاستعانة بمظهر أجمل فى خلق فرصة حياة أجمل. إن أمكن بنت رائعة تجمع مثله إسطوانات «إلفيس» لابد من أن يستثمر الإنسان شيئاً، هذا مبدأ أساسى من مبادئ الاقتصاد التى لا يعرفها «هانس» كلها، لأنه يعتقد أنه لا يفعل هذا إلا للهو.

«فى يوم ١٢ فبراير ١٩٣٤ كانت أم «هانس»لا تزال صغيرة السن جداً، تعدو ممسكة بيد أمها، جدة «هانس»، لا تلوى على شىء، وكانت الأم تمسك الأخت الصغيرة باليد الأخرى. بصوت كالصفير جاءت الكلمات: اجروا يا أولاد ..اجروا.. الهدف هو الشىء الذى لا يعلو عليه فى القيمة شىء آخر، هو حياتنا، لا أكثر ولا أقل. بعد أن جردونا من كل النعم المادية، انتقلوا الآن إلا بقاءنا على قيد الحياة، لا يهمهم تحت أية ظروف. الموضوع هو حياتنا، وليس لدينا أكثر منها، هل سمعتم؟! على حائط البيت شمس هائلة صفراء فى داخل إعلان عن صابون غسيل، شمس راديون، الشمس المشعة الوحيدة فى يومنا هذا المعتم. بقيت فى الحال لصيقة بذاكرة البنت. إنها لا تعرف شموساً غيرها. محل «جوته هوف» .Goethe-Hof تقرر أن تقوم قوات السلطة التنفيذية كما قالت بإعادة السلام والوئام إليه، كان المقرر أن يقوم حشد من الميتين المسالمين بالمشاركة الفعالة فى ذلك، فهم فى سلامهم الكامل الشامل قدوة لجميع العناصر غير

الهادئة فى ذلك الوقت السابق على الحرب. الموتى ينامون نوماً مطبقاً. على الدَّرَج رقم ٢ تسقط قنبلة مباشرة أنزلت بالطفل الذى رأى تأثيرها فزعاً هائلاً، بالت الطفلتان على الفور وكأنما بالتا بالأمر المباشر، «إيمى»Emmy وأختها الصغيرة (التى قضت نحبها فيما بعد فى غارة جوية، وكانت لا تزال طفلة، ولكنها على أية حال كانت قد كبرت بعض الشىء). ومرقت حافلات مليئة برجال الأمن الجندارمة، وشاهد المستشار الاتحادى «دولفوس» Diellfub (*) كل شىء فى مجموعه وبتفصيلاته بالرضا كل الرضا، وذيل الديك على قبعته. ذيل الديك رمز فيلق «الدفاع عن الوطن» الذى حرم الكثيرين من بيت به حياة كريمة. منظر الجثث التى أصيبت بطلقات فى الرأس تحت ورق جرائد، ريح لا تخفف من الآلام إلا قليلاً، يسمونها ريح فبراير، حركت الورق الذى كُتبت عليه عبارة محاولة انقلاب محدثة حفيفاً . ومن تحته نظرات موتى مدهوشة على وجوه دون حد الكفاف، من الذى يفعل بى هذا ولماذا، مع أننى من هؤلاء، ابن معدم من المعدمين مثل قاتلى أيضاً، سرسوبة دم تخرج كالفتلة من ركن الفم ومن الأذنين. فتل يُنسج منها التاريخ، الذى لا يُنسج من فتل ذهبية فى معاطف

(*) «دولفوس» Dollfu (١٨٩٢ . ١٩٣٤) أحد الساسة النمساويين، كان مستشاراً اتحادياً بين عام ١٩٣٢ و١٩٣٤ وانشأ فى عام ١٩٣٤ دولة على أساس مفاهيم مسيحية واستبدادية وطبقية، فقتله النازيون. (المترجم)

قياصرة النمسا وملوك المجر. أظن أننى أحلم، هل لابد أن يحدث لى مثل هذا، أن أُقتل بالرصاص بيد شكلها مثل يدى عليها دلائل العمل الشاق، كان الأفضل أن تمسك مثقاباً أو مبرداً أو ما شابه من أن تمسك سلاحاً، وأن تحصد أجراً مقابل العمل بدلاً :
أن تحصد حياتى. وهو لا يعلم أنه هو ذاته، الذى قطعنى كما تقطع شجرة، قد حُصد وشوّن بيد أناس لا يعرفهم أحد مجرد معرفة، لأنهم يقيمون فى الريڤيرا أو فى بيوت الصيد بالجبل العالى. الآن أدركت أننى ميتة ولن أرى أسرتى مرة أخرى أبداً. وهذه الأسرة لا يزال ينتظرها شرٌ مستطير إذا سارت الأمور على هذا النحو ولم يوقفها أحد. ولم يكن هناك أيضاً التزام بالإضراب العام، رباه. ولا يعزينى أن قاتلى سيخر صريعاً فى عام أربعين على الجبهة وسيكون ميتاً مثلى.

والآن الحذاء المدبب، المدبب، الذى يلمع لمعاناً رائعاً حتى أن الإنسان إنْ أراد سيرى نفسه فيه كالمرآة، وهذا هو ما يريده «هانس» كأنه يرتدُّ بهذا الحذاء الشبيه بالمرآة إلى بطن أمه الذى خرج منه من قبل، وهو لا يلاحظ ذلك مجرد الملاحظة. والحذاء على الموضة، وإن كان متعِباً بعض الشىء. على الجمال أن يعانى، هذا ما يقوله «هانس» لأمه متندراً. وسيرتفع أجرى عالياً بالنسبة والتناسب، فى حين أن أجرى الآن على الأرجح منخفض.

أقول لك شيئاً قد لا تعرفه يا «هانس»، عندما كان علينا أن نستسلم آنذاك فى مبانى البلدية، علّق الحارس لباساً تحتانياً قديماً فى الشباك علامة على الاستسلام. على الرغم من أننا لم يكن فى مقدورنا أن نجد حلاً لمشكلتنا (*) فقد كان استخدام ملاءة من الكتان الأبيض لهذا الغرض خسارة فى تلك الأوقات التى كانوا يقذفوننا فيها بالقنابل، كانت الملاءة الكتانية السليمة شيئاً قيّما، والأفضل أن يموت لباس تحتانى على أن تموت ملاءة كتانية جيدة. وبينما كان الناس يستسلمون سقط منهم كثيرون صرعى قذائف استهدفتهم، وهذا شىء ثابت بالوثائق.

بينما كان جمال «هانس» يعانى عناءً شديداً فى الحذاء الضيق أشد الضيق، تناول كمية من المظاريف التى فرغت الأم من كتابة العناوين عليها ودسها من وراء ظهر الأم النشيطة فى فرن المطبخ. وهو لا يعرف بالضبط لماذا يفعل ذلك الآن، ولكنه مضطر إلى ذلك، فثمة صوت فى داخله يتبع «راينر» هو الذى يدفعه إلى ذلك. أخيراً يفعل شيئاً بلا معنى علموه إياه بجهد جهيد. وهذا الفعل يكون بلا معنى لأن الأم لا تلحظ شيئاً، صحيح أنها ستلحظ ذلك فيما بعد، ولكنها لن تنسب الذنب إليه، بل إلى نفسها. بعد قليل يخرج «هانس» من البيت. المساء جميل ودافئ. الإنسان يحب أن يمكث فيه.

(*) على طريقة يلينك في التعامل الأسلوبي بالدلالات المختلفة نجد هنا على سبيل المثال كلمة Aufgabe التي تعني الاستسلام وتعني المهمة أو المسألة أو المشكلة. (المترجم).

بعد أن أصبح أبو «هانس» بالعمل حراً، عاجله الموت، كثيرون يعملون طوال حياتهم ولكنهم لا يصبحون أحراراً. قبل ذلك كان أبو «هانس» قد أصبح أبا «هانس»، ولكنه لم يؤت وقتاً ليفرح بذلك. ولكن كل إنسان، لا فرق بين فقير وغني، لا يعرف أساساً إلا القليل من اللحظات القصيرة التى يكون فيها سعيداً. وقت قصير ولكنه مركز. بعد عناء مركز يموت أبو «هانس» تحت صخرة من الصخور النمساوية الأصيلة.

على الأقل لم يصبه بيْنَ بَيْن الحياة اليومية، هذا ما يقوله عنه ابنه الذى يحوم دائماً فى خطر الغرق فى هذا البيْن َبَيْن ، ولكنه سيتصدى بكل ما أوتى لهذا الخطر ما استطاع إلى ذلك من سبيل. حياة مركزة قصيرة، وربما مِيتة مركزة قصيرة. أريد أن أجرب كل شىء بعنف، حتى وإن لم يكن ذلك إلا لفترة قصيرة. الإنسان يكون شاباً مرة واحدة، وهذه هى حالى الآن منذ قليل. أبوك لم يكن قط شاباً، لأنه لم يتح له الوقت اللازم لذلك. لا بد من وقت كاف. وهذا هو ما لم يفهمه. لقد أخطأ فيما فعل.

«هانس» على حق، فالوقت الآن أخيراً وقت جديد، وهو والحمد لله أفضل مما مضى، وهو ملك للشباب، والشباب يستأثرون به لأنفسهم توًا.

أم «أنّا» تسأل: من هذا الذى جئت به معك. على الأرجح صديق لك من المدرسة. عليه أن يفرح لأنه يختلف إلى المدرسة الثانوية التى تضع التلميذ على الطريق ويمكنه بعدها أن يدرس فى الجامعة، لأن وقت التلمذة أجمل وقت، وهذا ما يتبينه الإنسان من بعد، عندما يكون هذا الوقت الأجمل قد ولى. بعد ذلك يكون على الإنسان أن يمارس مهنة، فى حالتك، مهنة أكاديمية، والحياة جادة، وهذا الحد هو الذى سيتعرف إليه الإنسان.

يرد «هانس» عليها قائلاً إنه ليس عضواً فى الوقت الأجمل، لأنه لا يختلف إلى المدرسة الثانوية. ولكننى أحب ذلك، وهذا يكفى لأن الإرادة هى وحدها التى يحسب لها حساب. وحيث تكون إرادة، يكون طريق. والطريق يمكن على سبيل المثال أن يقود إلى وظيفة مدرس رياضة بدنية، وهى شاقة أيضاً، ولكنها شاقة على نحو آخر غير العمل كفنى كهرباء ضغط عالٍ وهو ما تعلمته فى إيلين أونيون Elin-Union. والآن

تحديداً، فى هذه اللحظة تنوى صديقتى «زوفى» نية خالصة فى ذات نفسها أن تعلمنى زيادة على ما أتقنه مثل كرة السلة والعدو والقفز كلها تعلمتها فى الاتحاد الرياضى «ڤات» WAT أنواعاً من الرياضات الإضافية مثل التنس أو ركوب الخيل. هى أجمل رياضة فى الدنيا.

لم تفهم الأم من كل هذا إلا أن «هانس» عامل عادى، وهو ما ترفض أن تخالطه ابنتها وابنها. معنى هذا أنك لا تختلف إلى مدرسة ثانوية عامة. وإن كنت تتمنى ذلك فقط، فهذا لا يكفى. الفعل أفضل من الإرادة. ولكن كل فعل لا يكفى. المهم هو ماذا تفعل. والأفضل هو ما يمتلكه الإنسان. اخرج من هنا ولا تعد إلينا مرة أخرى، فأنت لا تمثل صحبة طيبة لابنى وابنتى.

يقول هانس إنه يريد بمبادرة خاصة منه استكمال تعليمه وهو ما يتطلب طاقة، وهو يمتلك هذه الطاقة.

نحن لا نتعلم للمدرسة، بل نتعلم للحياة، ومن يتعلم أكثر يعيش أيضاً أكثر. وأنا أريد أن أتعلم للحياة، المدرسة لا تهمنى فى شىء. فى المدرسة من الممكن أن يتعثر الإنسان ويقف فى الطريق، وينتهى نهاية مأساوية. يفشل فى المدرسة وفى الحياة.

«أنّا» تسمع هذا الكلام بصبر تعتبره قياساً على معاييرها صبراً مدهشاً. وهى تفكر فى هذه الأثناء فيما يمكنها أن تفعله فيما بعد عندما تكون مع

«هانس» فى حجرتها التى تقيم فيها وحدها لتفحمه بالعديد من إنجازاتها الفكرية بما فى ذلك العزف على البيانو الذى ستعرف كيف تدخله بتمكّن فى اللقاء. مدفعية ثقيلة: هانس يبدأ فى تقدير الفن، دون أن يعرف ماذا يعنى الفن. أما أنها ستكون لها علاقة حميمة بـ «هانس»، فأمر واضح، و«زوفى» من المعلوم أنها لا تفعل هذا. ستترجم له نصاً مبتذلاً لـ«باتاى»، وعندما يسيل لعابه جنسيًا ستتخذ أوضاعًا مختلفة كل الاختلاف من الأفلام الفرنسية الجديدة، وهو ما لن يدركه لأنه لا يشاهد مثل هذه الأفلام. فقط رنات موسيقية بالصنوج والطبول. رنات على الجامد ولكن فيها ليونة كافية، حتى لا يفزع. وهى تحدق فى عضلات «هانس» الجامدة تحت البلوفر. العضلات تلعب. ليس هناك فى محيط «أنّا» الطبيعى عضلات كثيرة، إنها تنمو فى أماكن أخرى. يعجبها أن يكون «هانس» مجرد جسم ولا شىء غير ذلك. إنه شعور جديد وليس كما ألفت حيث يكون العقل كذلك موجوداً ويتدخل بومضات مزعجة دائماً. ابتداءً من طريقته فى الإمساك بالأشياء يرى الإنسان أن يديه تعرفان بدقة كيف يكون تناول الشىء. إنه متخصص فى كل ما هو من شأن اليد. كذلك يعرف كيف يتعامل بالشاكوش والمسامير أو المبرد؛ إنه فى كل أمره يتحرك فى دوائر أخرى. و«أنّا» تشعر بنفسها منجذبة. وطالما كان الإنسان شاباً، يجب عليه أن يخوض هذه التجارب، ليعرف كيف تبدو الأمور فى مجالات أخرى، لأن الإنسان يعرف ما عنده.

ماما تقول إن الترجمة اللاتينية لما قالته منذ قليل عن أن الإنسان يتعلم للحياة لا للمدرسة ستخطر ببالها تواً. لديها مَعين من الأمثال وجوامع الكلم. وهو لن يفهمها وسيخر صريعاً على الأرض ويترك البنت مستقبلاً دون إزعاج. الثقافة فى عائلتها تراث ولا تعتمد بحال من الأحوال على مبادرة خاصة، إنها أثمن من أن يكون ذلك شأنها. وأثمن شىء أساساً هو ما يستطيعه الإنسان. أما الشىء الخاص فهو دائماً عنصر مجازفة، والأفضل أن يستبعد. وهى على أية حال لا تود أن يدخل الاثنان دون رقيب حجرة البنت «أنّا» التى قامت هى بفرشها وتأثيثها. ستائر برسوم زَهرية تناسب «أنّا» تماماً كما تناسب قبضة اليد العين (بحسب التعبير الألمانى) فى حجرة البنت لا يجوز أن تقيم امرأة، بل بنت، كما يدل الاسم. والحقيقة أن «أنّا» لا تزال طفلة.«هانس» يريد أن يتبع كلامها آلياً لأن أم «أنّا» تنشر حولها الاحترام، ولكن «أنّا» تقول لها دعينا وشأننا والحسى بلسانك أوسخ شىء عندنا.ويدخلان بطبيعة الحال على الرغم من ذلك. ويقول «هانس» إنه لكى يصلح وقاحة «أنّا» سيأتى فى المرة القادمة حتى بزهور، باقة كبيرة يمكن أن تكشف المستور، كما تضيف أم «أنّا» على الفور. العامل البروليتارى (*) على الأقل مهذب. هناك لغة بحق للزهور تعلمتها الأم. الورود تعنى الحب بشرط

(*) العامل في المصطلح الشيوعي. وكلمة البروليتاريا دخلت العربية. والمقصود هنا «العامل الجلف». (المترجم).

أن تكون حمراء، وزهور القرنفل معناها الحزب الاشتراكى، بشرط أن تكون حمراء أيضاً. ثم هناك زهور تعبر عن الثبات والإخلاص والثقة وما شابه ذلك من سخافة، ولا يجوز خلطها وإلا كانت تلك كارثة فى حق إنسان عاشق. هناك بصفة عامة جداً لغة للطبيعة، يسمعها الإنسان فقط عندما يكون ساكناً كل السكون. تكون موجودة فى داخل إنسان ما أو لا تكون، ولكنه لا يسمعها إلا إذا كانت موجودة فى داخله. وهذا شىء مهم، فى مثل أهمية المعرفة الكُتُبية الجافة، على الرغم من أن هذا هو شرطها. وكذلك الجذور والأحجار والأغصان المتفرعة الغريبة التشكيل على الإنسان أن يلاحظها على الطريق وأن يجمعها إن أمكن وإلا يحتقرها عامداً. وأنا أريد فى مستقبلى أن أهتم أكثر بلغة الطبيعة يا مدام فيتكوفسكى.

«أنّا» تعال، أم هل تريد أن تضرب هنا جذوراً غريبة التشكيل؟ هه. السكة من هنا.

الأم تهدد بالأب. لا يكلف هذا التهديد «أنّا»إلا ضحكة، لا بهجة فيها. تقول إن بابا نفسه ربما يود أن يفعل نفس الشىء.

تهدئ الأم نفسها بأن توحى إلى نفسها بأن الاثنين لا يفعلان إلا الاستماع إلى إسطوانات موسيقية، والتدخين سراً والكلام سراً عن الفن. كيف السبيل إلى أن يتكلم الإنسان مع هذا الشخص عن الفن!

«هانس» يراوده إحساس بالارتباك، فالموقف يضطره إلى أن يبذل جهدا كبيراً، حيث أنه ينفرد ببنت لأول مرة، ومواجهته أصعب بكثير من أن يكون بين قطيع الزملاء.

«أنّا» تحملق فى المرآة فى وجهها الذى يغلب عليه الجمود وتقول فى نفسها الآن عندما يجدُّ الجد أفضل لها أن تكون حلوة وشقراء مثل «زوفى»، ووجهها الجامد أشق بكثير، ولكن التغيير من الصعب احتماله إلى النهاية. ربما كان الاقتراب فى ليونة هو الأفضل، ولكن لا يصح بحال من الأحوال، لأنهم سيعتقدون أنهم يستطيعون أن يسمحوا لأنفسهم بكل شىء. ولهذا كانت عادتها المألوفة هى الوجه الجامد، مثل چان زيبرج. Jean Seberg وهى فى شوق إلى «هانس» كيف يكون أو كيف سيكون بعد قليل. ولقد رأته لابساً الشورت فى الاتحاد الرياضى «الفـات» وفى كرة القدم. ولابد أنه سيكون بدون أى شىء أفضل. إنه مثل حيوان الغاب، ولا سبيل للتقرب إليه بكلام عن الأدب، وفى هذا ما يفتتها. فمهما طال باعها فى الثقافة، فما هى الآن إلا بدن، وعليها أن تنزل إلى مستوى الأبدان، وهى واحدة من كثيرات، وليست إلأحسن، ولكنها الأفضل فى كل الأمور لأنها ذات عقل. والعقل لا يحسب له حساب، وفى ذلك تشعر«أنّا» بمأساة هناك العرى وأن تكون المرأة بلا عقل، ويكون عليها فى هذا الموقف أن تفقده. «أنّا» وارى رأسها فى دولاب الكتب وتحملق فى «هانس»

الذى يبدو عليه كأنه يعتقد أنه حيوان وحشى حسن البنية، ذئبٌ مثلاً. وهو يمضغ على نحو عنيف بفكيه (عادته المألوفة القديمة) وهو ما لابد أن يوحى بالعاطفة والانفعال وبالتوحد فى الوقت نفسه، وهو ما يوحى به مراراً وتكراراً چون وين John Wayne وبرايان كيث Brian Keith وريتشارد ويدمارك Richard Widmark وهنرى فوندا .Henry Fonda بنفس المناهج ولكن على نحو أفضل بطبيعة الحال. طبقة الميناء على أسنان «هانس» تحدث صريراً احتجاجاً على المعاملة الجافة، وهو دائماً يُحمِّل بما فوق الطاقة. المفروض أن تظهر عضلاته بيضاء ناحية الخارج وهو ما تتجح فيه دائماً أمام المرآة، وما لم تفشل فى إحداث أثره فى أى بنت من البنات. البنات مبهورات به. إلا أنه فى أحيان كثيرة على الرغم من ذلك لا يثق فى نفسه، والبنت فى أغلب الأحيان أقل ثقة فى نفسها منه. «أنا» تعرف بدقة من أى فيلم هذا. إنها ترى أمام عينيها المرعى والخيول والأكواخ الخشبية والصبار، وفيها رجال متوحدون معهم أسلحة. وعلى الرغم من أنها تعرف ذلك، فإنها تريد جداً جداً. شىء هزلى. عندما يرى إنسان كامن أمر ما بالكمال والتمام، فإنه على الرغم من ذلك يريد أن يرى على سبيل المراجعة هل وراءه شىء. ولو لم يكن هناك فى النهاية سوى أوتار وعضلات وجلد، ففيها الكفاية. لا ثرثرة سخيفة. المخ لديها هى، ولكنها تريد الآن أن تنحيه جانباً تماماً وألا تكون بالنسبة لـ «هانس» إلا بدناً، وما كان له على الدوام إلا أن يكون بدناً.

وجدت «أنّا» فى كتاب «باتاى» الفقرة وترجمتها: أم سيمون تدخل فجأة حجرة المريض. يخلع بعض ثيابه، وسراويله.. لأن الأم تأتى بالبيض المسلوق سلقاً خفيفاً. هكذا فى الكتاب. إنها لا يمكن أن تتخلى عن الكتب تماماً. عندما يتجرد من ملابسه (هكذا فى الكتاب) فإن هذا يحدث رغبة منه أن تخرج الأم، وهو يبتهج لاجتياز الحدود. هنا لحسن الحظ الأم غير موجودة فى حجرة «أنّا» وتسترسل «أنّا» قائلة، وهذا هو بالضبط ما يجرى علينا. سنجتاز الآن الحدود، ذلك إحساس طيب وهو مذكور هنا فى الكتاب. هكذا بكل بساطة، لا لشىء إلا لاجتياز الحدود. دونما هدف، فليس هناك هدف يريد الإنسان بلوغه.

«هانس» لا يريد أن يبلغ شيئاً خاصاً، اللهم إلا استمالة «أنّا» «أنّا»، ساورها إحساس بانعدام الحدود، ينبثق من رأسها، وكثيراً ما وصفه المؤلفون، و«أنّا» تجرى وراءه لكى تشعر به كما وصفوه تماماً. ولولا رأسها لما استطاعت «أنّا»الآن أن تعرف أنها ليست إلا بدناً، ولا شىء غير ذلك.

أنا تفتح أزرار قميصه ويسارع «هانس» قائلاً أنا أحبك مرتعشًا وتقول «أنّا» وكذلك أنا ولكننى لا أحبك مطلقاً لأن الحب ضرورى لهذا. ويقول «هانس» رأيك أحدث شىء أسمعه (هانس) .الحب يستعبد الإنسان، لأن الإنسان ملزم بأن يكون هو الغالب دائماً، حيث يكون الآخر موجوداً الآن، أو لماذا لا يكون موجوداً. إن

ذلك يجرد الإنسان من الاستقلال الذاتى، وهذا شىء بشع. ويفكر «هانس» كيف يتصرف ويندفع كالذئب المتوحش نحو فم «أنّا» وتعبر أساريره عن معاناة التعذيب، ويتذكر من فوره أن «جارى كوپر» كثيراً ما يعبر وجهه عن معاناة عذاب داخلى عندما يؤدى دورًا فى مشهد غرامى. على الإنسان أن يبدو كأنما يجرى عليه شىء ضد إرادته إلى أن يغلب العاهرة لابد من أن تتلاطم الأشياء من فوقه، وها هى ذى تتلاطم أيضاً فى الحال، الموجة الحمراء، أو الجمرة البيضاء أو سواد نسيان كل شىء.

ما الذى يتحتم علىّ الآن أن أفعله، سؤال يوجهه «هانس» إلى نفسه باطنياً، لابد دائماً من أن يحدث شىء، لا دوران على الفارغ، لابد دائماً من الاستمرار، وإلا صعُب عبور التوقف ، فالإنسان يخرج من الإيقاع كليةً لابد أن أجردها مما عليها «أنّا» تقول فى نفسها، من أجل هذا قرأت الآن فى وقت فراغى كل ما كتب سارتر، كتاب «سارتر» كله الكون والعدم (*) ، كل الكون وكل العدم يندفع من خلال رأسها وهى تخرج من كسائها والآن لا أستطيع أن أفيد منه بشىء. من

(*) LÊ'tre et le Néant كتاب «جان پول سارتر» الضخم الذي صدر في عام ١٩٤٣ متضمناً شرح الوجودية السارترية أو واقع الإنسان من خلالها، ومفاهيم الوعي والحرية .ومما نقرؤه فيه أن كل وعي هو وعي بشيء، وعي في موقف، وعلاقات الكائن بالآخر من قبيل الرغبة والحب والكره والصادية والمازوخية لا تظهر إلا نفسياً على هيئة الصراع. والحرية هي المشروع الأساسي للإنسان. (المترجم).

الممكن أن أكون أيضاً بالضبط واحدة لم تقرأ من قبل أى شىء سوى (مجلة) «برافو» لا ضرورة هنا إلى أكثر من ذلك.أما أنها تسبر الأغوار، فهو ما يميزها من قبل مرة أخرى عن الملايين من البنات الأخريات، ولكن ظاهرياً لا يرى «هانس» للأسف إلا واحدة مثل ألف ألف غيرها. وهو يعاملها طبقاً لذلك كما.. تقول ضد إرادتها، «هانس»، «هانس»، وهو ما يقبله راضياً. هذا هو اسمه، أى نعم. هنا. هو..؟.

ثم تركن فى النهاية إلى السكون والسكوت، فهى فى أغلب الأحـــــوال تفرط فى الكلام، وتكاد فى إفراطها فى الكلام أن تكون مثل أخيها. «هانس» يعتقد أن كثرة الكلام تثير شيئاً فشيئاً أعصاب «زوفى»وتنفرها. وه ى تفضل صمت «هانس»، المتفرد، على ثرثرة واحد مثل «راينر» الذى يبحث دائماً عن المجموعة حتى يتألق فى وسطها. شىء يستبد فعلاً بهذا الشخص الذى يشبه أن يكون طائراً غريب الأطوار (*).

يبذل جهدًا جهيدًا ويتفصد منه العرق، وعندما لا تسير الأمور على هواه، فإنه يلجأ إلى العنف الغاشم، لا حيال نفسه بطبيعة الحال، بل حيال «أنّا»

إنه يقصم ظهرها من فرط عنفه.. يلوى رقبتها إلى أسفل بعنف حتى تطقطق وتؤلم إنها نفسها لا تعرف كيف حدث كل هذا العنف؟!

(*) كلمـــة Vogel «طائر» في اللغة الألمانية الدارجة تعني الشخص الغريب الأطوار، ويصفون المعتوه والمجنون والمهزوز بأن عنده طائر إلخ . (المترجم).

فى «أنّا» إحساس دافئ ولاشىء غير ذلك.. «هانس» يفكر فى «زوفى» التى ستفرض عليه غداً أول ساعة تدريب تنس. يرمى «أنّا» بقبلات خفيفة بفيه الذى يشبه خرطوم الخنزير تارة هنا وتارة هناك «أنّا» يختلط عليها الفهم وتظنها صبابة وما بعد الضبابة بينما هى ليست إلا تلهية يلهيها بها «هانس» عن أنه لا يشعر تجاهها بأية صبابة على الرغم مما جرى ومثل هذه الأمور يمكن أن تضر بالرياضى.. وبلياقته البدنية.

«أنّا» تقول بصوت خفيض «هانس» «هانس» «هانس».

حاضر، هذا هو اسمى، يقولها «هانس» مجيباً وهو يضحك من نكتته الجيدة .

ولكى تدخل الطبيعة المجال أيضاً ليستطيع الإنسان عندئذ أن يميز نفسه عنها باعتباره جسماً غريباً، تحس المجموعة بما يجذبها نحو الـ «ڤينر ڤالد»، غابة ڤيينا المشهورة، التى فيها كمية كبيرة من هذه الطبيعة، أو على الأحرى ليس فيها أى شىء آخر غير الطبيعة. اللهم إلا بعض القائمين برحلة باحثين عن طريقة حياة طبيعية، حيث إن التصنيع فى هذا الزمن يسير بخطى متقدمة، وكذلك الجوالة يسيرون(*) بخطاهم.

آخر قطع الضباب الصباحية تصعد السفوح الجبلية المكسوة بأوراق الشجر الساقطة؛ وكذلك الشباب ينجذبون إلى الصعود نحو قمة الجبل وعليه برج المشاهدة والمطعم المقهى ، حيث تجد الطبيعة تواً نهايتها التى تستحقها، إذ يأكل الناس تورتات

(*) طريقة يلينك في استخدام كلمة واحدة هنا فعل "يسير" بدلالتين مختلفتين، التصنيع يسير بخطاه، والجوالة يسيرون بخطاهم، ولكن شتان ما بين المضمونين. (المترجم).

ويجلسون وراء زجاج. الشمس تسقط أشعتها مائلة وتكوِّن أشكالاً مثلثة يجلس الناس بينها فى مهب الريح. أوراق الأشجار الساقطة وأشياء مختلفة متحللة تكون سجادة تبث حفيفاً. أما ما يميز المجموعة عن مجموعات أخرى تجول جولاتها لابسة لبس الجوالة فهو أنها لا تلبس لبس الجوالة، بل تحمل سلة فيها كيس مقفل. فى الكيس شىء يخربش ويموء مولولاً، لأن به قطة. القطة أمسكوا بها ووضعوها فى الكيس. فى مرحلة نضج «چان پول سارتر»ثمة شخص يريد أن يُغرق قططه، ولهذا يريد بعضهم اليوم كذلك أن يُغرق هذه القطة، على الرغم من أن هذه القطة لها الحق فى وجودها. «راينر» يقول إنه مثل هذه القطة له الحق فى اللاوجود تماماً مثل هذه القطة هنا التى سيدفع بها إلى لاوجودها، قبل أن تستطيع أن تعد لغاية ثلاثة. وهى تتوجس شيئاً، ولهذا قلقها فى الكيس.

«زوفى» ترتدى فستاناً رياضياً صوفياً جاء من بيت أزياء آدلموللر .Adlmüller معطف «أنّا»الخفيف جاء من ماكينة خياطة أمها، وهذا ما يراه من ينظر إليه. «زوفى»تخطر فوق جذور وكيزان الصنوبر والأغصان الرقيقة وثمار الزان. «زوفى» هى تلك التى تقرر إغراقها، فى غدير بالـ «ڤينر ڤالد»، غابة ڤيينا، يجرى البحث عنه. هى الوحيدة التى عليها أن تخوض تجربة الشجاعة، وإلا فلن تنتمى إلى المجموعة. فعندما يجد الجد فى شأن الاعتداءات فلن يكون لها

أن تبكى وتصرخ كالبنت العيِّلة، بل يكون عليها أن يكون رد فعلها بارداً بلا تأثر. «راينر» على نحو خاص يهتم اهتماماً قوياً بمشاركة «زوفى» لأن ذلك سيربطها بشىء مشترك.

والـ «فينر فالد»، غابة فيينا ، تتقسم كما هو معلوم (لا ليس كما هو معلوم ، فمن هذا الذى يعلم) إلى تلال لا يحصيها العد؛ وهناك بين التلال تبّات متوسطة هى هضيبات صغيرة نسبياً تتخللها قنوات تنساب فيها غدران. إنها عيون صافية فوّارة ، الجوالة يطفئون هنا ظمأهم عندما يلم بهم ظمأ. إلا أن هذه الغدران للأسف لا تجلب فى كثير من الأحيان إلا القليل من الماء. إلا فى الربيع الذى هو الآن. وكثيراً ما تتناهى إلى السمع خشخشة من حيوان صغير، يكون مشغولاً بالبحث عن طعام.

المجموعة تبحث عن غدير فيه كمية أكثر من الماء وإلا فإن الإغراق سيطول أمده إلى الأبد. ومن يعلم هل ستتعاون القطة أم لا. «زوفى» شعرها طويل أشقر يتلألأ عندما تتغلغل فيه حزمة مثلثة من نور الشمس ؛ أما عندما يكون فى الظل فإنه يكون أصفر بلا لمعة كالنحاس الأصفر. وتنازل «راينر» ورضى بأن يحدث انطباعاً أقل من ذلك الذى يحدثه فى حانة قبو الچاز، بل إن «هانس» فى هذا المكان الأخضر قد يتفوق عليه وهو الذى لم يتفوق عليه من قبل قط. أياً كان الأمر فإن «زوفى» مستعدة للغرق. «أنّا» تقف

بعيداً منتحية جانباً مشغولة بألا تُبيِّن أن رباطاً لا يمكن أن ينقطع يربطهما هى و«هانس»، ولقد جاء عدم الاكتراث المرسوم على أساريرها ثمرة تدريب طويل. أراد قبل ذلك أن يقبِّلها. لا يمكن. لا مجال للعواطف، فالعوطف من شأن المراهقة.

وعلى الرغم من ذلك فهذه قشعريرة تتملكها عندما تراه، إنها قشعريرة ذكرى المتعة. وإذا كان الإنسان تتملكه قشعريرة عند الذكرى، فماذا تكون الحال عند الواقع. هل كان هذا الذى صرخ حيواناً؟ لا، إنهم جوالة زغردوا. هاللو! هاللو! لقد أفزعوا الحيوانات. رجال ونساء بدينات فى مناصب مدى الحياة يتاح لهم أخيراً أن يعملوا شيئاً لا معنى ولا هدف له، ألا وهو تسلق الجبال. هذه الجبال هى «زوفيناليه» Sophienalpe و«شويفل» Schöpfl وزاتسبيرج Satzberg يرتدون اللبس الرياضى بتحويرات محرفة عن الزى القروى الاشتايرى (١) ولكنهم من أهل المدن، أما السمة القروية فهى علامة على الرفاهية حيث لم يعودوا مضطرين للحياة لا فى الريف ولا فى البؤس أيضاً. والقبعة على الطراز التيرولى (٢) شكلها لطيف عليهم.

---

(١) Steierischنسبة إلى الاشتايرمارك Steiermark وهو إقليم من أقاليم النمسا يتاخم المجر حاضرته مدينة جراتس Graz (المترجم).

(٢) Tirolerنسبة إلى التيرول Tirol هو إقليم من أقاليم النمسا حاضرته مدينة إنسبروك Insbruck . (المترجم).

وهم ينثرون بقايا الطعام حولهم ويخربون بيئة نمت طبيعياً يحولونها إلى بيئة مصطنعة، وذلك طرح لمشكلة ليست مألوفة لـ «أنّا» و«راينر» حيث إنهما يريدان أن ينشرا الاصطناعية فى كل مكان إلى أبعد مدى ممكن. ووجهاهما الشاحبان السهيران مندسان وراء نظارتى شمس رخيصتين، وأصابع «راينر» المصفران من النيكوتين تمتد مرتعشة إلى سجائر بغية التسبب فى إشعال حريق بالغابة. طيور تصرخ صراخاً نفاذاً. أوراق شجر تتساقط. قطارات تصفر على بعد. يوم أحد.

«أنّا» تتكلم عن ليلة التجلى من تأليف شونبرج (*).

مكان خاطئ ووقت خاطئ.

تبتسم «زوفى» مندهشة، فى هذا النور النهارى الرائع تتكلمين عن الليل، ولا تتكلمين حتى عن ليلة فعلية، بل عن ليلة موسيقية الصياغة. «هانس»يؤدى حركات ملاكمة فى الهواء طوال الوقت، ويمثل حركات

(*) Arnold Schönberg [Schoenberg] مؤلف موسيقى نمساوى شهير ١٨٧٤- ١٩٥١ ، من أصل يهودى، تتميز موسيقاه، خصوصاً فى مرحلة ما بعد الرومانتيكية، بالجرأة فى التجريب، واللانغمية، ثم التقنية النغمية الاثناعشرية. هاجر فراراً من النازية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ألف بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٧ أغنية توقيعية مرتلة بعنوان «ناج من وارسو» وأوبرا «موسى وهارون» ١٩٥٧. أما ليلة التجلى فهى سداسية وترية من مرحلة ما بعد الرومانتيكية ترجع إلى عام ١٨٩٩. (المترجم).

مصارعة خيالية وألعاب كرة قدم، وهو محدود التفكير لا يتـجـاوز به طرف أنفـه، أو إلى المدى الذى تبلغـه ذراعاه إلى أمام. إنه غارق فى الحاضر، فى الآن، هو إنسان من الحاضر. وكذلك القطة الناو ناو فى الكيس ليست بالنسبة إليه حاضراً، بل هى مستقبل. المهم هو عدم التفكير فيها. وهو يمثل تضليل الغريم فى مناورة كرة قدم، ويلعب دوره ودور الغريم أيضاً ، من المؤكد أن «زوفى» تجـده رائعـاً. «زوفى» تتـمـتع بالشـمس والهـواء الجـيـد، على الرغم من أنها فى هذه الأيام تستطيع أن تتمتع ساعات عديدة ممتطية صهوة الحصان وما يشبهه. التوءمان ليسا على ما يرام تماماً. رئتاهما تخشخشان، اللياقة منعدمة لديهما، ووفيرة جداً لدى «هانس» إفراط فى تعاطى الكحول، وإفراط فى تدخين السجائر، هكذا يتباهى «راينر» ويريد أن يتناقش حول «ألبيركامى»حتى يضع نفسه فى الضوء المناسب. «زوفى» تريد أن تضع نفسها فى الضـوء الخـالص (*) لكى تسْـمَـر. «هـانس»يـريد أن يقـدم لـ «زوفى» آلاعـيب جـودو اطلعـه عليـهـا أحـد أصدقـائه. ثم يتلوى الاثنان ضاحكيْن، وهو ما يعمله السم فى بطنى «راينـــر» و«أنّـا» ، «أنّا» تســـارع إلى تأكيد أنها الآن تـدرس على البيــانو صونـاتا «بيرج»

(*) بعض سـمـات يلينك الأسلوبيـة لا يمكن إظهـارها في الترجمة. وهي هنا على سبيل المثال تلعب بحذف حرف يؤدي إلى خلق معنى آخر، من recht إلـى echt ، يتحول الضوء المناسب إلى الضوء الخالص. (المترجم).

Alban Berg، [1] وهذا هدفٌ استهدفته منذ وقت طويل، وحققته الآن. وهو يتطلب منها الجهد الجهيد، ولكنها ستتغلب على صعابه فى نهاية المطاف. ويسأل «هانس» هل هذا طعام يؤكل، ويصهل مثل حصان من فصيلة الليبيتسانر [2] هل تعرفين يا «أنّا» هذه الإسطوانة أو تلك أو هذه أو تلك؟ لا لأنها موسيقى غير جادة، لابد من أن تزيد معلوماتك يا «هانس»، وإلا بقيت واقفاً فى مكانك، وهذا ما لا ينبغى لك قطعاً فى مرحلتك الآنية، وإلا وقفتَ فى مكان ليس فيه أى شىء. والدا «زوفى» لديهما أبونيه للأوركسترا الفيلهارمونى. وكثيراً ما تذهب «زوفى» مع أمها وحدهما. وأم «زوفى» حسناء اجتماعية مشهود لها، كل واحد يعرفها، وكل واحد يحبيها، طبعاً فقط هناك حيث يعرف كل واحد كل واحد. يقول «راينر» بناءً على مجرد الرؤية إنها ليس لديها مقياس تقييمى، بل يعتقد أنها ليس لديها أى مقياس أساساً، وأنها ليست بحاجة إليه. إنها تنزلق بلا هدف من خلال كتلة هلامية عقيمة شفافة. لا شىء فيها يوقفها، ولكن هذه الكتلة الهلامية الزجاجية الشفافة تجعلها هائمة

---

(١) البان بيرج (١٨٨٥-١٩٣٥) Alban Berg موسيقي نمساوي شهير. تلميذ شونبيرج [Schoenberg] Arnold Schönberg الذي اشرنا إليه من قبل في الملحوظات الهامشية. الف أوبرا بعنوان «فوتسيك» ١٩١٩. أما صوناتا البيانو فترجع إلى عامي ١٩٠٧-١٩٠٨. (المترجم).

(٢) الليبيتسانر Lipizzaner فصيلة من الخيل الأصيل، عريضة الصدر، لها أرجل قصيرة قوية. (المترجم)

دائماً لا تلمس الأرض. وكذلك «زوفى» ستصبح ذات يوم مثلها، إذا لم يستطع الإنسان الآن فى الوقت المناسب أن يمنعها. الحب سيمنعها.

عازفو الأوركسترا الفيلهارمونى لا يعزفون إلا أشياء رجعية مثل شوبرت وموتسارت وبيتهوفن، كلام حاد ترفع به «أنّا» عقيرتها. وجمهور الأوركسترا الفيلهارمونى عندما سمع (أنطون فون) فيبرنAnton von Webern (*) يوم الأحد الماضى صفق كالمهابيل، فى حين أنه يحتقر مثل هذه الموسيقى. جمهور الأوركسترا الفيلهارمونى مهذب على نحو مفرط يحول بينه وبين الصفير رفضاً لواحد من قبيل «أنطون فون» فيبرن إنه يعرف المرتبة التى يحتلها هذا المؤلف الموسيقى، المرتبة العالية، كان هذا رد «زوفى» طبعاً لم يعجب الجمهور. فمؤلفات «أنطون فون فيبرن» نكتة، لا أكثر ولا أقل.

«هانس» يشير متحمساً إلى سنجاب، سنجاب أحمر. أحمر كله، فعلاً. وهو لطيف جداً. يتسلق الجذع مسرعاً، وينزل مسرعاً، وله عينان ثاقبتان. الشمس تناضل عن نفسها بطول السماء. سحيبات الظهيرة تتم مشهد ظهورها. نأمل ألا تتكاثف إلى

(*) أنطون فون «فيبرن» Anton von Webern مؤلف موسيقي نمساوي شهير ١٨٨٣- ١٩٤٥ تلميذ Arnold Schönberg (Schoenberg)، يرى عشاقه أنه لعب دوراً مهما في الانتقال من مرحلة ما بعد الرومانتيكية إلى مرحلة التقنية النغمية الاثناعشرية. (المترجم).

تكتلات من السحب المعتمة. هنا أخيراً غدير أكبر قليلاً من الأخرى ربما يكون مناسباً لإغراق القطة، لا، بل هو يقيناً مناسب.

هيا إذًا يا «زوفى» انزلى فى الوحل، حتى تَصِلِى قريباً منها، على أية حال قريباً بما فيه الكفاية. أنا لا أريد أن افعل ذلك، وأرى أنه الأفضل، فأنا أحب الحيوانات. أنا أمسح حصانى بالفرشاة دائماً بنفسى. لابد من أن تفعلى وإلا تم استبعادك قبل أن تغوصى فى الوحل. إننى أرى أنكم أطفال فى منتهى الطفولة بلعبة الهنود الحمر التى تلعبونها. القطة المسكينة التى لم ترتكب جرماً. على الرغم من ذلك. بسرعة. علينا أن نلحق الأتوبيس. هه، طيب. سأفعل على أية حال. الحمد لله أننى أحضرت معى شريطاً طبياً لاصقاً. لا مفر يقينا من أن أذكر فى هذه الأثناء فرسى الحبيبة «تيرتشى» .Tertschi هى أيضاً حيوان. يا «زوفى» ليس فى مقدورنا فى المستقبل احتمال مثل هذه الليونة، أنت تعرفين ذلك قطعاً.

«زوفى» تستخرج القطة التى تصرخ وتخمش وترغى وتزيد من قبرها بالكيس، فتهبر يدها على الفور حتى تنزف دماً. أواه، أما كنتم تستطيعون أن تأخذوا حيواناً آخر يتسبب فى آلام أقل من هذه؟ لم تتح لنا إلا قطة، هل أوشكنا؟

«زوفى» تبرك على ركبتيها بفستانها الجميل وتغوص فى الطين، فيعلوها الوحل كلياً وجزئياً. وهى

تمسك الحيوان المنزلى المخلص الذى ألف الناس وتدسه فى الماء، وهو ما يتطلب الكثير الهائل من الجهد والقوة. فى الماء ولولة وانتفاش ورفس وغرغرة.

تكاد أن ترتمى بكل جسمها على البهيمة، لقد ابتلت كل البلل وسأصاب بالتهاب رئوى.

وقبل أن يتمكن الموت من الحيوان جذب «هانس» الذى تصرف منذ قليلاً تصرفاً هزلياً مع السنجاب «زوفى» بعيداً عن القطة، وإذا الحيوان المبتل كل البلل يتسلق بجهد شاق خارج الوحل ويعدو بعيداً وهو يبصق. سيأخذها الثعلب ويفترسها، ولن تكون هذه الميتة أحسن من تلك التى فرت منها.

ينهال «هانس» على «زوفى» بصفعة يسيل الدم نتيجة لها من ركن فمها. أواه. تقف المجموعة هناك مثل العائلة المقدسة التى انتزع منها سقف حظيرتها، ونفذ المطر إلى داخلها.

«زوفى» مذهولة. شئٌ ما يحدث فى داخلها، ولا تعرف ما هو. «راينر» يفكر مفزوعاً، آمل ألا يحدث شئ فى داخل «زوفى».

«هانس» الذى يعرف الأفلام المثيرة بحق، وليس فقط الأفلام الزائفة التى تصيب الإنسان بالملل، يشد «زوفى» إليه ويقبلها حتى يلطخ الدم فمه. الدم طعمه حلو. «زوفى» هذه حلوة. إنها مثل شئ مغسول بمسحوق غسيل خاص بالصوف، لا، إنها مثل شئ لا

يحـتـاج أسـاسـاً إلى غـسـيل، لأنه لا يتـسـخ أبداً.
أنجورا.

لابد من أن يسـتـولى الإنسـان على فم بنت حلوة ببساطة دون أن يسأل، كما تقول الأغنية الشعبية التى تصمت عندئذ مفزوعة لأن الأمر أصبح حقاً.

هذا المشهد يُخرج اثنين ارتاحا واثنين لم يرتاحا. والأمـور تجـرى فى الحـيـاة دائمـاً هكذا، مناصـفـة، النصف والنصف، وهو ما يحقق إنصافا.

لابد من أن تتراجعى خجولة للإفلات منى، كأنك تتراجعين للإفلات من شيطان. الخوف يُرى فى العينين، الخوف فى بنية الجسم، آثار التعذيب على الجلد، وهى كثيراً ما تتغلغل فى العمق أكثر فأكثر. إلى داخل الروح، وهذا أيضاً يظهر تعبيره فى النظرة. امرأة تهرب من الذى اغتصبها والذى تعرف عنه أنه فى هذا الموقف سيدها. لا بد أن يكون فى النظرة تذلل، فى سكون، لعبة تعبيرات الوجه المتتابعة لا هدف لها، ليست هذه آلة تصوير سينمائى، إنها آلة تلتقط صوراً فقط. تركيز من فضلك يا «جريتل» مستأجر من الباطن يدخل، تصورى الموقف التالى: هو يرى فجأة على عكس كل توقع صاحبة حجرته التى لا تزال شابة (وأنت بطبيعة الحال فست كذلك) يجدها وحدها توضب نفسها ويرمقها بنظرة تعرف منها أنها ضربت ضربًا مبرحًا وأن أحداً لن يساعدها. وهو لن يخجل ثانيةً من الانتقال إلى الفعل. ماذا تريدين الآن أن تفعلى بفوطة مسح التراب يا جريتل، ابعديها وأرينى ما تستطيعين. عليك أن تتركى القميص ينزل

تدريجيًا جـريى وضع اليـد كـمـا قلت لك ولكن اليـد مـثلهـا مـثل كل شـىء على الجـانب الخـاطئ وفى الصورة يظهر كل شىء.

السيد «ڤيتكوڤسكى» يعود إلى الكلام المنهمر كمياه الشلال ، ومـا الكلام للأسف إلا فضـة، أمـا السـيـدة «ڤـيتكوڤسكى» فتلوذ بالسكوت، والسكوت من ذهب. هذه العبارة يعرفها السـيـد «ڤـيتكوڤسكى» من وقت طفـولتـه وفـوق ذلك من وقت عنابر المسـاجـين فى «أوشـڤـيتس» وكذلك أيضـاً عـبـارة أن الشـرف أطول دواماً. ومنذ أن عفا عنه التاريخ بقى شـريفاً واستمر ذلك زمناً طويلاً. لقد قـرر التاريخ منذ عام ١٩٤٥ أن يبدأ مرة أخرى من البداية الأولى، واجتهدت البراءة أن تتـخـذ نفس القـرار. و«ڤـيتكوڤسكى» يبدأ فـيـهـا مجدداً من أسفل نقطة، من حيث لا يبدأ إلا الشباب الذين أمامهم كل شىء؛ والصعود أكثر صعوبة بساق واحدة، مثل زيادة صعوبة السير عموماً بساق واحدة فقط. ومزيد من الذهب يلوذ بالسكوت (على الأرجح إلى الأبد): تركيبات أسنان، شنابر نظارات، عقود وأساور مدخرة، خواتم، ساعات، يسكت الذهب لأنه من السكوت يأتى وإلى السكوت يعـود. لا يأتى من السكوت إلا السكوت.

لا تدعنى أقف هكذا عارية طويلاً فى البرد الذى ينجم عن التوفير فى التدفئة، هذا ما تقوله مارجريته «ڤـيتكوڤسكى» علىّ أولاً أن أفكر فى كـيـفـيـة أخذ اللقطة التى لا تكون إلا بالعنف. انثنى من فرط الألم،

كأنك على سبيل المثال ضُربت. هكذا تمام، حتى أنت تتعلمين شيئاً فشيئاً. ليتنى أعرف من أية زاوية ألتقط الصورة حتى أحيط بكل شىء. دعى هذه (الهلاهيل) تتدلى حول قدميك. والآن اخرجى منها ببطء. اتركى جلد الحيوان المنسلخ، مثلا جلد الثعبان، تحت قدميك واطلعى منه على قدر الإمكان بحركة ثعبانية نحو إحساس قوى مفروض مرفوض.

السيدة «فيتكوفسكى» تؤدى على نحو ما تصورت فعل ثعبان فتطلع من جلده لا لتلقى إحساساً بهيجاً، بل لتشم رائحة قميئة تنجرف إلى أنفها فتجرى مندفعة إلى المطبخ إلى الأرز باللبن الذى احترق. هكذا حطمت المزاج الفنى الرقيق لزوجها. لقد تنزلت عليه العبقرية، ولكن زوجته التى لا تعرف الشاعرية بددتها كل التبديد. علىّ أن أهتم بشغل المطبخ، فقد أزف وقته، بل تأخر تأخراً مفرطاً. فى هذه الأثناء تترك زوجها لأفكاره التى تسرح إلى منخفضات بولندية، وكذلك روسية، ظلت الآن ترسل الشيوعية إلى هنا. كان هذا الشخص هناك شخصاً مرموقاً، فمَن يكون الآن الشخص المرموق، يكون لا أحد، يكون بواباً. السيد «فيتكوفسكى» مسرور لأن محاولة انقلاب الخمسينيات قمعت. كذلك هو كان ترساً صغيراً (وإن لم تعد له فى هذه المرة يدٌ نظراً لفقدان ساقه) فى آلة المعوِّقين لأنه ظل دون كلل ينبه إلى إصابات بميكروب الشيوعية. لم يكن من الممكن الاحتياط بما فيه الكفاية. ولقد حدث أن فصائل

شيوعية ضاربة تلقت من الروس أموالاً تقدر بـ ٢٠٠ شلن لكل رجل فى كل عملية، وهذا ما نشرته الصحف. ووقفت قوات الاحتلال الغربية فى طريق محاولة الانقلاب وقمعتها. واضطرت الصحف، ولكن غير تلك التى نشرت عن الـ٢٠٠ شلن، للأسف نتيجة لبث بعض الشائعات الزائفة أن تتعرض لتضييق توزيعها، وسُمح بعدم اللجوء إلى النائب العام، وتمكن وزير داخلية من الحزب الاشتراكى اسمه «هيلمر» Helmer من الالتفاف بسهولة حول حرية الصحافة.

وكان ذلك خيراً، فما لا يعرفه الإنسان لا يسخّنه (*)، وكان على الناس التزام برودة الأعصاب للحيلولة دون حدوث التصادمات. عندما تفقد صحيفة مصداقيتها فبُعداً لها! وليس الاشتراكيون الحزب الأثير عند السيد «ڤيتكوڤسكى» فهو ليس من العمال، ولكن لابد من الاعتراف لهم بأنهم عملوا اللازم. لعلهم فى نهاية المطاف يتعلمون من التاريخ ويساندون من البداية القوى الصحيحة ألا وهى القوى الرأسمالية، فهى على أية حال القوى الوحيدة، لأن المال يحكم العالم، هذا ما يفكر فيه هذا المعوَّق، الذى لا يملك مالاً، والذى طبقاً للقاعدة لا يحكم، ولكن المال كما هو معلوم يحكم بمفرده وحده. والنتيجة هى أن الذين لا شىء لديهم يُتركُ لهم هذا اللاشىء. أما أولئك الذين لديهم مال، فهم يُعطون مالاً فوق مالهم، ومن الممكن

(*) اقتباس حر من المثل الشعبى الألمانى الذى يعنى : اللى ما يعرفوش ما يسخنوش. (المترجم).

أن ينشأ احتكار حديث. من الغرب الأجنبى يمد رأس المال أياديه الغنية بالعون ويطبع وطننا بطابع أجنبى غالب ويترابط مع أياديه داخل الوطن مكوناً سلسلة متينة مثل جنزير الدبابة. السيد «فيتكوفسكى» يشهد بشهادة إيمان برأس المال الذى لا يملكه ويستطيع بوعى ذاتى منبثق من الماضى وأن يتطلع إلى المستقبل. بوعى ذاتى لأنه فى الماضى قام شخصياً بحماية رأس المال، والآن يعود رأس المال فيحكم بالكامل ويعبر له شخصياً عن امتنانه. فقد سمح له بجانب حصوله على معاش المعوَّق الكامل بأن يعمل بواباً ليلياً فى فندق برجوازى يرى فيه ممثلين مهمين للطبقة الوسطى يتنقلون بحكم المهنة باعتبارهم ممثلين للصناعة. وهكذا يمثل الواحد الآخر، حتى إذا لم يكن يعلم من هؤلاء الذين يمثلهم فُرَادَى. أما أن السيد «فيتكوفسكى» فى الماضى والحاضر يمثل الحزب النازى الذى يعلم علم اليقين من فيه ومن الذى يمثله هذا الشخص بالذات، فأمر بديهى لأن هذا الحزب كبّره حتى نما فوق ذاته خارجه. وما كان أحد غير الحزب النازى ليكبّره، وهو اليوم يكبّر صوره الفوتوغرافية الجميلة. وهو لا يحرص على خير الفرد فحسب بل أيضاً على خير المجموع الذى يشمله بنظرته. ولما كان دائماً يفكر فى أنه يمثل مجموعة كاملة ولا يمثل نفسه فقط فى وقت فراغه، فإنه يتصرف دائماً تبعاً لذلك. وهو يقدم المثل على ذلك. بغية إرشاد الشباب. كما يقوم آخرون أيضاً بتمثيل شركاتهم فى وقت فراغهم تمثيلاً كريماً.

وهو عندما يتطلع إلى ابنيه (ابنه وابنته) يشك فى نتيجة تربيته. أناس أغراب تربوا تربية سليمة، أما ابناه (ابنه وابنته). فى وقت الإنجاب كان لا يزال ضابطاً، فماذا نتج عنها؟ هذان الابنان الابن والابنة فى رأيه رهيبان، مثل هؤلاء الأبناء لم يرهم أحد فى الماضى، ولابد أن هناك مثلهم كثير. الزوجة تقلب فى الشوربة الكثيفة ولكنها لا تتحسن (*).

ويذهب فى الناحية الأخرى إلى مسدسه لينظفه ويشحمه، حتى إذا لم يكن يستخدم الآن، فلابد من ذلك. لابد من أن يكون الإنسان مستعداً. الصُّلب البارد ثقيل. فى الجراب صوره المحبوبة، صور «جريتل»، صورة طبيب النساء التى لابد من تجديدها عما قريب، لأن كنز خبراته مصوراً فوتوغرافياً نما فى هذه الأثناء، صورة بيت دعارة، صورة التلميذة بمريلة وعصا. جراب المسدس موضوع فى المطبخ بالدرج السرى الذى لا يعرفه أحد. وما كان أحد ليهتم به، فالابن لا يهتم للأسف إلا بالأدب.

الضابط السابق يدخل المطبخ طبقاً لقرار مفاجئ (وهذا شىء لابد من أن يعرفه كل إنسان كضابط: متعة القرار!) بأن يغتصب زوجته، وهو ما يحلو له فجأة، ولكن عندما تأتى المرأة التى تحاكى البقرة بحركة مضطربة ينزلق على البلاط ويخر على الأرض

(*) تعبير مألوف في الألمانية يحتمل إشارات استعارية إلى أشياء وأعمال مختلفة، هنا تربية الأولاد. (المترجم).

محدثاً ضجة. وينتفض هنا وهناك ويحاول بالساق التى بقيت له أن يتأرجح لينهض. ولكنه لا يقوم مهما تمنى، ولا ينتفض، الحالة تنقلب إلى خَل. وهو يعتقد أن المثيرات القوية التى جرفته وهو شاب فى مناطق شرق أوروبا المحتلة ضعفت فى السنوات الأخيرة ضعفاً شديداً. فمن شاهد مرة جبالاً من الجثث العارية، من بينها نساء، لا تعود ربة البيت فى الوطن تغريه إلا قليلاً. ومن كان مرةً يمسك مقبض السلطة فإنه يتدهور بسرعة عندما يكون أقصى ما لديه من سلطة هو الشد على أيادى غريبة للتحية فى الفندق. والضيوف المواظبون يحيونه بالمصافحة والربت على الكتف. وتصحب ذلك النكات والنوادر المحبوبة. وهو يحكيها فى البيت لكى يثير «مارجريته جنسيًا..».

الأزمنة تتحول إلى الليونة وتفقد المذاق، وكذلك يتحول الشباب أيضاً. وهو لا يعرف إلى أين سيؤدى هذا التحول؛ يبدو له واضحاً أنه سيؤدى إلى منتصفية متوسطية فاترة. والابن يخاف من هذه المنتصفية المتوسطية.

لا يزال بابا يجدف دائماً أبداً فى دائرة بلا جدوى، لأنه باستمرار لا يتزحزح إلا زحزحة خاطئة فى اتجاه واحد لا فى الاتجاه الآخر أيضاً. ويزيد عذابه فى الفترة الأخيرة حتى يفيض به الكيل ما ينتابه من آلام عرق النِّسا والروماتزم، وكان ضياع الساق مصيبة تثقل عليه بما فيه الكفاية ولا تترك مجالاً لكيل يفيض أشد مما يفيض. إنه يدور حول محوره ويحاول أن يرتكز على قدمه وهو ما لا يريد أن

يتحقق إلا بقبضة «مارجريته» التى تسحبه لأعلى، تلك القبضة المسجلة فى سجل براءات الاختراعات، هوب هوب. هاهو ذا يقف مرة أخرى، ويتأبط العكازين، ولقد اعتقد أنه عندما يقوم فجأة بتأديب «جريتل» اضطرارياً يمكنه أن يتخلى عن العكازين فى الماضى لم تكن هناك حاجة إلى مثل هذه المعينات.

هيا يا فأرتى العزيزة إلى الفراش يا كنزى العزيز مريح هنا يا عصفورتى الصغيرة على البلاط أحسن.

ثمة مواضع مختلفة فى جسم «أوتو» تؤلم ألماً قاسياً عندما يتأبط العكازين ويدفع بنفسه إلى أعلى ويطوح الساق الباقية إلى أمام خلف.. أمام وخلف، ولكنه لا يدع أحداً يلحظ عليه شيئاً. ما كان له فى الماضى من إشعاع السلطة يعود مرة أخرى فيجر زوجته اليوم وراءه. إننى أشعر الآن دائماً بالتعب، ولا بد من أن أذهب إلى الطبيب ليفحصنى. يا مسكين، افعل هذا. وبدلاً من أن يوارى رأسه الذى علاه الشيب على صدرها ويبكى برغمه. ويؤثر هذا فى وجدانها أثراً شديداً، لأنها لا تعرف السبب وتظن على نحو ما أنها هى السبب. يا زوجى المسكين، ستسترد صحتك، هكذا تواسيه بصوت خفيض، فلا يتأسى. وينتحب الرجل الثقيل، لقد قضى فى أمور كثيرة، وقضى على كثيرين، وهاهو ذا لا يجد لكثير من مشكلاته حلاً. ما أسوأ حظه.

لابد من أن أبكى الآن بكاءً حـــاراً وآمل ألا يرانى ابناى فى هذا الموقف. لن يأتيا عما قريب إلى البيت، فى الوقت الأخيـر دائمـاً خـارج البيت، ولا أعلم أين يذهبـان. إنهمـا بحاجـة إلى يد قـوية، وأنـا عندى هذه اليد، بل عندى يدان، وإن كانت ساقى المتاحة مفردة وحيدة كمنتج صُنعت منه قطعة واحدة.

حــبــيــبى «أوتّى» المسكين، المسكين. دعنى أربت عليك، أربت عليك، وأطبطب عليك، أطبطب عليك هيه هيه هيه.

حالتى الآن أحسن، إش إش إش.

الآن نشرب جرعة، ثم نعد قهوة قوية، وفى المساء نتـفـرج فـى التليـڤـزيـون على برنامج «حـذّر فـزّر» الذى يقدمه «مـاكسى بوم» . Maxi Böhm من المـمكن أن نربح جـوائز قـيـمـة من السـؤال الموجـه إلـى البـيـوت التى سنكسـبهـا فى وقت مـا. وإذا لم أعـرف الإجابة، فـمـا علينا إلا أن نسـأل «راينر» أو«أنّى» فـالأولاد فـى أيامنا هذه يتعلمـون الكثيـر. ولكننا سنعـرف الإجابة وحدنا، لأننا الـوالدان. هه، الآن يضـحك حـبـيـبى «أُوتّى» مـرة أخرى، كِدَه شاطر.

هو يقول إن عليها أن تقتصد، ولكن ليس إلى درجة التقتير كما فعلت فى المرة الأخيرة، فـالبقشيش الذى يحصل عليه فى نهاية المطاف طيب جداً. وإن كان فى أسـاسـه مذلاً. ولكن الظروف تغيـرت وفى مقـدمتـهـا العجـز. شـرب الخـمـر يتيح للإنسـان النسيـان، ويصلح

العصارة المعدية حيث إن الإنسان لا يقدم إليه اللحم إلا فيما عز وندر. يشمشم السيد «فيتكوفسكى» وقد تأسى ويفرح بقهوته الجيدة التى سيشربها محلاة بكثير جداً من السكر. الحياة يمكن أن تقدم للإنسان أشياء جميلة عندما لا يبالغ الإنسان فى تطلعاته، وإن كان له أن يطالب بها لأنها من حقه.

اليوم ينال نصيباً إضافياً لأنه بكى بكاءً شديداً.

موضع آخر تجرى فيه مشاهد هو مقهى الرياضة أو كافيه سبورت . Café Sport والسبب هو أن الناس يجلسون فى الأماكن لكى يشاهدوا من هو الفنان أو المثقف الذى يجلس فى هذا المكان أو ذاك. المهم أن يكون الإنسان شاهداً وليس المهم أن يكسب. مثلما يحدث فى الرياضة التى يتسمى المقهى باسمها. الكثيرون قد فقدوا الثقة فى الفن، على الرغم من أنهم ولا أحد غيرهم كان يمكن أن يكونوا هم المُختارين له مسبقاً. إنهم يمارسون الفن لأنه لا يحقق لهم عائداً، وبالتالى لا يوسِّخهم بمال. ولو كان الفن يحقق عائداً، لأحبوا أن يدعوه يوسِّخهم. ولن يرضوا أبداً بأن يتزحزحوا لممارسة مهن برجوازية، لا لأنهم لا يتمكنون من مهن برجوازية، وإنما لأن المهن البرجوازية ستتمكن عندئذ منهم، ولن يبقى للفن وقت. لن يعود الواحد يقدر على تحقيق ذاته بشكل جمالى، عندما يحقق السيد المدير أياً كان ـ ذاته فى سيارات رياضية وفيلات على حساب الفنان المذكور.

عندما يدخن أحدهم سيجارة أحسن درجة واحدة من التى تباع بسنت ونصف يمد إليه المتسولون أيديهم على الفور.

إلى المائدة التى يجلس إليها اليوم الرابوع المقدس هناك شخصان آخران مشغولان بإثبات نظرية فيثاغورث (*) بمجرد الرسم وهو ما لا يتمكنون منه. الرأى عند «راينر» أن الرياضة تنتمى إلى الواقعية ولهذا فهى لا تهمه. ولو كان الموضوع هو الأدب لاندس فيه منذ وقت طويل ولسخر من بعضهم وله فى ذلك حق.

فى مكان آخر يجلس يونانيون جميعاً يضمون رءوسهم بشعرها الأسود حتى تكاد تدخل بعضها فى البعض الآخر للتندر على النساء ومبادرة هذه أو تلك بين الفينة والفينة بالحديث. وهم يفعلون ذلك على مقربة من تواليت النساء حيث يضطررن إلى المرور.

عندما يقال شيء لا يعجب «راينر»أو لا تكون له به علاقة، فإنه يهب واقفاً ويذهب غارقاً فى التفكير إلى ركن، حيث يحملق غاضباً أمامه، إلى أن تذهب إليه «زوفى» أو «أنّا» لتعيده على نحو احتفالى. ماذا بك؟ قل من فضلك قل. أنتم تثيرون أعصابى، يا بهائم. أنا لدى هموم أخرى تتحرك على مستوى آخر هو المستوى الذى أتحرك أنا عليه.أنتم تنفروننى. أرجوك.

(*) نظرية فيثاغورث أو النظرية المنسوبة إليه تقول إن في المثلث القائم الزاوية مربع الضلعين يساوي مربع الوتر. (المترجم).

أرجوك عد إلى مكانك، اجلس يا «راينر» أنتم فعلاً لا تفهمون شيئاً على الإطلاق. بمثل هؤلاء الناس لا يستطيع الإنسان أن يخطو إلى العمل، إنهم يتراجعون خائفين من كل شىء، لأنهم يمثلون المتصوفية المتوسطية الجبانة. «راينر» يريد أن يوسخ الآخرون أيديهم من أجله لكى تستطيع يداه أن تظلا نظيفتين. على الباقين أن يعملوا من أجله ، فهو سينأى بنفسه عن العمل، ولكنه سيحرض الآخرين على الدخول فيه. سيأخذ نصيبه من النقود فهو يحتاج إليه لشراء كتب. وهو يعتقد أنه سيكون عنكبوتاً فى خلفية شبكتهم ، ولكنه سيتصرف بدون شبكة الضمانات البرجوازية الصغيرة، هذه الشبكة سيسحبها من تحت مقعدة الآخرين، ليرتموا كليةً على أنفسهم وعليه.

«راينر» يحملق فى بقايا السجائر والورق وبقع النبيذ والمناديل الورقية المكموشة (وغير ذلك مما هو أسوأ) على الأرض وينتظر القنوط الحتمى الذى يأتى أحياناً ولا يأتى فى أحيان أخرى. الآن فى هذه اللحظة يتملكه الاشمئزاز نهائياً حتى يلقى الريشة التى كان يريد أن يدون بها بيتاً من الشعر فى دفتر مذكراته، ويبدد الحبر دون فائدة. هل كان هذا هو الاشمئزاز أم لا؟ لا، لم يكن بالأحرى هو الاشمئزاز. المكان يبدو دقة قديمة كحاله على الدوام. نادراً ما لاح له أثقل أو أكثف أو أكنز. ولكنه فهم مثل «سارتر»، أن الماضى لا وجود له. وعظام القتلى والموتى وكذلك الذين قضوا نحبهم فى الفراش، موجودة لذاتها،

مستقلة أعظم استقلال، ليست سوى فوسفات وجير وأملاح وماء. لا تزيد وجوههم عن أن تكون صوراً فى «راينر» ذاته، تخيلاً. الآن بالذات يشعر بذلك شعوراً قوياً، ذلك فقدان. ولكنه لا يقول لأحد أن «چان پول سارتر» أحس بهذا الفقدان على هذا النحو تماماً، إنه يصوره على أنه فقدانه هو.

«هانس» الذى فقد أباه لا يفكر فى فوسفات وجير وأملاح وما شابه ذلك من أشياء يمثلها أبوه الآن، بل يدندن بأغنية رائجة من أغانى «إلڤيس» بلا كلمات لأن كلماته إنجليزية وهى لغة لا يتقنها «هانس» ولكن «زوفى»سوف تكفيه.

وثمة موضع آخر تجرى فيه مشاهد هو حانة قبو الچاز الـ «چازكيللر» «راينز» يريد أن يرتكب الآخرون جرائم. عندما يأخذ الموسيقيون استراحة، يتطوح نحو الساكسوفون ويدق بعض لمسات يعتقد أنها لمسات صحيحة، قد لا تخرج منه نغمة، إذا نفخ فيه. يكفى أن يعتقد كل الذين يرونه أنه يستطيع أن يعزف على الساكسوفون. عندما يعود الموسيقيون يضع الزمّيرة من يده حتى لا تنهال اللكمات على بوزه وخيشومه عقاباً له إتلاف آلة موسيقية. ثم يطلب لنفسه صودا بالتوت البرى أرخص طلب (لم يغنم محفظة فلوس بعد!) ويكتب اليوم مطلع (وغداً ختام) قصيدة لن تستطيع بيئة محيطة به أن تلهيه عنها. أياً كان منظر هذه البيئة. كذلك على «زوفى» أن تقبل ذلك لأنها المرأة التى يحبها، الحب جزء صغير فقط

من حيـاة «راينر» لأنه يعـرف أن الحب لا يمكن دائمـاً إلا أن يكون جـزءاً صـغيـراً، بين الفن هو البـقيـة. فى القصيدة يحتقر «راينر» كل الناس السمان الملطخين بخواتم ضخمة الذين لا يخطر ببالهم شىء آخر سوى كسب الفلوس. علماً بأنه لم ير مثل هؤلاء الأشخاص قط عن كثب. أبو «زوفى» أقرب ما يكون من الرشاقة والعـجـافة. كذلك هـو رجل رياضى. ومـا كـان «راينر» ليحب أن يحتقر أبا المرأة التى يحبها، ومن الخير أنه ليس مضطراً لذلك. صورة الخواتم الضخمة التى تلطخ أصابع بيضاء استقاها من التعبيرية التى بادت وطواها النسيان، إنه يحتقرهم جميعاً، شحم هواة الرحلات، الكارياتيدات المزنوقة فى الفراك [١]، لـم تلفظه أمه من بطنها من أجل هذا، على حد كتابته وإحساسه العنيف. كذلك ستتصدى أمه لأن تكون قد دفعته خارج أحشائها من أجل لابسى الصنادل فى كافيه سبورت Café Sport [٢]وفى «هافيلكا Hawelka» ولكن من أجل تعليم متين هو الآن يلطخه بالوساخة.

---

(١) Karyatiden الكارياتيـــدات تماثيل لنســـوة مكتنزات استخدمها قدماء الإغريق بدلاً من العمدان فى بعض المبانى الضخمة. والفراك Frack اسم أصبح يطلق الآن على بدلة سوداء يلبسها الموسيقيون والجرسونات ويزنق أنفسهم فيها أناس يريدون المنظرة. وقد دخلت الكلمة فى تعبيرات استهزاء ألمانية مثل "ضربوه فى الفراك" أى أوسعوه ضرباً. ـ وقد يفيد هذا الشرح فى فهم بعض الأبعاد التلميحية فى أسلوب يلينك التهكمى اللاذع. (المترجم).

(٢) المقصود مقهى الرياضة أو كافيه سبورت Café Sport.(المترجم).

«راينر» يلبس هنا فى الداخل نظارة شمس حديثة بعدسات پليكسى على شكل الكارو، ويسرح شعره تسريحة نازلة على وجهه. تمثل تسريحة يوليوس قيصر، ولكن منظره لا يبدو كأنه من روما القديمة، بل كأنه من ڤيينا الجديدة التى تهمس إليه دائماً بأن عليه أن يستمر فى بناء مدينة الآباء وأن يجعلها تزيد على الدوام جمالاً فوق جمال. وهو ما لا تتجه إليه نيته بحال من الأحوال. «ڤيينا فى زينة الزهور» مسابقة إنشاء مدرسية سنوية محبوبة كسبها «راينر» مرتين ، حصل فى المرة الأولى على شجرة مطاط، وفى المرة الثانية على شجيرة بيطارس فارن ماتت لأن الأم الحبوبة قتلتها بكثرة السقى، فشجيرات «البيطارس» Farn تفضل الجفاف كما أسرَّ بستانى الزهور إلى الصبى الذى كسب مسابقة الإنشاء. (كان عليه أن يتقاسم جائزة المركز الثالث مع تسعة صبية آخرين من تلاميذ المرحلة المتوسطة). وأغفلت نصيحة بستانى الزهور. والمدرسة تشارك دائماً فى مثل هذه الأشياء وتزهو بعد ذلك بهذه المشاركة. زهور الربيع وغير الربيع الكثيرة الملونة تطلع من كل الأماكن والأركان، وتجعل هذه المدينة بشكل قاطع أكثر ثراء، خضرة نضرة بديلاً عن الأشكال الموحدة الأجنبية التى تلاشت بعد عقد معاهدة الدولة. كذلك الروس، وهم أسوأ الجميع، اختفوا، على الرغم من أنهم دائماً لا يفعلون أى شىء طواعية، بل يفضلون أن يُكرهوا آخرين، وخاصة من النساء على فعل كل بشع لا

يـوصـف بـكـلام (١) وهم يجـدون فى ذلك متـعـة. وهم الآن قد رحلوا، ولكن النازيين الجدد وكذلك النازيين القـدامى الأخـيـار يمكنهم أن يخـرجـوا إلى النور مـثل الزهـيـرات النابتـة فـى صناديق المشـاتل الرمـادية. يا مرحباً من القلب (٢).

ثم إن «راينـر»، حـيث إننا لتـونـا فى مـجـال الزهور والأوراق، لم يـر بين من كـسـبـوا المسـابقـة فى مـجلس التعليم بمدينة ڤيينـا (عند تكريم الرابح) سوى تلاميذ مدارس ثانوية لأنهم يستطيعون أن يعبـروا وأن يخطّوا على الورق مـا يشـعـرون به حـيـال زهـرة «توليب» Tulpe أو خـمـيلة «لِيلَـك» . Flieder يشـعـرون تحـديداً بـالبهـجة وبالأمل فى المستقبل. ولو شعر آخر أيضاً بالبهجة فلا يعنى هـذا أنه قـادر بحـال من الأحـوال على أن يسـجل ما يشـعـر به دونما خطأ. هؤلاء لا يتكلمـون لغة الثقافة الرفيعة، بل لغة ثقافتهم الخـاصة التى لم يعتـرف بها. هناك فى النمسا صدعٌ عميق بين المستويين اللغويين ناجم عن التبـاين بين البـشـر الذى سيظل مـوجـوداً ، أعنـى التـبـاين لا البـشـر. ويكفـينا من ذلك أن أحـد البـشـر يتكلم فى الماضى المشـتـرك فـلا يعـود الآخـر يفـهـمـه. وهـذا هو مـا يجـرى بين «هـانس» و«راينـر» «هـانس» متصلب بينما «راينر» مرن لغوياً.

---

(١) تعبيـر عن اغتـصاب النسـاء بعـد الحرب العالمية الثانيـة. (المترجم).

(٢) أسلوب التهكم اللاذع، والعكس هو المقصود. (المترجم).

فى وقت مضى نالت كتابة «راينر» اعترافا، وهو اليوم يريد أن يجعل الكتابة مهنته النهائية. عنده ستكون المهنة فى الوقت نفسه هوايته، وتلك حالة مثالية وكثير من الناس يدعون فى أحوال كثيرة أنها حالتهم. وغالباً ما لا يكون ادعاؤهم صادقاً. فعندما يقول سباك أو جزار عن نفسيهما إن مهنتهما هى فى الوقت ذاته هوايتهما، فقد جانبا الصدق بكل تأكيد. وكذلك إذا قال ذلك سائق ترام أو بنّاء، فلن نصدقه. أما إذا قال طبيب إن هوايته هى الشفاء والإسعاف فإن الإنسان يميل إلى تصديقه. فالشفاء أو الإسعاف يمكن أن يكونا متعة فى وقت الفراغ ومهنة فى الوقت ذاته. وكلمة «هوبى» أى الهواية كلمة أجنبية جديدة سرعان ما توطنت بيننا. راح الأمريكان وبقيت لغتهم، يا فرحتاه.

يلاحظ «راينر» الآن صاغراً أن «هانس» الأهبل فى هذه اللحظة ليس أداة فى يده بل أداة فى أيدى عازفى الچاز. فهو يندفع هنا وهناك، يرتب حوامل النوت الموسيقية بهمة، ويدس آلات الكونترياص فى أكياس مصنوعة من قماش القلوع، ويقفل البيانو ويفتحه بالتبادل، بحسب ما يقال له، يسلّك الترومپيتات، يرتب أوراق النوت الموسيقية وما عليها من توزيع أوركسترالى، ويفرقها سريعاً هنا وهناك طبقاً للأوامر، ويرفع الكراسى ويحطها، ويجرها، ويرمى كل شىء بعضه فوق بعض بعد أن يكون قد فرغ من تنظيمه بدقة شديدة، لا لشىء إلا لأن أحداً

وبّخــه على خطأ ارتكبــه، وهـو يســأل كم من الـوقت يحتـاج الإنسـان ليـتعلم الفلوت، السـاكسـوفـون، بوق اليـوزاونـه، آلة البـــاص ذات الأوتار المتــوترة إلخ من المؤكـد أن البـيـانو يحتـاج لأطول وقت، مـثلمـا يحتـاج التـزام الصـدق، وهو مـا يـريد «راينر» هذا أن ينهـيـه الآن. ربما أود ذات مرة أن أفعل أنا مثل ذلك! لابد من أن التّمَكّن من عـزف آلة مـوسـيقـيـة شىء جـميل. ربما أجمل حتى من أن يكون الإنسان مـدرس رياضة بدنية أو أكاديميـاً. بعد قليل سـيقـوم بعد النمـرة الأخـيرة، «تشـاتـانوجـا تشـو تشـو» Chattanooga Choo Choo، مـــع متطوعين آخـرين اجتثت أمخـاخهم، بحمل أشـيـاء كثيرة ثقيلة مرهقة إلى باب الخروج، حيث يسىء أهبل آخـر استخدام سيارته فى نقل الآلات الموسيقـيـة، لا لشـىء إلا ليكون مـرة واحــدة حـاضــراً، وهذا هـو كل شىء (انظر مـــا ســبق) لأن الكسب لـيس وحـــده كل شىء. ولا تزال هناك أسئلة كثيرة بلا إجابة، ألا وهى: هل هذا صـعـب؟ كم مـن الوقت ينقـضى حـتى يتـمكن الإنسـان من قـراءة النوت الموسـيـقـيـة كـيف يضـبط الإنسـان آلة كمـان ضـبطاً سليمًا أين يسجل الإنسـان اسمه عندمـا يريد أن يتعلم جاداً آلة موسيقية؟ غداً أسارع بتسجيل اسمى طواعية؟ الإنسان يعمل طواعية ما يحب أن يعمله. الشـغل فى التيـار العالى هو وحده الاستبداد ولابد من الكف عنه.

يكفينى هذا الآن! بهذه الكلمـات يخـرج «راينر» من أفكاره، ويتـغلغل فـى «هـانس» فى أفكاره كـانت العـبـارة

الآن هى: إننى أبصق عليكم! أنتم يا صناديق الأكل، يا كروش سمينة، أنا عملاق وأنا أمشى على السقف، وأنتم جميعاً ترونني بوضوح فوق المألوف. أى نعم، هذا أنا! ينتزع من يدى «هانس» الشبيهة بقوادم الحيوان علبة الكلارينت، التى كان لتوه يريد بهمة وعجلة أن يساعد فى حملها إلى الخارج، ويضربه فوق رأسه بصندوق الكلارينيت الصاخب الذى تولول بداخله آلة النفخ. ويصرخ العازف المنكوب ما هذا الجنون؟

لم يفهم عازف الكلارينيت الذى يعزف فى وقت فراغه تعبير الوجه (الغائم الخالى من التعبير) الذى اتخذه «راينر» تلو ذلك، وعازف الكلارينيت طالب يدرس الحقوق، ولذلك فهو يتجاهله. لو عرف ماذا يفكر «راينر» فيه بشأنه! «راينر»يفكر ، إننى أود أن أدس خطاف جزار فى زورك وأشد. ابن الصيدلى لا يخطر بباله شىء، ولا يتحتم عليه نتيجة لذلك أن يخاف، ولكن «راينر» فخور بأنه فكر فى شىء بهذه البشاعة. وعما قريب سيتم التنفيذ، وهكذا تسير الأمور على مائدة «راينر» جدياً نحو التخطيط والتدقيق. أنا لا أستطيع أن أقول كل شىء أربع مرات، ولهذا أرجوك أنت أيضاً يا «أنّا»، فالأمر يخصك أنت أيضاً، على الرغم من أنك تحاطين علماً بالخطوط العريضة. باعتبار أنك أختى. كذلك يتم إحاطة «زوفى» علماً باعتبار أنها امرأة أحبها، وسيتم إحاطة «هانس» علماً باعتبار أنه العضو المنفذ الذى يؤدى

الشـغل القـذر، بشـرط أن يفـهم الموضـوع. وهـو شـىء ليس مؤكداً بعـد. هل تأتين يا «أنّى»، أم لا تـأتين إنهـا لا تأتى بعد لأنها الآن تجلس إلى البيـانو مسترخيـة ، وقـد أدركت فـرصـتـهـا الفـريدة، وتـفـصص مـقطوعـة شوپان دراسـة على النغمات العـاليـة، مسترخيـة ولكن وراء هذا الاسـترخاء تدريبـات منـزليـة كثـيرة للوصـول إلى مـثل هذا المأمـول، وتريد تـواً أن تبـدأ بالمتـوازن، عندمـا يأتى عـازف البـيـانو على الجـاز (طالب طب) ويقـول: أنت كذلك ماشيـة غلط تمامـاً يا آنسـة، روحى لماما فى البـيت وتدربى بنشـاط، ولكن ليس هنا، حيث الجـو ساخن. ليست هذه مدرسـة موسـيقى، إنما يأتى الإنسـان إلى هنا عندما يكون أتم مدرسـة الموسـيقى ، أو يكون علم نفسـه بنفسـه. ولكن إذا كنت فيمـا عـدا ذلك أستطيع أن أعلمك شيئاً يا أمّورة، فحباً وكرامة، سـجلى اسـمك مـرة ثانى، عندمـا يكون صـدرٌ قـد نما لك. بالنسـبـة إلى أم «أنّـا» من المحـال تمامـاً، أن يعلم الإنسـان نفسـه أى شىء، لابد من مـعلمـين فنيـين متخصصين ومدربين، وإلا فلا فائدة.

«أنّا» يغشـاهـا إحسـاس بالبـرودة، لأنهـا علمت أنهـا قد لا تكون أتمت التعليم كامـلاً وأنها يتحتم عليهـا أن تستزيد من تنمية نفسها، وهو ما ترفضه. لقد وصلت إلى نقطة نهاية ولم يعد لديهـا مـا تخسـره. يتملكهـا الجنون أن يكون قــد بقى أمــامــهــا شـىء لابد مـن استكماله، فالرأى عندها أن كل شىء بلغ مداه، وشهوة القتل تفور. لا يجوز أن يكون هنـاك شىء مـا يأتى من

بَعـد، اللهم إلا العـدم المطلق، الذى لا توجـد فـيـه مقاييس أخلاقية لا تزال يقيناً عند هذا الطالب، حتى وإن كان ظاهرياً يحتد فى الكلام مع امرأة. وفى أثناء سيرها عـابرة تخـبط كـوب بيرة نصف مملوء خبطة قصيـرة ، هوب، يسيل مـا به على بنطلون البلوچينس الجـديد الذى يرتديه الأكـاديمى الشـاب المتـعـالم، وسيكون من الضرورى غسله، مما يؤدى إلى استهلاكه جزئياً، وهو ما سيؤلم مصروف جيب الطالب. طيب.

«راينر» يطلب من «زوفى» التى تشفط قليلاً قليلاً من الليـمونادة بإلحـاح ألا تتكلم كـلاماً فارغـاً، بل أن تنصت، على الرغم من أنهـا لم تتكلم قط. «هـانس» يفكر فى أن عليها أن تحس بما به إذا لم تكن تريد أن تنصت. إلا أن «زوفى» لا تريد أن تسـمـع، بل تـريد أن ترى. كيف أن «هـانس» يرفع أثقل الأشـيـاء، ومـا أكـثـر منهـا وزناً ، ينطرها ويثبّتها عـالياً. لا يوجد فى نصفه العلوى مـوضعٌ ليّن واحـد، والمأمـول أن تكون المواضع اللينة فى الداخل. فى حـين أن نصف «راينر» العلوى يماثل على الأرجح دجاجة. فهو فى جسم لم ير منذ وقت طويل شـعـاعـاً واحـداً من الشـمس ولم ير إلا القليـل من حبـيـبـات التـراب. إلا إنــه يسـتطـيـع أن يتكلم وأن يقول أكثر من مـجـرد كاكـاك، وهذه أيضـاً حقيقة.

«هانس» يرمـى نفـسـه فى كـرسـى وثيـر ويخط خطوطاً عـريضـة ، سـيتضح مضمونها الدقيق فيمـا بعد، صوَّر بها دراسته الموسيقى فيمـا بعد والتى من

خلالها يتيح الإنسان للبشر بهجة واسترواحاً وينال هو نفسه نجاحاً. «راينر» يقول، ارقد .. اسكت يا بوبى(*) ولكنه يقول رغمًا عنه أمه العجوز تثير حفيظته بالمظاريف الغبية التى تكتب عليها العناوين وبشغلها مع شباب الحزب، وهذا هو السبب الذى ربما يجعلنى أنأى بنفسى موسيقياً عن مثل هذه الأشياء. «راينر» يقول إنه سيلكمه فى أسنانه. «زوفى» تهمس بصوت خافت بطىء، دعه وشأنه.

«أنّا» إنك لتستطيع أن تثير حفيظة تمثال جوته على الطريق الدائرى يا «هانس»

«زوفى» لا تكونى بهذا الصلف.

«هانس» هل تلاحظين ذلك يا «أنّا» عندما تحب امرأة رجلاً ولا تستطيع أيضاً أن تبين ذلك بوضوح ولا تريد أن تبينه، فإنها تحميه علناً على رءوس الأشهاد جميعاً. وهى فى أثناء ذلك تكشف رغمًا عنها عن أحاسيسها بوضوح. لقد رأيت ذلك فى الأفلام مراراً وتكراراً. «أنّا» تدس يدها بين ساقى «هانس» دونما غضاضة. وتكشف «زوفى» المكنون قائلة، هل بلغتما إذًا هذا المدى. «هانس» يدفع بعيداً اليد غير المحبوبة، التى يحتاج إليها بين الفينة والفينة، ويحس بالخجل. ليس لـ «زوفى» أن تعرف ذلك، بل لها فقط أن تخمنه، وأن تريده أيضاً. من ناحية تريد «أنّا» أن تعاقبه على

(*) في الأصل كلمة kusch تقال للكلاب معناها: ارقد لا صوت ولا حركة. (المترجم).

هذا الكلام الآن، ومن ناحية أخرى يساورها خوف من أن يكف «هانس»عن علاقته تلك بها، تلك التى كانت يقيناً على هواها.

«هانس» هذا يخصنى وأنتِ ليس لكِ أن تحميه، فهو يحمى نفسه وحده، وأنا أقول له كيف. والموضوع علاوة على ذلك لا يهمنى (وهو بطبيعة الحال ليس كذلك). «هانس» يعرف أن المرأة التى تحمى رجلاً علناً أمام الآخرين، كثيراً ما يمكن أن تتظاهر بأنها تفعل ذلك ضد إرادتها ، ولكن الأمر أقوى من إرادتها. الليونة تنتصر على الصرامة. «زوفى» يمكن أن يبدو عليها أى شىء إلا التعبير عن صراعات داخلية، وهى تطلب كوكاكولا بالروم. وهذا طلب غال فوق طاقة التوءمين، وهما يشيحان بوجهيهما عندما يأتى الجرسون وهو معتاد على ذلك هنا. «هانس» يطلب مشروباً أغلى ثمناً، ولو علمت أمه بذلك على سبيل الظن لدار بها كرسى المطبخ القديم. ساعات عمل إضافية فى البيت.

«أنّا» تقول إن الأضعف فى الطبيعة يخضع للأقوى، مثل خضوع البوصة لريح الشمال. والصمت للغابة. راينر: سيكون اعتداءً بنية السرقة.

«هانس» أنا لست مختلاً. أنتم لا تعرفون عم تتكلمون، هذا جنون.

«راينر» جنون؟ هذه المقولات لا وجود لها عندى، لأن كل شىء مفيد صحياً باستثناء الفواكه والخضراوات. كذلك فى الفن يطرأ مثل هذا الجنون،

وهو يظهر فى فن المجانين، وعما قريب يكون هناك يقين. ففنانون يحدثون فى أنفسهم إصابات، وسيكونون هم أكثر الفنانين الموجودين حداثة. سيجتاز الواحد منهم الشارع وهو مصاب ويُرى السيد الشرطى جروحه الشديدة على اعتبار أنها عمل فنى، وهو لن يفهم ذلك، وستتسع الهوة بينه وبين الفنان الذى هو فى الوقت نفسه عمله الفنى الخاص به اتساعاً بلا حدود، ولن يمكن عبورها. إن الخضوع لشىء لم يعلن الإنسان بنفسه عنه، لا يساوى شيئًا، وهاك ما أستشهد به. إن على الإنسان تحديداً أن ينطلق محطِّماً القيود المضحكة التى يدعون أنها تتكون من واقع حاضر واستشراف لواقع مستقبلى لا تكاد تكون له قيمة. نص الاستشهاد: كل دقيقة كاملة تحمل فى ذاتها انحناءة قرون من تاريخ أعرج ومحطَّم. نهاية نص الاستشهاد.

«هانس» يقول أف، ويتجرع مشروبات. تلك مهنة من المهن القليلة التى لا أود ممارستها، لا شرطى ولا فنان. باستثناء ربما عازف آلة محترف فى فرقة. كذلك عن المرأة التى يحبها «زوفى» سيُبعد ما ليس جميلاً، وسيسمح ببيتهوفن وموتسارت بعد فحص على أعلى درجات الدقة.

توجه «أنَّا» أذنيها ضد الريح لأن اسم «زوفى» فيه نغمة قلبية لا تعجبها. زفت أن يكف الإنسان طبقاً لقانون من قوانين الطبيعة عن الرضا كل الرضا بما عنده وأن يطمح إلى المستحيل، بينما هى تود أن تكون هى المستحيل شخصياً، وهو ما اختارته «زوفى» زفت.

زفت. ولو كان لى الخيَرة ، من الممكن أن تتفق «زوفى» نفوق البهائم، وهو ما تلاحظه «زوفى» على الفور، وتقطب جبينها.

«راينر» يقول لـ «زوفى» ألا ترين أن «هانس» من بينهم جميعاً يصمم على أن تكون لديه الرغبة الكبرى فى نيل ما هو خارق للعادة، والسبب فى ذلك هو أنه فى تفكيره عادى جداً إلى أدنى حد بين الجميع. ألا ترين أنت كذلك هذا الرأى «أنّا» تقول إن كل جملة يقولها «هانس» تماثل تلك الجملة كما قالها كل إنسان آخر كذلك على الأقل ألف مرة. هل «أنّا» فى هذا الحب الملاّح أم السُّكان (*) ستظهَر الإجابة. ربما تظهر فى أعشار الثوانى التالية، لأنها تمد يدها مرة أخرى إلى فخذى «هانس»، حيث تراودها اهتمامات بحيازة الأرض. إلا أن صاحب الفخذ المعنية يسحبها بعيداً، هذه الأشياء لا تُعمل علناً، وخاصة عندما تكون «زوفى» حاضرة، وهكذا تندس اليد النسائية المتيمة المترددة فى لبان ممضوغ قديم لاصق. اللبان لاصق، وحيث يستقر الحب مرة، يظل كذلك لاصقاً.

«هانس» مبدئياً ضد العنف، وهو ما نصدقه عندما يحتكم الشخص على قوة بدنية كبيرة ولا يكون نتيجة لهذا بحاجة إليها. ولقد اشترى لنفسه كتاباً من أعمال

(*) السُّكان الكلمة العربية المساوية لكلمة الدّفة العامية. (المترجم).

«شتيفان تسفايج» Stefan Zweig (*)، أحد الأدباء المهمين، أعجبه جداً، ولكنه على الرغم من ذلك يود أن يسأل عن أشياء تتصل به، لأنه أدب معقد. يا «زوفى» هل تستطيعين أن تعطينى معلومات عن هذا الكتاب «راينر» يقول له إن «زوفى» قد يمكنها أن تعطيه أجوبة عن أسئلته، ولكنه هو سيعطيه إياها لأنه هو المختص بالأدب، لا «زوفى»: لأن «زوفى» مختصة حصرياً بأدبه هو فقط دونما سواه ، وعليها أن تركز عليه ٢٤ ساعة فى اليوم. من الخير أن يقدِم «هانس» فى البداية على أشياء أسهل. «هانس» يقول إن «شتيفان تسفايج» من أصعب ما يوجد من أدب. «راينر» يقول إن العلاقة الفكرية بينه وبين «زوفى» أقوى وأبقى مما تستطيع أن تكونه أية علاقة جسدية ليس لها وجود. العلاقة الفكرية تبقى مدى الحياة، أما العلاقة الجسدية فلا تستمر على أحسن الفروض إلا بضعة أسابيع. إننى الآن أقرأ بالاشتراك مع «زوفى» «رواية» الغريب لـ «ألبير كامى. Albert Camus بطل هذه الرواية لا يهمه أى شىء، مثلى تماماً. إنه يعرف أنه ليس هناك شىء له أهمية، وهو لا يوقن إلا من موته الذى ينتظره. عليك يا «هانس» أن تصل أولاً إلى هذا الحد، إلى حيث لا يعز عليك شىء، ولا يهمك

(*) أديب نمساوي مشهور(١٨٨١-١٩٤٢) ، لقيت أعماله ترحيباً كبيراً من المترجمين إلى العربية، وأغرت عدداً من الكتاب بالتفاعل الخلاق معها، وتحولت بعضها ممصرة إلى افلام سينمائية مثل رسالة من امراة مجهولة. (المترجم).

شىء. وحتى ذلك الحين لابد من أن يكون كل شىء مهماً بالنسبة إليك، حتى يكون هناك أساس.

ستكون الاعتداءات خبرة قوية يمكن بعدئذ التناقش بشأنها.

«هانس» يريد أن ينقذ «زوفى» من نفسها وأن يعطيها سنداً. «زوفى» تقول إنها لا تحتاج إلى هذا السند. «راينر» يقول إنه حتى عن وعى كامل بلا سند، وإن السبب فى أنه قوى إلى هذا الحد هو أنه لا يعبأ بأى شىء. «هانس» يقول إن صعوده المهنى مهم بالنسبة إليه.

«أنّا» الأفضل أن تتصور أنه ليس هناك من أحد غيرك. عندئذ لن تقاس بالنسبة إلى أحد، بل بالنسبة إلى نفسك فقط. هكذا افعل أنا أيضاً على سبيل المثال.

للمرة الثالثة تأتى يد «أنّا» فى رحلتها، و«هانس» الذى تملقته يتركها فى مكانها. عصفور فى يد «أنّا» خير من «زوفى» على السقف.

«راينر» يفكر فى الطريقة التى تمكنه من تحريض الآخرين على الدخول، دون أن يوسخ أصابعه هو أكثر مما ينبغى. إنه يحتاج أولاً إلى موقع وقوف مرتفع من أجل المنظر البعيد، وهذا المنظر البعيد من فوق المرصد العالى أفضل منه من فوق نصب إليزابت القائم فى حديقة «فولكسجارتن» ونظراً لأن هناك شخصيات قيادية بطبعها، وشخصيات غير ذلك، فإنه

يفضل أن يكون كبش قيادة على أن يكون حَمَل ضحية، هذا قرار ثابت.

«هانس» يمد رأسه المولود فى «بورجنلاند» مرة فى هذه الناحية، ثم مرة ثانية فى الناحية الأخرى، هل لا تزال هناك نساء جميلات لا يعرفهن. لا ، لا توجد، وإن وجدت فنساء لا يردن أن يتعرفوا إليه. انتظرن حتى ألبس پلوڤرى الجديد، عندئذ ستغيرن اتجاهكن على الفور نحوى، هذا ما يعرفه. هاهوذا يغمز لامرأة زنجية أمامها كوب بيرة داكنة صغير غمزاً شديداً حتى إن الإنسان يظن أنه مصاب بداء فى عينيه. ولكنه يبدو حسن التقاطيع عندما تمر غادة جميلة فى أى مكان. حينئذ يعتقد أنها ملك يمينه. كل رجل يود أن يمتلك كل نساء العالم، أما المرأة فلا تود أن تملك إلا الرجل الذى تحبه وتظل مخلصة له. «أنّا» تنقل «هانس» من هذا المكان لتختلى به. هى تلاحظ أن هذا الشاب يعنى بالنسبة إليها شيئاً. و«هانس» يلاحظ أنه فى غفلته الجديدة يعنى شيئاً بالنسبة لهذه البنت، وأغلب الظن لأنه فى الوقت الأخير يقرأ الكثير من الكتب الجيدة ولهذا أصبح مقبولاً لديها. «أنّا» تمرين تمهيدى نحو «زوفى». «أنّا» تتعلق بـ «هانس»لأنه قرأ كتباً أقل من الآخرين، ولأنه أكثر جسداً، وهى كلها إحساس مما يؤدى إلى أن السمع والنظر يضيعان منها. فى «أنّا» و«هانس» يسود خليط مضطرب من الأحاسيس هو ما يميز أولئك الشباب الذين لم يجدوا بعد الطريق إلى أنفسهم وإلى مكان

فى الاقتصاد الحديث. «هانس» يشغل مثل هذا المكان منذ حين. ومكانه يقع على سلك كهرباء وهناك سعى إلى تغييره (١).

فى الخارج فى ضوء الشمس السافر البارد الذى سيُترك من أجل إتاحة مكان للظلام فى حجرة غير صحية، يشوط «هانس» أمامه عامداً ورقاً ونفايات أخرى، ويزاحم فى أثناء ذلك غريماً أو غرماء عديدين أو يبعده أو يبعدهم بالحيلة عن مقصده أو مقصدهم. و«أنّا» تحاول بهمة ومرونة أن تطير كالريشة بجانبه، ولكن محاولتها تحدث انطباعاً بالتعب والجمود والفشم. ليس النور هو محيط «أنّا» المفضل، ولا الطبيعة، بل هو الاصطناعية. فى محيط الاصطناعية تزدهر، وما فيه إلا ضوء الربيع والتراب وغازات العادم وهواء ڤيينا (٢)

«هانس» يتحدث عن بشرة «زوفى» التى تتسم دائماً بالسمرة والصحة، ويرى فيها الناظر أثر الحركة فى الهواء الطلق. الريح والشمس هما اللتان أحدثتا هذا. البشرة رائقة والشعر الأشقر رائق أيضاً ، كالحرير، أما شعرك أنت فمدهن ومتلاصق ويتدلى بهذا الشكل

---

(١) حتى عندما يكون الفاعل معروفاً تفضل يلينك استخدام المبني للمجهول أو لمن يشار إليه بالواحد، أو الإنسان غير المحدد. (المترجم).

(٢) لعب تهكمي بعبارة «هواء ڤيينا» التي كانت تعني فيما مضى الجو الفني الجميل المميز للعاصمة النمساوية واصبح الآن ملوثاً بالعادم وغيره من الملوثات. (المترجم).

على شيء يتبين الإنسان بصعوبة أنهما كتفاك وما هما إلا حمالة نحيفة من العظم. شماعة ملابس لابسة. ولكنها من ناحية أخرى على نحو ما حلوة. هى المناسبة بالضبط لرجل عنده موهبة رياضية ويتأهب منذ قليل لاكتشاف قدراته الفكرية. ألا تريدين أنت أيضا أن تتعلمى لعب التنس؟ ستتعاملين بالحواس وستكونين حسيسة بما فيه الكفاية لكى تنمى إحساساً خاصاً بكرة التنس. لا، أنا أفضل أن أتمرن على صوناتا لبيرج Berg-Sonate فهى تمثل تحدياً لكل عازف بيانو شاب (المؤلف الموسيقى اسمه بيرج Berg، وهى كلمة معناها: جبل) وخيرٌ لك أن تتدربى على صعود جبل من أن تتدربى على صوناتا الموسيقار جبل Berg، ها ها ها. حتى لا تصبحى غريبة فى الدنيا.

الحمد لله الأبوان ليسا فى البيت. لابد من أن يكون الإنسان حامداً شاكراً حتى على الأشياء الصغيرة. «أنّا» تفتح أزرار قميص «هانس» لترى ما تحته. لا جديد، العادى، صدر بارز العضلات، بلا شعر، جلد جميل ناعم يصلح للضرب «أنّا تنشب أسنانها الڤامپيرية فى هانس»

لو كان مع «زوفى» لكان المكان نجيلة كثيرة الزهور يفوح منها عبق القش، أو شاطئ بحر دافئ بجانب بحر دافئ أو كوخ تزلج على الجليد تكسوه جلود. وما هو إلا بجانب «أنّا» فى مسكن قديم البناء. «زوفى

شقراء»، «أنّا» شعرها أدكن، النتيجة واحد صفر لصالح «زوفى» وكذلك ستكون النتيجة النهائية واحد صفر لصالح «زوفى»

أريدك كما أنت أريدك كما أنت، يعجبنى هذا الذى تفعله هذا ما تهمس به «أنّا» هه ، يعجبك هذا يا «أنّى»، هذا ما يقوله «هانس» وهو يبصق من بين قواطعه انتهيت.

«أنّا» تهلل وتسعل نتيجة لضيق التنفس، لقد تملكها الحب بعنف أى عنف، هذا ما يفعله الحب دائماً، وهو لا يتخلى عن عادته السيئة هذه، إنه يأتى سواء أراد المرء أم لم يرد. «أنّا» لا تريد، ولكنها للأسف أمام شىء محتوم.

«أنّا» تفكر فى أن «هانس» لن يجد فى القريب العاجل امرأة تعرف نظرياً قدر ما تعرفه هى، لأن مثل هذه المرأة بصفة عامة ليست كثيرة الوجود ولأنها فى مجال إبصار «هانس» أكثر ندرة. ليست هناك امرأة أخرى يمكنها أن تفهم ما يحدث لها معك، بينما أنا أفهمه، هذا هو تفوقى، ولهذا لابد من معاملتى برفق، فحساسيتى تعانى من صفات العالم السيئة أكثر مما تعانى حساسية أخريات. حبنى يا «هانس»، أنت ستحبنى، أرجوك، أرجوك. امرأة مثلى لا ترجو فى أحيان كثيرة، فإذا فعلت ذلك مرة فلا بد من أن تُعطى ما تريد لأنها ابتلعت عزة نفسها.

تلاشى توترى الآن، ولابد من أن أعود إلى مكان عملى قبل أن يلاحظ بعضهم غيابى.

«أنّـا» تقبّل «هانس» بشدة ومن كل قلبها. وتصدر صوت مصمصة عالياً بعض الشيء، و«هانس» يخجل من هذا الذى تفعله. يبـعـد عن «أنّـا» ويلبس بنطلون الشغل وقميصاً بنقشة مربعات. على المائدة شريحة خبز ثانية بالجبن وزجاجة بيرة يحتاج إليها الإنسان لإعادة البناء بعد بذل مجهود «أنّـا» تحب «هانس» جداً حتى أنها لم تلحظ شريحة الخبز الأولى بالجبن، مثلها مثل الأم التى لا تعود تلحظ وساخة طفلها الصغير.

«هانس» يقول إنه لا يعتقد أن ذلك كان الحب، لأن الحب لا يزال أمامه وهو يبدأ بالأحرى على شاكلة «زوفى»، وهو فى الواقع كذلك. عندما يتلاشى صوته فى بير السلم، تستمر «أنّـا» فى التطلع وراءه مثلما تتطلع بقرة وراء قطار إكسبريس، وتعرف أن الحب على شاكلته والذى ليس بحال من الأحوال حباً قبيحاً، مضجر ما فى ذلك أدنى شك. ذلك أن «هانس» لا يعرف ما أوتيه فيها، وأنها أفضل ما يمكنه الحصول عليه، بل أنها أعظم من أن تكون له. ولكنه للأسف يجرى جرى الوحوش وراء سعادة نائية، بينما هى فى الواقع قريبة جداً، قريبة كما أن الخير فى الحياة أيضاً. ومع ذلك فعليه أن يجر أذياله إلى البعيد. أمرٌ مضجر بالنسبة إليها، لا بالنسبة إليه.

أشجار مختلفة الأنواع تهزها الريح فترتج نحو سماء ليلية. تبدو كأن خطاطيف من الحديد لا تراها العين تهزها، ولكن بستانياً أحدث صورة الاضطراب الظاهرى هذه، فهو فى الواقع نظام، لأنه جمع الأشجار عمداً على هذا النحو. إنها تتأوه وتصرخ فى هذه الأثناء، كأنما كانت حياتها مهددة، ولكن لا أحد يتعرض لها إلا الريح. فهى فى حديقة «زوفى» محصنة نهائياً ضد أى إتلاف أجنبى. الانطباع الذى تحدثه طلقٌ ومفعمٌ بالفن ، وهذا الانطباع هو بالضبط ما يريد أيضاً أن يحدثه «راينر» الذى يقبع أسفل شجرة اتخذها دونما اختيار ويعذب اللغة الألمانية - على حد تعبير مدرسة اللغة الألمانية - ولكن موضوعات الإنشاء التى يكتبها على الأحرى غير عادية وكثيراً ما تضرب الأعراف فى وجهها. وما يفهمها غير أخته سوى «زوفى»، ولا أحد غيرهما. بوحشية يضرب شجرة صنوبر أزرق مراراً لأن كلمة معينة لا تواتيه، لا تريد بحال من الأحوال أن تهبط عليه، ولكنها تأتى فجأة ، إنها بطبيعة الحال كلمة

موت، وإنها تنشر حواليه جواً كئيباً. عليه دائماً أن يفكر فى الموت وأن يصطنع بوجهه تعبيراً مناسباً له. الموت فى اللغة الفرنسية امرأة (١) ويأتى فى أدب «كوكتو» (٢)، وفى اللغة الألمانية رجل (٣) ويأتى عنده «راينر» قصيدة فى وضع النشوء وهو وضع ملىء بالآلام ولا ينتهى بنهاية من بعده؛ لأن الشاعر يخور قبل ذلك ويكف. فما لديه لذلك إلا القليل من الصبر لأن نشوء قصيدة تحف به الآلام ويتطلب للأسف وقتاً لا يتاح فى أغلب الأحيان للفنان إذ عليه أن يبدع أكثر من قصيدة ولهذا يندفع اندفاعاً عاصفاً إلى أمام.

«زوفى» لا تندفع كريح عاصفة، بل تتزلج مثل حديدة حذاء التزلج على الجليد من فوق صفحة ثلجية كالمرآة. أرضها هى أرضها الخاصة وليست بحاجة إلى سبب خاص لكى تتحرك فوقها، وهى مكسوة بالنجيل الإنجليزى، وتسقى بمنظومة من الرشاشات، وتزدان بالزهور الأصيلة. هذا خيال أبيض يظهر من العدم ويتضح أنها هى شخصياً ، والأمل معقود على ألا تتوارى فى هذا العدم بسرعة مفرطة، هذا ما يتمناه «راينر» ، لأنه يحتاج إليها لإلهامه. إنه فى هذه اللحظة ملتصق فى الموضع الذى يضع الموت فيه على وجه الطفل الميت فى البرْكة

---

(١) كلمة مؤنثة la mort .(المترجم)

(٢) الأديب الفرنسي چان كوكتو Jean Cocteau .(المترجم)

(٣) كلمة مذكرة der Tod .(المترجم)

كـاسكيـتـة البـحـارة. فـيـهـا مـا يذكّر بـ «راكل» Trakl(*) ولكن بشكل ضعيف. وهو يجرب قلمه بتناول الفظاعة التى يريد لرقته تجاه «زوفى» أن تواريها، وهو يأمرها بأن تقعد على نجيلها الذى هو ملكها. وهذا شىء مفروض أصلاً أن تقوله هى له، فالمألوف أن الداعى هو دائماً المالك. ولكنها على الرغم من ذلك تقعد.

فى البيت مجتمع ، ثيابه فساتين رقيقة هفهافة أو حرير مطرز بالذهب والفضة أو بدل المناسبات ، شَرَعَ فى تبادل الأحاديث. أناس من أرباب الأعمال، يقومون بالكثير من الأعمال، كما يدل الاسم الذى يطلق عليهم فما مجتمعهم إلا شركة أعمال. وهم أحياناً يفهمون نكتة. وما يقومون به من أعمال هو لعب الجولف أو ركوب الخيل فى «الكريو» Krieau لا يكاد الإنسـان يسمع نغمات فوكستروت خافتة تتزحزح معها هنا وهناك بقع ألوان باستيل نسائية. وهم أحياناً يزحفون صامتين، وأحياناً يجرفون كاللودرات كل شىء إلى جانب، وهناك خدم يحملون الصوانى يبعدون من أمامهم ويلوذون بمأمن؛ إذا كانوا أمناء صادقين مجتهدين فإنهم يشغلون فى هذا البيت مكاناً مضموناً، لا تهدده أخطار. الفساتين رائعة الجمال. والنظر إليها يأتى ببهجة، وإن لم يكن هذا النظر إلا

(*) الشاعر النمساوي جيورج تراكل- Georg Trakl (١٨٨٧ ـ ١٩١٤) ويتغنى في شعره بالموضوعات الحزينة وبمعاناة الآلام والشرور والوحدة والموت. (المترجم)

عن بعدٍ حيث يوجد «راينر» الآن ، وهو يقول إنه لا يرغب فى الدخول إلى الداخل، لأنه من الخارج يفهم البنيات الاجتماعية على نحو أفضل حيث إنه يحيط بقطاع أكبر من الصورة. مثل هذه البنيات ليس لها مكان فى الأدب، لأنها قد وُجدت، ولم يعد من اللازم ابتداعها، والابتداع هو المهمة التى ينحصر فيها وحدها وجود الأدب. البقع الملونة برءوس اللابسات من فوقها تبرز مثل بقع ملونة عملاقة على الأرضية البلّورية، والحلى التى تتلألأ عليها مثل زَبَد على موج. «راينر» يحملق من موضع وقوفه وما هو بطبيعة الحال الشارع بل الحديقة الغناء. وهذا الموضع غير طبيعى بدرجة نسبية فقط لأن هذا الإنسان لا يمكث غالباً إلا فى أماكن داخلية محجوبة بعناية عن ذلك الشارع وحركاته. لا مكان للسوقة بل للأثاث الـ «ستايل» فى حجرة البنت الخاصة بـ «زوفى» أقول بنت، وأعنى ما أقول، لأنك لم تصبحى امرأة بعد، يا «زوفى»، ولسوف يزيد الوضع على نحو لا يمكن تصوره ، عندما تصبحين أخيراً امرأة، عن طريقى بطبيعة الحال. سيقع انفجار لا تدنيس، وهو ما يحدث للأسف بين الناس الأسوياء، عندما يكون الرجل غبياً والمرأة فقط قليلة الجمال.

«زوفى» لم تفكر حتى الآن قط فى أن الإنسان يمكن أن يمارس ببدنه شيئاً آخر غير الرياضة البدنية، لا يدخل هذا فى عقلها (لا يخطر ببالها). ربما يكون هناك غير هذا الذى أعرفه شىء آخر،

ولكن مـاذا يمكن أن يكون أنا لا أصل إلى مـعـرفـتـه، لا أصل إلى معرفته، ولكنه من المؤكد شىء غير ضرورى، لأنه يضـيـع منى، لا ينقـصنى، ولهـذا فـهـو لا يمـارَس، على الرغم من أنهـا فى مـرات كثيـرة بما فـيـه الكفـاية تمارس أشياء لا ضـرورة لها. فى حجرتها عُلقت صور فوتوغـرافـيـة مـبـروزة: «زوفى» فى الثـالثـة من عـمـرهـا، «زوفى» فى الرابعـة، تلبس فسـاتين جـمـيلة كلهـا ذوق ، على أرض ملك خاص، أو أمـام بلوك من هذه البلوكات العـملاقـة فى «زانكت موريتس» (*) الانطبـاع جـمـالى بدرجــة جنونيــة. وهى تحب أن تتـأمل هذه الصـــور، فمنها ينبعث انسـجامٌ ضـاع منها على نحو مـا، لا تعلم أين، ولكنهـا لا تـبـحث عنه، لأنهـا فى الفـتـرة الأخـيـرة تراودهـا حاجة خافتة إلى القذارة، وهى ضد ذلك على خط مستقيم. والمطلوب أن تحدث القـذارة بالأسلوب الرفـيـع ، لأن كل شىء تعـمله له أسلوب. إذا عـمـلت، فـلابد أن يكون العـمل بالأسلوب الرفـيع. وعلى عكس ذلك الخنزير الصـغـيـر «راينـر» الذى لا ينتج إلا روثاً صـغيـراً يريد عـلاوة على ذلك أن يقضى عليه، لأنه لا يزال يتكلم عنه حتى يتحـول من أصغر روث إلى ذهب، ولا يمكن حينئذ إلا تحطيمـه وإزالتـه، القـذارة. فـهـو باعتـبـاره ذهبـاً لا يفـيـد أحداً بشىء. فلمـاذا لا يـتقلب الواحد فـيه إلى النهـاية والكف واعياً عن التحويل إلى أدب يكفى أن يعـرف الإنسـان بذاته أنه قـذارة، فـهل

(*) مكان مشهور في سويسـرا Sankt Moritz في جبال الألب يقصـده الموسرون للاستـجمـام وممارسة رياضـات الشتاء وخـاصـة التزلج على الجليد. (المترجم)

هناك ما يحتم أن يعرف ذلك كل شخص آخر أيضا ربما يكون وصف القذارة أهم عند «راينر» من القذارة نفسها يا لها من مجاهل.

أمام البوابة الحديدية الهائلة ومن مِلك موروث هائل تخرج أم صوفى متصاعدة من الأرض مثل لهب شمعة أشعلت فجأة ، فى الحال يندفع حشد من الناس نحوها ويخمشون بمخالب واهنة على أبواب رأسمالها ، ولا يتلقى هذا الحشد من الناس أية إجابة ويكون عليهم أن يعودوا أدراجهم متسللين دون أن يحققوا مآربهم. ولا يتلخص أمرها فى مجرد أنها لا تفعل شيئاً، هذه الأم، على نحو ما قد يظن البعض، فهى هى أيضاً كذلك (*) متخصصة ممتازة فى العلوم الطبيعية، وجميلة جداً، تحقق ذاتها فى فعلها، وهذا شىء يعمله بعضهم بقدر أكبر، والبعض الآخر بقدر أقل، وهم يقررون بقدر أكبر. لا يكفى بكل بساطة أنْ تبقى فى البيت، بل لا بدّ من أن تكون أيضاً عاملة. إنها صورة صعود تجرها قاطرة إكسبريس من الظلام إلى النور. صورتها الظلية الزرقاء الفاتحة لا تتمثل فكرتها فى أن تكون بحال من الأحوال نصباً تذكارياً لكل هؤلاء الذين قضوا نحبهم من أجل مصانعهم الشخصية لصناعة الصلب، بل تتمثل فكرتها فى أن تجعلها منظراً جميلاً للمتأمل الذى يأتى بلا أحكام

(*) نلاحظ على أسلوب يلينك هذا الكلف باستخدام كلمات الحشو من قبيل : أيضاً، كذلك، فى النهاية، أخيراً ، وهى من مقومات اللغة الدارجة . (المترجم).

مسبقة؛ حتى إذا كانت لدى الإنسان تحفظات، فلابد من أن يعترف بالجمال حيث يصطدم به، مستقلاً عن الشخص. إنها تحض «زوفى» على الدخول داخل البيت حتى لا تصاب بالبرد، بالإضافة إلى أن ضيوف مختلفين يريدون رؤيتها. صديقك يمكنه أن يحضر من المطبخ شيئاً من مهلبية الأرز بالتوت البرى المنزلية، حتى إذا أخذ كمية كبيرة جداً، فالموجود يكفى. لا يمكنك يا ماما أن تشترى حبى. على التو تدس الأم الرقيقة بأصوات كالحفيف، وترتمى على السرير وتصرخ فى نزلة هستيرية بشدة كحيوان فى سكرات الموت، بعض الناس لا يستطيعون كبح جماح هذه النزلة، ولهذا يعطيها أستاذ طب كان حاضراً دواءً لكى تنام. تحتقر الضيوف، وستنتحر على الفور إذا لم تحبها ابنتها الوحيدة. تبصق على زوجها وترميه بعيداً عندما يسألها عن صحتها، فهو من أسرة فقيرة نسبياً ، درس هندسة الآلات وهو ما فرض على والديه تضحيات أى تضحيات. ولكن التضحيات نُسيت، وكذلك نُسى الوالدان، إلا المرأة المنتحبة فما زالت موجودة.

«زوفى» تثنى ركبتيها وتتشر من حولها جونيلتها التُللى (*) البيضاء مثل ذيل الطاووس. قماش الجونيلة التُللى يطقطق بخفة وكأن هناك نشارة

(*) قماش رقيق فاخر يصنع من الحرير وربما أضيف إليه قطن. والاسم نسبة إلى مدينة فرنسية هى Tulle. وهناك أنواع مختلفة منها التُللى الفلورنسى المطرز. (المترجم).

خشب منمنمة تتقد. عندما تهب نسمة ترتفع الجونيلة بسهولة لأعلى لأنها تقدم للريح سطحاً كبيراً للهجوم، و«زوفى» لم تقدم مثل هذا من قبل قط. عندما يرتفع القماش لأعلى تظهر ساقا «زوفى» النحيلتان فى جورب رقيق كالنسمة ولهذا كان ثمنه غالياً متناسباً مع رقته، عندما يأخذ الإنسان فى اعتباره سهولة تمزقه. ومجرد التفكير فى المتانة فى مقابل هذا التلألؤ المقدور جناية كبرى ، و«راينر» يبذل الجهد الجهيد لكى لا يفكر فى هذا، فهو مشغول بما فيه الكفاية بالتفكير فى قصر عمر شِعره الغنائى. وهذا موضوع قليلاً ما يبهج إذ ينبغى أن تقرأ هذه القصائد فيما بعد باهتمام أجيالٌ كثيرةٌ قادمة. ولكن من المحتمل ألا تفعل لأنها لن تعرف هذه القصائد مطلقاً. «زوفى» مشغولة الفكر (الأمل معقود على أنها هى على الأقل ستفكر فى هذه القصائد، لكن لا، الظاهر الجلى أنها لن تفعل) تتناول غصناً صغيراً مدبباً من فوق الأرض وتخرم به خرماً فى نيلون الجورب، وتشد الخرم وتوسعه، تك تك ، الغرز تتنسل بسرعة جنونية، والجورب شديد الرقة حتى أن الإنسان لا يكاد يراه، ولكنه يعرف أن الموضع الذى كان فيه جورب تبدد جوربه الآن ولم يعد به أى شىء. الجورب ذاب. أما أن شعر «زوفى» يبرق فمرجع ذلك إلى المائة مسحة بالفرشاة. المائة مسحة بالفرشاة تنتمى إلى العناية به، كما أن الزبد ينتمى إلى الخبز، شريطة أن يكون الزبد زبداً خصوصياً لا مرجرينة. مزقت «زوفى» الجورب

الأيمن كله كاملاً، «راينر» يفكر: هل أنتهز هذا الوقت المناسب حيث تقوم عامدة متعمدة بإتلاف الجوارب إتلافاً يستحيل معه إصلاحها، لأتسول زوجين من الجوارب لـ «أنّا»، الأفضل ألا أفعل، أهم شيء هو ألا أتوجه إليها برجاء. سأعود إلى الدخول، وماما في النهاية غائبة عن بقية الحفل في هذه المرة أيضاً. إذا أرادوا أن يسمعوا واحدة من قصائدي (كذلك «زوفي» تكتب مثل هذه القصائد، ولكن بالأحرى دون رغبة) فأقرأ لهم بالفرنسية فقرة قذرة قذارة الخنازير مما كتب «سارتر» أو «باتاي» صحيح أنها لن تصدمهم، ولكنها ستسليهم. ليس مثل «شفارتسنفيلس» Schwarzenfels الذي سب رفاقه في النادي مؤخراً سباباً منحطاً وحطم العديد من الأكواب. ألقى نفسه بكامل هيئته فوق مائدة عليها الطعام والشراب فاصطك ما اصطك وارتطم ما ارتطم. وسكت الناس على ذلك متسامحين على الرغم من أن الأسلوب كان سيئاً، فـ « شفارتسنفيلس» ولد مشاغب ولا يمكن ببساطة فعل شيء. إنه يشرب الخمر حتى يفقد الوعي، ويسلك سلوكاً شائناً، شيء سخيف. إنه قذر مثل الخنزيرة. وهو يركب سيارة پورشه Porsche يتمناها «راينر»، ولكنه لا يتمنى ذكاء صاحبها الذي يضعه في الدرك الأسفل.

ولكن «راينر» أيضاً لا يظهر أن له مخاً أكبر على نحو ما وهو يحاول الآن أن يدس رأسه غير المغسولة بين ساقي «زوفي» لا ينجح في ذلك حيث خطت

خطوة سريعة منحيةً جانباً تلك البنت التى كانت منذ برهة قد وقفت، و دفعت رأسه دفعةً صدمته بجذع شجرة الصنوبر التى كانت خالية الذهن. وكانت هناك نية مبيتة، ولهذا أحدث الارتطام صوتاً أشد من الضرورى. أحبك يا «زوفى»، وأعنى بذلك نهائياً أن كل شىء سواك لا يهمنى. من أجلك أنت وحدك ترتعد لتوها عضلات وجهى بألم بالغ العنف. وكان الألم البالغ العنف مجرد تمهيد، فهأنذا أقبّلك الآن قبلة عنيفة ، وتلك هى القمة. لأنك بطريق المصادفة لينة يا «زوفى» فمن الخير أننى صلب لأن الضدين يتجاذبان. إننا يجذب بعضنا بعضاً بقوة ولا نستطيع التصدى لذلك بشىء. تحت هبة ريح عكسية جديدة تنوح مجموعة أشجار الصنوبر مكلومة وتنوح معها شجرتا الصفصاف على بعد محسوب تماماً. صارخاً يهب طائر تعرض لإزعاج أقض راحته الليلية، لم يعد الواحد يجد راحة فى حديقة عامة، والآن يفقد هنا راحته. القمر يندفع بسرعة كالمجنون على مستوى منخفض فوق السماء، لا ليس القمر، بل هى فى الواقع السحب - ولا شىء غيرها - تعدو مجنونة. «راينر» يحملق فى القمر متفحصاً ويقول عنه شيئاً، هو حتماً صورة لم تخطر من قبل ببال قائل، وإلا قد يكون من الممكن أن نقول ببساطة إن القمر يقف مثل قرص فضى فى السماء أو نحو ذلك. «زوفى»تقول إن نشوة الحب ليست إلا طموحاً تحقق (موزيل*).

(*) روبرت موزيل Robert Musil (المترجم).

«راينر»يقــول إنه ليس لـه من طمــوح إلا فـى الفن، وطموحه فى الفن شديد، وإنه أنهى صلتـه بكل شىء فى الحياة، فهذه الحياة قد أُهدرت لأنه يقف خارج المجتمع ومعاييره. وحبه خالص تماماً من كل شىء آخـر إلا الحب. عندمـا يزحــزح الجــزء العلوى من فستانها الذى به فتحة على الصدر ويتأمل صدر «زوفى»، يشعر للأسف بأنه يقف فى نجيل مبتل وأنه سيكون فى الغد مصاباً بنزلة برد. نعلا شبشبه الأمريكانى قوّاهما مراراً بغطاء كرتون وليس هذا الغطاء قوى الاحتمال بل إنه يبوش من البلل؛ وهو ضعيف الاحتمال مثل الغطاء الذى يغطى رغبات «راينر» الشهوانية التى لا تفتأ ترفع الغطاء حتى يخرج البخار.

«زوفى» تشد فتحة الفستان لتغطى ما ينبغى تغطيته، وتدفع يد الولد المأفون بعيداً لأنها كانت شهوانية، ولن ينال ما يريد. وهى تقول مرة أخرى إن «راينر» لو كان من الناحية المادية فى وضع مختلف، ما كان ليصبح فناناً، لأن الفن على الرغم من أنه غير مادى، هو الشىء الوحيد الذى له على أية حال قيمة عند الناس. «راينر» يرفض هذا التعريف لأن الناس لا يهمونه فى كثير أو قليل، ولأنه ينتج الفن حصرياً لنفسه فقط، فإذا اهتم به إنسان آخر : أهلاً وسهلاً! بل قد يُطبع عمله ذات مرة وينشر! يدفن رأسه عند بطن «زوفى» وهو مسطح ودافئ ولا حصباء بداخله؛ لو لاحظه واحد من أصدقائها المتعجرفين فى هذه

الأثناء فسيحسده على ذلك، لأنهم لا يتاح لهم مثله. يقف الزمن بالنسبة لرجل وامرأة لحظة بطولها، وهى لحظة طيبة، لأن الزمن فى أكثر الأحيان يحيل الأشياء كلها إلى أسوأ ، أناس فقراء يشيخون، أناس أغنياء يمكنهم أن يوقفوه قليلاً، ولكن ليس نهائياً، لأنه يدركهم دائماً. والزمن فى نهاية المطاف ديمقراطى، وليس «راينر» ديمقراطياً. فهو بالتحديد يمقت العامة ولذلك يبرز واضحاً من بينها فوقها. أنه يشعر بنفسه فى فراغ «زوفى» مثل وليد بهيمة لا يعود يجد عند بطن الأم طعاماً ويضطر إلى الخروج إلى الطبيعة القاسية التى تقف فى فكرها منه موقف العداء بحثاً عن طعام، إلا إذا حدثت معجزة وبقى فى حمًى من التوالد. «راينر» خائف من المستقبل ، خائف من الشيخوخة. «زوفى» عليها الآن نهائياً أن تتصرف، وهذه جملة كثيراً ما تقولها كما نعلم. وهو يرد عليها الرد المناسب، وهو أن الناظر إليها يكتشف من منظرها أنها تبذل جهداً عنيفاً لتكبح أحاسيسها نحوه، وهو ما لا تنجح فيه، وكان الأحرى بها أن تستخدم طاقاتها هذه فى ضرب البرجوازيين داخل البيت فى وجوههم القميئة. و«راينر» يصعد بيديه على ساقيها وهى للأسف تدفعها بعيداً. أنت فوضوى لئيم لا يريد إلا الانتقام «زوفى» لا، أنا لا أريد مطلقاً أن أنتقم، أنا أريد من حيث المبدأ ما لا معنى له. و«دى صاد de Sade» يقول من قبل إن كل مكان ستتوزع فيه حقوق الإنسان بشكل عادل بحيث يستطيع كل واحد

أن ينتقم بنفسه لكل ما عاناه من ظلم، لن يكبر فيه مستبد. فسيسكته [المنتقمون] على الفور. كثرة القوانين هى التى تؤدى إلى الجريمة «راينر» هذه القوانين وأشباهها لا تصلح لى، بل تصلح فقط لمن يحتاجون إلى من يقودهم. وأنا بالأحرى قائد، وأريد على سبيل المثال أن أقودك أنت أيضاً فى المستقبل ، يا حبيبتى. لدى فى داخلى كُرْهٌ كبير يكفى اثنين. فمن هو هذا الثانى الذى لديك كُرْهٌ من أجله؟ أنا على سبيل المثال لا أحتاج إلى كُرْهٍ ، فأنا أستطيع أن أعمله دون هدف. وأنا أود أن أعرف ما هذا الذى يجب أن أصب عليه كُرْهاً.

زحزح «راينر» الفستان من فوق فى هذه الأثناء وعض «زوفى» طرف صدرها الضئيل فصدرت صيحة صغيرة مفاجئة تاهت إلى السمع مثل صيحة من صيحات الطيور التى لا يحصيها عَد، والتى يصادفها الإنسان هنا. بعد ليل تسكت الصيحة مرة أخرى. كانت الصيحة: آه من الألم.

ما هذا الحمق. أعتقد أن علىّ أن أبرّد شيئاً مما بك. سآتيك حالاً نصيبك من الآيس كريم، حالاً آتيك به.

النجيل يعلو تجاه «راينر»، ينجم ذلك عن الغثيان، والغثيان ينجم عن العدوان، والعدوان ينجم عن اشتهاء «زوفى»، واشتهاء «زوفى» ينجم عن أن «زوفى» بنت جميلة جداً. الواقع يندلق من فوق «راينر» بعيداً كما

لو كان حمام السباحة يُفرغ ماؤه عليه. هو من تحته فى بلل أسود مطلق، يستطيع أن ينفذ من خلال كل الفتحات على الرغم من أنهم يبذلون جهداً يائساً لسدها. عندما يلحسه بعضهم ينظر إلى أعلى، فإذا هى «سيلما» Selma كلبة صيد «زوفى» ، أطلقوا عليها هذا الاسم نسبة إلى الشاعرة «سيلما» لاجرلوف (*)، تجربة أدبية قديمة لـ «زوفى»، لا تتسم بقيمة، فلم تكن آنذاك تعرف «راينر»، راينر يعانق الكلبة الخالية من الإحســاس والتى تلتصق به. أحيــاناً تكون بعض الحيوانات أحسن من بعض البشر، ومن الممكن أن يتعلم الإنسان منها. على سبيل المثال الرقة والالتصاق. وكلاهما لا وجود لهما عند «زوفى» يأخذ «راينر» الآيس الكريم المخصص له من يد الخادم، ويخطو خطوات عبيطة بعيداً، وقد تركته «زوفى» منذ وقت طويل، وتركته «سيلما» منذ وقت قصير وراحت تتطط بقفزات شقية فى مساراتها المعهودة (فليست الآن قائمة بالخدمة) فوق مساحات من النجيل تطارد غريماً وهميًا. ويندس «راينر» فى داخل الظلام تجاه غريم واقعى جداً ، أغلب الظن أنه هو نفسه ذلك الغريم، لأن الشاب فى مرحلة ما بعد المراهقة هو دائما أكبر عدو لنفسه، كما قالوا له، وهو شىء ينجم عن الهورمونات التى تغلى. يفتح بوابة الحديقة

(*) الشاعرة السويدية "سيلما لاجرلوف" Selma Lagerlöf حصلت على جائزة نوبل في عام ١٩٠٩ تتسم أعمالها بالخيال والتدين والتعليم وتصوير طبيعة السويد وتراثها (المترجم).

ويدلف إلى منطقة تتزايد فقراً كلما توغل فيها. وقامته تزداد صغراً، لا لأنه يبتعد، وإنما لأنها تصغر بفعل بيئتها المحيطة. منذ قليل كان لا يزال أحد فى حديقة، وهو الآن لا أحد فى ترام. تلك خبرة فظيعة، لأنها تعنى أن خطر الاختفاء الكامل قائم، الظلمة تبتلع سور الحديقة الحديدى وكأنما لم يكن قد وُجد هنا قط. والحديقة تلاشت، «راينر» لا يزال موجوداً، ولكن فى مكان آخر.

من خلفه يتلاشى النور كله، اسمه «زوفى»، ولا يبقى أبداً مدة طويلة. أما «راينر» فعليه أن يبقى دائماً أبداً حيث هو الآن ، لأنه لا يمكنه أن ينسلخ من جلده، وهو فى هذا يشبه بلا استثناء البشر الآخرين الذين لا يقدرون على ذلك هم أيضاً .

الآن وقد رأيت سلفاً حجرات كبيرة تلوح لى حجرات صغيرة مثل هذه أصغر مما هى. وهى فى الواقع أيضاً صغيرة، وهذا هو ما يقوله «هانس» متبرماً ضاربًا بقدمه فى غيظ المسكن الشعبى الذى ليس مسئولاً عن صغره، والذى هو على الرغم من ذلك إنسانى لأن كل شىء يحتاج إليه الإنسان فى الحياة متاح فيه. وليس هذا بالكثير، لأن الإنسان يمكنه أن يدبر أموره بالقليل عندما يُضطر. ولهذا لا يقدم المسكن أيضاً الكثير.

كذلك هنا تهب ريحٌ ولكنها ريح من داخل المدينة، تأتى بالقذارة والتراب من أماكن البناء التى مفروض فيها أنها تمحو آخر خرائب وأنها تزيد ڤيينا جمالاً على جمالها. وهناك ضوء خافت ينساب، يتبين الإنسان منه أن فصل الربيع جاء بجوه اللطيف مبكراً. وهذا الضوء الخافت مميز لهذا الحى الڤييناوى القديم، فهو لا يدع شيئاً غير ملحوظ، ولكنه أيضاً لا يبين شيئاً يتسم بأنه جدير على نحو خاص

بالملاحظة. الهواء جاف، تقيم فيه حيناً شظايا زجاجية وحشرات وجراثيم نزلات البرد. وثمة بنات ذوات جونيلات البيتيكوت التحتانية وتسريحات ذيل الحصان الهفهافة يخطرن كالسابحات من خلال الحى، سمتهن الأساسية المميزة هى شبابهن الذى يفقدنه عما قريب. وهن يفرحن بالرقص والموسيقى، وفى الدور التالى فوق دورهن يقيم الفرح بالوظيفة القادمة التى يستطيع الإنسان أن يختارها لنفسه؛ لأن حركة ازدهار تسود الآن وإن لم يكن من المحتم أن ترفع الإنسان حتماً إلى دور أعلى. من الممكن أيضاً أن تقع الوظيفة على الإنسان من أعلى.

«هانس» لديه ذكرى شبابية تبدو على النحو التالى:

فى «سينما ألبرت» يستطيع الإنسان بخمسة شلنات أن يقعد فى الصف الأول أو الثانى وأن يرى كيف تبدو حركة الازدهار هذه التى سيدخل فيها الداخلون قريباً، وحركة الازدهار لا تزال مؤقتاً لأناس آخرين، والإنسان يشاهدها فقط ظاهرياً. إنها تلبس تاييرات أنيقة فصلها الترزية على المقاس، تلبسها على ملابس داخلية تحتانية، أو تلبس فساتين «ديرندل» التراثية بفتحة واسعة على الصدر، وتقبّل «رودولف پراك» Rudolf Prack أو «أدريان هوفن» Adrian Hoven أو «كارلهيانتس بوم» Karlheinz Böhm. أصبح كل شىء أحسن، وإذا لم يكن قد أصبح أحسن، فسيصبح أحسن. ١٩٣٧: عدد المقاولين ١٠٠ وعدد العمال ١٠٠؛

١٩٤٩ : عدد المقاولين ١١٥ وعدد العمال ٨٥؛ إذا كان رجلاً فهو يقبّل «ماريانه هولد» Marianne Hold أو «كـونّـى» Connyالزمـيلة الحـبـوبة التى تناسب على الأرجح الأصغر سناً. وهو يغنى أحياناً فى أثناء ذلك، بل يغنى كثيراً. إنه يغنى أغنية رائجة صغيرة، واسمه «بيتر كراوس» Peter Kraus وكثيراً ما تحدث التباسات تجعل الناس يضحكون ضحكاً صاخباً، ويتبين أن كريستيان فولف Christian Wolff هو فى الواقع ابن المدير العام، على الرغم من أن منظره لا يوحى بذلك، وجـمـهـوره شكله لا يوحى بشىء، وهو بالفعل هذا اللاشىء أيضاً. «كونّى» لطيفة وتقع على التو فى غرامه عندما كان منظره لا يوحى بأى شىء. ويشهد مسلكها هذا على قلبها وخلقها وهما العنصران اللذان يعوَّل عليهما. وجدائل شَعر المتفرجين تترجرج مع الإيقاع مثل ذيول الديكة وتشتاق إلى أن تتكشف حقيقتهم تحت لمسات بنات من فئة الصبايا المتدرجات فى صالونات الحلاقة أو ممن يتعلمن السكرتارية، فيظهر أنها جدائل شَعر صبْية متدرجين وشبان مبتدئين فى شغل المكاتب. والدرس المستفاد هو أنه لم يعد على الإنسان أن يحرص على الظهور على حقيقته الواقعة كما هو. بل إن الأبطال فى السينما يريدون أحياناً عامدين أن يظهروا أقل مما هم. هذا شىء لا يمكن فهمه. أحياناً تمتد أيدى البنات أيضاً إلى دور أسفل نحو جزء باهت لا يرى النور أبداً، على أفضل تقدير فى مايوه، وهو فى أغلب الأحيان مرهق أشد

الإرهاق نتيجة عمله قاعداً فهو لا يتزحزح ولا يتحرك. وأحياناً يكون موجوداً على التو بتمامه وكماله ومع ذلك لا يسأل عن مشاعر الشخص الذى يشغِّله. فإذا استطاع فقط أن يخرج شيئًا فهو راض بدلاً من أن يقوم هو بذلك أى نعم.

أحياناً تُظهر «إديت إيلماى» Edith Elmay نفسها بصدرها الضخم على حالها كما هى: ابنة صاحب مصنع، وهو ما يستنتجه المرء من منظرها، ولكن المشاهد يعرف ذلك طوال الوقت ويبتهج بمواقف الالتباسات اللذيذة التى يعتبر فيه إنسانٌ إنساناً آخر أفضل إنسان متأثراً بحب كبير أو حب أسىء فهمه فى البداية وسينتصر فى النهاية. ما كنا قط لنُلحق خطراً بحب ناشئ عن طريق سوء الفهم، فمن يعرف متى يأتى الحب التالى، ومن حسن الحظ أن يجد إنسان حباً.

كثير من المشاهدين الشباب الذى يظنون أنفسهم مركز الدائرة؛ لأن بنت الجيران هى البطلة الرئيسية فى هذا الفيلم، يحلمون من الآن باقتناء سيارة خاصة أو ڤيسپا منذ أن استرد أهلهم بشكل منتظم حياتهم التى أفسدتها الحرب، وحققوا بها فى ضيق خانق وعلى نحو متردد شيئاً. هل تستمر هذه الحياة فى العمل، أم هل علاها الصدأ؟ لا يمكن أن يعلوها الصدأ إطلاقاً، لأن الأهل ليس لديهم وقت للراحة، عليهم أن يعيدوا بناء الوطن. لابد من أن تصمت

الرغبات الأنانية، ولا يجوز إلا للرغبات فى مكنسة كهربائية جديدة، ثلاجة كهربائية جديدة، صندوق موسيقى جديد أن تجازف بالظهور لكى تكون هناك تجارة وتحول. التجارة نشأت، ولكن ليس هناك تحول فى أى شىء. قبل وقت ليس بالطويل نادت جريدة اشتراكية تصدر فى «جراتس» Graz بتصفية قادة الإضرابات وخنقت بذلك تحولاً، والآن لم يعد شىءٌ يتحرك إلا الدعاية التى تتحول من خلالها على الأقل صورة الشارع نحو التلون بألوان مزركشة بهيجة.

«روت لويفيريك» Ruth Leuwerik تقبِّل أو. فى. فيشر O.W.Fischer والدموع تنهمر من مآقيها. «ماريا شِل» Maria Schell تقبِّل «أو. فى. فيشر» O.W.Fischer والدموع تنهمر من مآقيها. وهذه أم يتأمل قلبها والدموع تنهمر من مآقيها لحم يوم الأحد الذى سهت عنه فى المطبخ فاحترق. اللحم غالى الثمن وهو نوع من الترف. جبال الألب تندس فى الصورة على نحو متزايد، وثمة موسيقى شعبية تظهر على نحو ملحوظ. توائم يملئون «ڤاخاو» Wachau (١) و «داخشتاين Dachstein (٢)ويغنون دون توقف قبل أن تنال كل واحدة الرجل المناسب لها وتعود معه إلى الحياة الخاصة. ويقلق المشاهدون لأن هؤلاء الناس أصحاب البريق الفائق ليس لهم غير حياة خاصة واحدة، مثلهم هم أيضاً بالضبط، وإذا فقدوها فلا

(١) منطقة في النمسا (المترجم).

(٢) منطقة في النمسا (المترجم).

ينالون حياة خاصة أخرى جديدة. أهم شيء هو أن يستطيع الإنسان أن يقضي حياته الخاصة بصحة جيدة. وعلى الإنسان أن يفعل أقصى ما يستطيع ليملأ حياته الخاصة، وهو ما يحاوله البعض في ڤيلا مطلة على بحيرة «ڤولفجنجزيه» Wolfgangsee ، البعض الآخر في مسكن شعبي أو باسّينا (*) والمهم هو الإرادة. حتى التوءمين الشقراوين كيسلرKessler بالساقين الجميلتين (اسمهما كيسلر Kesslerوكيسّ kess معناها جميل) ليس لديهما حياتان خاصتان، أعني أنهما لهما حياتان خاصتان، ولكن كل واحدة منهما لها حياة خاصة واحدة. و«پيتر ڤيك» Peter Weckيتقدم بسيارة سپور كابريوليه وفي الحال يندفع بعيداً كما يقول اسمه أيضاً (ڤيك Weckتسمعه الأذن wegومعناها بعيد). من قبل كان وحيداً والآن عنده الفاتنة كورني كوللينس Corny Collins ذات الغمازتين في الوجنتين تقعد معه في العربة وتلتصق به وتنثر سحراً. ولن تتركه طوال الساعات التالية، وأغلب الظن أنها لن تتركه أبداً. وليست هناك امرأة أخرى يمكن أن تقوم مقامها، لأن الإنسان يحتاج إلى وقت طويل لكي يجد حباً كبيراً، وعندما يوجد، فلا يجوز تركه يفر وينأى. كذلك البنات في السينما ما كن

(*) الكلمة قديمة معناها : الحوض أو الطست أو الطشت، واستعملت للدلالة على نوع من البيوت النمساوية القديمة التي كان فيها حوش مشترك به حوض المياه والغسيل ، وكانت النساء تتلاقى فيه فتجري ألسنتهن بالنميمة والتقول. فكان مصدر شائعات وبؤرة مشاجرات. (المترجم).

ليتصرفن أبداً على هذا النحو. إنهن يمكثن أطول وقت ممكن، فإذا طردن بخشونة ووقاحة بكين من حرقة الغرام وهو ما فعلته «ماريا شل» مراراً. وبين الفينة والفينة يحدث فتى مراهق شغباً عارماً، فيبصق بيرة حواليه، وينهال بالضرب المبرح على شخص ما، ثم يعود إلى البيت، وهناك ينهال عليه بعضهم بضرب مبرح حتى تتحقق تسوية متوازنة واستقرار. أناس كثيرون يستقبحونه فى الطريق، ويستقبحون ملابسه الجلدية القذرة التى تعجبه لهذا السبب بالذات وقد وفر النقود ليقتنيها. وهو يعرف يقيناً أنه لن ينال واحدة مثل كورنى كوللينس Corny Collins لأنها ملك يمين «بيتر فيك» Peter Weck ، ولكنه يحاول بشدة. وكذلك «هاينس كونرادس» Heinz Conrads الشخصية المحلية العظيمة، الذى تقدم بعض الشىء فى السن، يقبِّل بنتاً، إنه أقرب إلى نيل إعجاب الأكبر سناً لأن له قيمة إنسانية؛ بالنسبة إلى المسنين غير المهمين الذين لم يعودوا يقفون على قدمين ثابتتين فى عملية الإنتاج يكفيهم نجم محلى، وليست هناك حاجة للاستعانة بنجم أجنبى ضيفاً. إنه يقيم الدليل على أن الأكبر سناً لديهم مفاهيم قيمية، بينما الأصغر سناً ليس لديهم إلا مظاهر خارجية. الأصغر سناً يبصقون على الأكبر سناً وعلى مفاهيمهم، ثم هم يخرجونهم بعد عدة سنوات من ثنايا النسيان، لأنهم هم أنفسهم يتقدمون فى السن ويصلون إلى الراحة. «هانس» الآن قد تقدم فى السن بعض الشىء ولكنه لا يزال يعطى

ولا يركن إلى الراحة. بل إن هؤلاء المتقدمين فى السن يشترون بعد ذلك شقة تمليك إذا استطاعوا تدبير الثمن. والشمس تغيب كما غابت من قبل مراراً وتكراراً، وماريا أندرجاست Maria Andergast تغنى دويتو مع واحد نسيته، لا أظن أنه كان أتيلا Attila (أوربما كان = پاول Paul) هوربيجر Hörbiger (*) و«پيتر ألكسندر» Peter Alexander يغنى دويتو مع «كاتيرينا ڤالينتى» Caterina Valente. و«كاتيرينا ڤالينتى» تغنى مع «سيلڤيو فرانتشيسكو» Silvio Francesco وهو أخوها الشقيق، دويتو مضحكاً وتصطنع بتقاطيع وجهها تعبيرات هزلية ، يستنتج منها أنها أصبحت اليوم فرحانة، بل فرحانة جداً حتى أنها لا تستطيع أن تعى الأمر بنفسها. و«لوليتا» Lolita تغنى عن بحّار، ثم تغنى دويتو مع «ڤيكو» Vico الذى يقلّب تقاطيع وجهه بتعبيرات هزلية حتى أن الإنسان ليعتقد أن بقية وجهه سيقع من بين أسنانه. البحار يترك الأحلام ومكاتب السياحة تزيد مبيعاتها. و«ڤيكو» Vico يقلّب عينيه حتى يرى الناس بياضها، وهو يبتهج لذلك كما يحدث لمن تصيبه نوبة صرع. إذا استمر على هذا النحو فسيكون من الضرورى دس شريحة خشبية بين أسنانه وسحب لسانه إلى الخارج حتى لا يموت المغنى السويسرى الموهوب مختنقاً. وسيعنى ذلك نهاية قبل الأوان لمستقبله العظيم.

(*) أتيلا هوربيجر Attila Hörbiger ممثل نمساوي ؛ اخو «باول هوربيجر» Paul Hörbiger وكان ممثلاً سينمائياً. (المترجم).

غزلان صغيرة يسمونها بامبى تلتصق مرعوبة على الشاشة، وسيقانها الوليدة حلوة وسترتفع بعد قليل عن الأرض، وتضمها صدور تلبس السوتيانات، وتضمها بقوة حتى تتدلى ألسنتها وتغيب أعينها. ليست هناك ممثلة من القائمات بالأدوار الرئيسية تستطيع أن تترك غزالاً صغيراً على الأرض، وهو حيوان مكانه الغابة. والسبب أن التى ستشيل الغزال الصغير عند حافة الغابة، ذلك الذى يقف هناك نشيطاً، تحب الغزال الصغير جداً جداً. والتى ستشيل الغزال الصغير هى «ڤالتراود هاس» Waltraud Haas هـازى Haasi ، فى دورها الذى تمثل فيه بنتاً شقراء يتيمة الأبوين، تجد لها سيداً عزيزاً طيباً هو قسيس «كيرشفيلد» Kirchfeld (*) وهى تتعرض لاحتمال الاغتصاب ولكنها تهرب قبل أن يحدث. والبائعات الشابات يضممن سيقانهم باكيات، ولا تصل أيدى عمال الخراطة واللحام المندسة إلا إلى كيس بوب كورن الذى اخترعوه مؤخراً فى أمريكا والذى امتلأ بأكثر مما يتسع له. وهكذا تخنق الحركة التى كثر التدرب عليها فى المهد، لأن على «كونّى» Conny التى تمثل البنت «ماریاندل» Mariandl الجميلة اللطيفة أن تؤدى فى هذا الآن امتحاناً فى الكونسرڤاتوار. والإنسان يعرق معها عَرَق وقت الفراغ الذى هو ألطف من عرق الشغل لأنه ينتج طواعية

(*) السيدة العزيزة والسيد العزيز من لغة التعامل مع القطط والكلاب فى المنازل.(المترجم).

بإرادة حـرة. وهذه هـى «كـونّـى»Conny تتعلم لتشـتغل بالموسيقى الكلاسيكية الجادة، ولكنها تفضل أن تغنى الأغانى الخفيفة المليئة بالحيوية فى حانة ليلية حيث يكتشف وجودها هناك السيد عميد الكونسرفاتوار، وما يلبث أن يضحك رغمًا عنه من كل قلبه من سقطة أحسن تلميذاته التى تتزوج بعد قليل شاباً ثرياً حتى وإن كانت الآن تتمنع. أحيـاناً تطلق «كـونّـى» فى هذا الفيلم زفرات عالية لا تتناسب مع طبيعتها التى تتسم بالبشاشة وخفة الظل كما ينبغى للشباب (فالجد يأتى فى الحياة مبكراً بما فيه الكفاية)، بل إن لوعة الحب أمرها شاق بالنسبة إليها، والمُشاهد لا يصدقها. «بيـبى چونس» Bibi Johns «بيـتـر ألكسندر» Peter Alexanderيغنيان دويتو فى حب وچاز وخيال، إنهما يريدان بيتاً على البحر الأزرق تحيط به الزهور من كل جانب. و«إرنستى Ernesti يأتى دائماً متأخراً إلى البيت، وهو يريد سيارة «فـولكس فـاجن»، وخيرٌ له أن يتزوج. وأخيراً تأتى بنات «ڤاخاو Wachau الأربع تحت القبعات كما يقولون ، أى يتـزوجن، ولكن القبعات ليست قبعات وطنية من منطقة «ڤاخاو» لأنهن سيتزوجن رجالاً من المدينة، المأمول ألا يكونوا ممن يفكرون تفكيراً مادياً أكثر مما ينبغى، وهو ما يفعله أهل المدينة فى أحيان كثيرة، وكان الأفضل لهن أن يتزوجن رجالاً من القرية، فالريفى يعرف ما هى القيمة، ومن أين يجلبها، إنه يجلبها بالتحديد: من الطبيعة.

أم «هانس» كاتبة العناوين بالآلة الكاتبة على المظاريف [1] تقطع خلطة الأفكار [2] التى استرسل فيها ابنها، والتى تشبه أكلة البوتبورى، تقطعها رغبة منها فى تصحيح منجزاته الفكرية. لا تفلح فى ذلك لأنه لم يعد يستجيب إلا إلى «الروك آند- رول» الذى يشرحه له صديقه «راينر»مراراً وتكراراً. ويضع «راينر» أمامه كأس «كمبارى» بالصودا ويشرح طريقة تأثير الموسيقى الحديثة، بينما يفضل «هانس» أن يدع طريقة التأثير تؤثر وهو ما يمنعه «راينر» بلَغْو حديثه. ولقد كذب «راينر» من قبل إذ قال إنه يعرف مؤلفاً موسيقياً معرفة شخصية، وليس هذا من الصدق فى

(١) تستثمر يلينك قابلية اللغة الألمانية المتفردة المتميزة لسبك كلمات مركبة استثماراً موسعاً ، فعندها على سبيل المثال «أم هانس» كلمة واحدة ، و «كاتبة العناوين بالآلة الكاتبة على المظاريف كلمة واحدة، والأمثلة على ذلك كثيرة، وهى تتوسل بهذه الوسيلة وغيرها إلى التشديد على الخصوصية المتفردة لكل بيئة ثقافية والرغبة فى الاقتصاد فى جلب مؤثرات لا مبرر لها من الخارج، أو الخضوع لها، وقد تكون هذه المجلوبات سخافات. وقد تستخدم على سبيل التهكم كلمات أجنبية فرضت نفسها على الناس من قبيل «بوب كورن» (المترجم).

(٢) استعرضت يلينك فى هذا الفصل الأفلام السينمائية التى ظهرت على الساحة النمساوية الألمانية وأدوار الممثلين، وركزت اهتمامها على موضوعات معينة بين الفن وحياة الناس، وتأثير السخافات والتوجهات الضحلة والساذجة فى إفساد المضامين الثقافية وخلط الأوراق ، وخاصة لأن المشاهدين يتقمصون شخصيات الممثلين أو يتوحدون معهم. ويحتاج الفهم المتوازن لهذا الفصل إلى خلفية كافية فى مجال الأفلام السينمائية والأغانى والرقصات وتغيرها فى المجتمع النمساوى بعد الحرب العالمية الثانية، وما جرى من تأثير وتأثر. (المترجم).

شىء، فهو لا يعرف مطلقاً أى مؤلف موسيقى، بل (يفشر) فقط. وكثير ما يعرض «راينر» هذا قوائم طويلة من أية موضوعات لا تهم أى خنزيرة. وهذه هى الأم تقدم هى الأخرى قائمة لكى تتيح لابنها نظرة بعيدة، دون جدوى. اليوم، ككل يوم، درس فى التاريخ، التهمه «هانس»، تفتح الأم كتاباً وتقرأ دون حسِّية. فى يوم الجمعة الموافق ٦-١٠-١٩٥٠ خفِّضت قيمة الشلن من ١٤ إلى ٢١، ٦٠ مقابل الدولار، مما أثبت كما ادّعوا أن اتفاقية الأجور والأسعار فى العام نفسه بتغطيتها الوهمية الكاملة لزيادة الأسعار كانت نصباً واحتيالاً على الشعب. (هه، وإذا ما كان الأمر كذلك. إذا ما دار الشلن دورته فى حانة هافيلكا Hawelka وبار بيكاســـو .Picasso وتذكر ماما أن الكثيرين من القياديين الاشتراكيين الديمقراطيين بالنقابة خرجوا من حزبهم القديم الذى أحبوه، لأنهم لم يعودوا يتحملون مسايرة حزب الشعب الرجعى ضد العمال المناضلين، لم يعودوا يتحملون هذه المسايرة نفسياً. عندما يشتم سكرتير النقابة الاشتراكى إنساناً اشتراكياً ويصمه بأنه خنزير، فعلى الإنسان حتماً أن يخرج من هذا الحزب. هكذا، وإلى آخره، تسأم الأم وتعمل كأنما كانت تتلقى على هذا العمل أجراً، وهذا هو الواقع. ولكنها بحاجة إليه. ولكم ودت أن تعمل شيئاً أكثر إمتاعاً، ولكن ذلك لم يعد ممكناً وقد بلغت من العمر هذا المبلغ. فالقوة العاملة الشابة تملك المستقبل، والحاضر من قبله. وكذلك فى الماضى كان

ينبغى على الشباب أن يتقدموا إلى العمل الشاق. ولن يتجاهلهم أحد أبداً، هم دائماً فى المقدمة. وعندما يصبح القديم غير محتمل، فعلى الإنسان أن يبدأ شيئاً جديداً. و«هانس» يعتبر حياته القديمة غير محتملة، ويريد أن يبدأ حياة جديدة. «هانس» يرى أن الإنسان عندما يعجز عن احتمال زواج أصبح غير محتمل، فعليه أن يخرج منه، هذا ما رآه «هانس» فى فيلم أمريكى كانت به مشكلات. وهو عادة يفضل أن يشاهد أفلاماً ألمانية، لا لأنها تنمى الحس الوطنى، ولكن لأنها غير مثقلة بالمشكلات. فى أى فيلم لـ «چيمس دين» James Dean حركة سريعة جداً وكثيراً ما لا يستطيع الإنسان ملاحقتها، ما يكاد الإنسان يفهم مشكلة حتى تبرز مشكلة تالية. الأفضل أن يكون هناك انفصال قصير نظيف قد يؤلم ألماً شديداً، على أن يكون هناك رعب بلا نهاية. «هانس» يفكر فى «أنّا» وعلاقته الحميمة بها وفى أن القديم لابد من أن يفصل عن الجديد، وغالباً ما ينتظر شيئًا أفضل، وإلا لكان فى استطاعة الإنسان أن يبقى قرير العين مع القديم، الذى يدعه وشأنه من أجل الجديد الأفضل. والمهم هو اللحظة الملائمة الصحيحة، متى وأين يحدد الإنسان موضع القَطْع. ولابد للإنسان من أن يتبع قلبه الذى يقول بصفة عامة ما يريده الإنسان نفسه. قلب «هانس» يقول بصوت عال «زوفى» وينط نطة، وبعد أكثر من أربعة أمتار يعتدل فى حفرة الرمل من جديد، برافو! «هانس» عنده مشكلات خاصة، وأمه عندها

مشكلات عامة ولكنها غير ذات أهمية لأنها لا تأتى بفائدة تراها العين، وتحتاج إلى وقت فقط. والعمل يكلف هو الآخر للأسف وقتاً، بالتحديد الوقت الذى يتم فيه تنفيذه، ولكن الإنسان يعود منه بنقود إلى البيت؛ فى مقابل هذه النقود يشعر الإنسان عندئذ بقيمة، إذا ما كوّن إحساساً تجاهها. «هانس» يبدأ فى الوعى بمشاعره نحو «زوفى»، وهو ما يتطلب فى الفيلم السينمائى فى أحيان كثيرة وقتاً طويلاً، ثم ينطلق فجأة وعلى غير انتظار بسرعة شديدة منشئاً قوة اقتحام.

«زوفى»، أو «ڤيرا تشيخوڤا» Vera Tschechowa أو «كارين» بال Karin Baal فيهن صلافة وتميز وهن يرتكبن على أسفلت مبتل جرائم دون الصغيرة وجرائم دون الكبيرة من أجل رجل، وهذا هو طريق السوء. عندما يقول «هانس»، كفاكن، اسلكن طريقاً آخر، لا طريق السوء، يذهبن معه فى اليوم التالى على الفور ويبدأن شيئاً آخر يفعلنه بحياتهن غير الخروج على القانون. ولقد بلغ بهن هذا المبلغ لأنه يحبهن. وثمة راع يقدم العون، ولكن «هانس» لن يحتاج إليه أقل احتياج فى هذه الحالة، لأن لدية قوة إرادة تكفى العديدين. أحياناً يتلقى بعضهم رصاصة قاتلة ويخر صريعاً على البازلت. لا يجوز أن تصل الأمور إلى حد تجريد سلاح نارى من غمده، بل ينبغى السعى من قبل إلى التراجع. الجريمة لا تنتمى بالضرورة إلى السعادة وإلى صعود سلم الوظائف، بل إن الجريمة

تستبعدهما كل الاستبعاد. صعود سلم الوظائف يتطلب أن يكون الإنسان جديراً بالثقة، ولقد خطا «هانس» هذه الخطوة الأولى، لأن «زوفى» تثق فيه. والخطوة الثانية ستتبع قريباً. أحياناً يتفاخر «راينر» بمسدس، يدّعى أنه ملك أبيه، وأن له أن يأخذه كلما أراد، وهذا (جخٌ وفشر)، معروف عن «راينر». ولكن أباه يدعه أحياناً يقود السيارة بدون رخصة قيادة، وهو هنا يقول الصدق، ولقد رأى «هانس» ذلك بعينى رأسه. ومن الممكن أن ينتهى ذلك إلى نهاية سيئة، ألا وهى موت «راينر» أو إصابته أو معاقبته. «كارين بال» Karin Baal التى تندفع اندفاع الطريدة تصطدم بالفانوس الأمامى المبهر لسيارة. و«هانس» الذى يندفع اندفاع الطريد يلاحق «زوفى» ويطرحها أرضاً، ويوضح لها أن التمسك بالشرف أطول بقاءً. معطف المطر الذى تلبسه «ڤيرا تشيخوفا» Vera Tschechowa أنيق، من نسيج لميع. من الممكن أن يلبسه رجل أيضاً.

الأم ترجو «هانس» أن يأتيها بالشوربة من فوق الفرن حيث سخنتها. وهى قد رفعت قدمها لتريحها فهى تؤلمها. وهى تنفض الورق من حولها: يوم الثلاثاء الموافق ٢٦-٩-١٩٥٠ قامت ٢٠٠ شركة تقريباً بالإضراب عن العمل، ٨٠٠٠ متظاهر يندفعون إلى ميدان «بالهاوسبلاتس» Ballhausplatz الذى أغلقه البوليس ويقومون بمظاهرة أمام مكتب المستشار الاتحادى.

يوم الأربعـــاء الموافق ١٧-٩-١٩٥٠: فى فـيــينا ولينتس Linz وشـتـاير Steyr ومناطق صناعية أخرى وخاصة «ڤينر نويشتات Wr. Neustadt و«زانكت پولتن St. Pölten حـدثت أعمـال احـتجـاج ومـسيرات قـوية. الإضراب بلغ ذروته.

«هانس» يحضر الشوربة، يبصق فيها كمية من اللعاب دون أن تلاحظه ، ويقلِّب ويعطى الأم كل شىء كأنه لم يبصق فيه قط.

يوم السبت الموافق ٣٠-٩-١٩٥٠ فى صالة التجميع بمصنع القـاطرات الفلوريدسدورفى انعقد اجـتـمـاع مـؤتمر مـجـالس إدارات عـمـوم النمـسـا، وبلغ عـدد المشاركين ٢٤١٧ مشتركاً على الأقل ٩٠٪ منهم أعضاء مجالس إدارات. وتقدم المؤتمر بالمطلبين التاليين: (١) الرجوع عن رفع الأسعار (٢) عدم تخـفـيض قـيـمـة الشلن. وطالبت الحكومةُ عندئذ بالدفاع عن الحرية التى تتعرض للخطر نتيجة التصرف المتهور للعمال، ولا ينبغى أن يُرهب البلطجية والشيوعيون الحكومة. ولابد كـذلك من تحطيم مـتـاريس الشـوارع غـيـر المشروعة وطرد المندسين الأدعياء من المصانع ، لأن المفروض فى هذا الإضراب كما يشيعون أن يحطم ما يقوم عليه مستقبل العامل ألا وهو: الرخاء العام الذى يحصل على الجزء الأكبر منه كما هو معلوم هؤلاء العمـال، على الرغم من أنهم أصـلاً لا يستحـقـونه. وتستطرد الأم فى تلاوة مزيد من النص.

ولكن «هانس» ينهض ويخرج. وفى أثناء سيره يوقع على الأرض بحركة كأنها غير متعمدة من فوق منضدة مطبخ هذا البيت العمالى المثقف رصةً عالية من الجرائد والكتب. وينصرف بسرعة قبل أن يرفع القمامة التى تسبب فيها.

على الرغم من أن «راينر» لم يحصل على رخصة قيادة بعد فإن أباه يدعه بين الحين والحين يستخدم السيارة الخاصة التى لا يستطيعون أن يتحملوا أعباءها على الإطلاق. الأب ليس لديه أساس مادى، بل قواعد فقط، وقد أدين من قبل بسبب إعلان إفلاس مزيف. لا يستطيع أن يتكيف إلا بصعوبة مع سقوطه المستمر الذى لا سبيل إلى إيقافه ويمنّى نفسه بالأمل عندما يرى أصغر رجيع خلفته ذبابة. ولكنه يستطيع أن يتكيف مع قيام ابنه القاصر بقيادة سيارة بدون رخصة قيادة. المهم هو السيارة، وهذا هو رأى «راينر» أيضاً. ليس له أن يقود السيارة إلا إذا كان أبوه فيها ليوصله إلى حيث يريد، ولا يقودها من أجل نفسه إلا نادرًا. الرجل المشوه يأتى بحركات عسيرة ليدخل السيارة ويخرج منها، عملية معقدة ومجهدة تقطع النفَس. اليوم يوم من هذا النوع حيث إنه اتخذ فجأة قراراً بأن يذهب بالسيارة إلى تسفيتلZwettl فى حى الغابة. من أجل المنطقة. لا يكاد يتخذ القرار حتى يعذب زوجته «جريتل» فى حجرة النوم التى يكون

الزوج والزوجة فيها على صلة حميمة، مستخدماً سوط خيالة وهو واحد من أشيائه التذكارية العديدة التى ترجع إلى الماضى ومن بينها حربة أيضاً. لم يسمع الابن والابنة من الأم إلا آهة خافتة تكفى على أية حال ليعلما أنها تعرضت لضرب من مبرح متهمة بالخروج مراراً على واجبات الزوجية تتخذ بصفة خاصة شكل الخيانة. أنت يا عاهرة، أنت يا عاهرة، أنت تعاشرين رجلاً آخر فى الفراش عندما أدير ظهرى خارجاً من مسكنى. وهذا الرجل هو التاجر القاطن تحتنا، ذلك الذى راقبته. ولكننى لن أستمر فى السكوت على ما أراه. لا يا «أُوتّى»، أنا لا أكون فى الفراش مع رجل غيرك، وفى هذا ما يكفينى. أنتِ لا تعيشين إلا من أجل اللحظات التى تكونين فيها مع ذلك العنين! لا، أنا لا أعيش من أجل تلك اللحظات، بل أعيش من أجل أولادى وتعليمهم. أترين أنك تعترفين. أعترفُ بماذا يا «أُوتّى» على أى الأحوال سأضربك الآن، حتى تعلمى ولا تعودى إلى الفعلة أبداً؛ وإذا لم تكونى قد فعلتِ، فأضربك حتى لا يخطر ببالك أن تفعلى. ولكنى لم أفعل قط، أرجوك لا تضربنى يا «أُوتّى» آه! وكانت تلك هى الآهة التى سمعها التوءمان عندما أرهفا السمع.

«راينر» يقول: «أنّى» لابد أن نفعل شيئاً فى أمر الخنزيز العجوز. لكن «أنّا» تقول لا، ما الذى يمكننا أن نفعله، دع العجائز، ولنهتم نحن بأنفسنا. ولكنه سيقتلها. فليفعل، فيقِل العدد فرداً، والثانى يتبع على

الفور إلى السجن حيث يقضى نحبه يقيناً فى العزلة. ونتحرر نحن فى النهاية. ولكن لديه المسدس. ثم ماذا. أنه أشد جبناً من أن يفعل شيئاً.

وهكذا تسرع الأم إلى المطبخ دون أن تحظى بحماية ابنها وابنتها، وقد ازرق جلدها من الكدمات ونخر فيه السوس، لكى تعد إفطار الأحد المتميز بالسخاء. «أنّى» تريد أن تتمرن كثيراً على عزف البيانو وأن تخرج للنزهة مع «هانس»أما «راينر» فعليه أن يوصل الأب إلى «تسفيتل» التى تجذبه ويريد أن ينشط هناك رد فعله بدنياً. سيحاول أن يخون زوجته وهو ما لن ينجح فيه ، ولكن من الممكن على كل حال أن يلبس قميصاً نظيفاً. بابا دائماً أنيق كأنه خرج لتوه من العلبة. سيجرب نساءً أصغر سناً بكثير من ماما التى تصغره بسنوات كثيرة، ومن أجل بلوغ مأربه اصطنع لهجة ألمانية أنيقة من شأنها أن تجذب الاهتمام. هيا، هيا، دعنا نذهب، دعنا نذهب وإلا فلن نخرج فى يومنا هذا، وهناك ما يدفعنى دفعاً إلى الذهاب إلى حى الغابة. أنت الذى تقود السيارة، لأنك ابنى، وليس عندى غيرك إلا بنت. ولك علاوة على ذلك أن تلعب فى المساء شطرنج مع بابا وهو ما لا يسمح به لـ «أنّا» لأنها تنقصها منظومة تفكير منطقية. علىّ للأسف أن أترك الكتب الفلسفية لكانط وهيجل وسارتر عندما يذهب بابا إلى حى الغابة، وهذا أمر لا يقدر على معاونتى فى تغيير ذلك معين مهما عظم قدره. عندما أعود وأرى أنكِ فى

الفراش مع التاجر المذكور، فسيتبع ذلك قتل. وأنا اليوم لا أبلغك بذلك صارخاً كالمعتاد يا «جريتل» لأنكِ كثيراً ما ضربتِ صفحاً عنه من قبل دون اعتبار، اليوم أبلغك بطريقة باردة ولكنها لاذعةً أننى سأقتلك بمسدسى الـ «شتاير كيبلاوف» (*) ولى الحق كل الحق. ولكن لا يا «أوتّى»، بحق المسيح لا ، لا تفعل، أنا لا أعرف التاجر السعيد فى زواجه معرفة أكثر من أننى أشترى من محله، حيث أكون دائماً على عجل ولا أتكلم كلمة خصوصية واحدة. ليس الموضوع تبادل كلمات، بل تبديل ملابس داخلية وقد اكتشفت ذلك. أنا لا أغير ملابسى إلا بدافع النظافة عندما أخرج من البيت، ولتكون رائحتى كذلك نظيفة يا «أوتّى» أنا ليس لى غيرك والولد والبنت اللذين أهيئ لهما تعليماً جيداً لأننى من عائلة مدرسين مرموقة.

تذهب «أنّا» متقززة إلى البيانو لكى تجد النسيان فى ملكوت الأنغام، وتجده أيضاً، لأن على الإنسان أن يركز انتباهه موسيقياً. الأب يقول إنها أنغام بشعة. ولكنها حبيبة أمها التى تحس إحساساً نسائياً مثلها أيضاً، والتى تربت عليها فتستشيط غضباً.

ويركب الأب والابن فى السيارة الخاصة المرخصة لأربعة أفراد (هما اليوم اثنان فقط) أحدهما هنا والآخر هناك، أحدهما يتملكه الملل والآخر مشحون يبذل الجهد الجهيد، وتنطلق بهما السيارة على

(*) Steyr-Kipplauf-Pistole

الطريق الشمالى خارج المدينة ويدخلان داخل الطبيعة حيث محل معروف يقصده هواة الرحلات، ويمكن فيه التعرف على نساء كن فى البداية منفردات وكثيراً لا يخرجن منفردات. وما تلبث الأرض أن تعلو فى رقة على شكل رُبَى تكسوها غابات ومروج، وثمة بحيرات تخرق لها فى الأرض موقعاً، وتلك خاصية تميز هذه المنطقة التى تتاخم على البعد تشيكوسلوفاكيا والتى يشم فيها الإنسان بدايات هواء الشيوعية المجاورة الجافل. الهواء يزداد جفولاً لأننا زاد تغلغلنا شمالاً. لم يبلغ الربيع هنا مبلغه بعد. هنا رائحة إبر التنوب مثل الإسبراى الذى يمكن شراؤه، البيوت تقل وتتناثر، الاقتصاد يعانى الشظف، كحال منطقة الكوارث الاقتصادية. ثمة طيور ترفع عقائرها بأصوات التحذير، لا ينبغى أن يرتكب الإنسان حادثة، وهناك غزلان تبزغ فى الأفق ثم تختفى من فورها متقززة، لأن السيارات تنشر غازات ملوثة من شكماناتها وهذه مسألة واعدة بأن تصبح مشكلة عندما تتزايد السيارات زيادة كبيرة. إلى الآن لم يصبح كل فرد صاحب سيارة. الأب يقول مبتهجاً، خسارة أن يضطر الإنسان للقبول بوجود السيارات حيث إن الطبيعة نقية جداً. كأنه لم يهدد منذ قليل بالقتل.

هو الآن إنسان لا حيلة له فى قبضة ابنه الذى يقود السيارة. أنت طبعاً ابنى حبيبى، و«جريتل» لم تخلف لى ولداً ثانياً. هؤلاء الرجال يلتقطون دائماً أيضاً صوراً مبتذلة، سأريك قريباً هذه الصور، التى هى أوسخ صور خنازيرية تراها عين. لو لم يلتقط

رجال أغراب هذه الصور القميئة الخنازيرية لقلت إنها لم تأت تماماً مجردة من الفن، ولكن القصد الشهوانى لدى هؤلاء الأغراب يبدد هذا التأثير. أف من الشيطان.

الابن يلوك بفكيه ويصمت، لا معنى للدفاع عن الأم لأن بابا سيهاجمها على نحو أشد عنفاً. سيهدأ بعد قليل. سلاميات أصابع «راينر» تبرز بيضاء على عجلة القيادة وكأنها تريد أن تخرج بعنف من الجلد. لا عون يُرتجى إلا بالتفكير فى «زوفى» التى لن يستطيع أن يراها اليوم بسبب بابا وولعه بالجَوَلان. آمل ألا ترى شاباً آخر. كانا، هو و«زوفى» ، يريدان أن يتكلما طويلاً عن «ألبير كامى» Albert Camus وكتاب «العبث والولع»، والآن لا يستطيعان الكلام قط لأن حى الغابة يجذب ويعند ويقول ويسأل: من أين أتيت من المدينة الكبيرة؟ إذاً فأنت هنا فى المكان الصحيح، هنا الريف.

الأب يغتاظ من صمت الابن ويقول له كلاماً كالسم فيتهمه بارتكاب سفاح، هل تراك مثلاً أيضاً أقمت علاقة بأمك، عندما كنت فى الغربة أقوم بالأعمال الشاقة من أجلكم؟

قرى متناثرة تبرز على جانب الطريق ثم تهوى على التو من ورائهم مرة أخرى، لأن (الناظر إليها) لـم يخترها ليتناول فيها الطعام، بل لأنه يختار قرية أخرى. ليست تسفيتل Zwettl أفضل كثيراً فى ناحية الجودة، وإن كانت أكبر وتقع على بحيرة تخزين. وأخيراً تظهر تسفيتل Zwettl وتحدث انطباعاً طيباً

طالما جربه الناس، بل إنها تقدم ديراً يسمى «مبرة تسفيتل» Stift Zwettl لن يزوره لأنه لا يمكن أن يفرض على مشوه بعاهة شديدة من الحرب أن يتحملها. فى يوم الأحد تسكن الحياة المدنية وتتهيأ الدَّعة. الأب والابن يأكلان شريحة لحم شنيتسرل Schnitzerl [1] طيبة مع سلطة الخيار ويحتسون بيرة. تحوطهم حانة ريفية أصيلة الطابع. الأب يغمز لغانية سوداء الشعر ممشوقة القد لا يجاوز سنها منتصف العشرينيات تجلس وحيدة جميلة إلى المنضدة المجاورة، ويقدم إليها قطعة من تورتة زاخار [2] بكثير من الكريم شانتيه وكأساً من النبيذ. ثم بعد ذلك قهوة. وأطلقت الفتاة ضحكة عالية. هه، يا أيتها البنت الجميلة، ماذا عنا نحن الاثنين (أحسن من الوحدة!) حتى لو كنت صاحب عاهة فأنا رجل بمعنى الكلمة وإن لم أكن أقف إلا على ساق واحدة. اضحك، اضحك، قهقه. تأتى إلى منضدة بابا الذى يدفع علاوة على ما سبق ثمن كأسين خمر ليكور، قبلة غرام مشروب أيارليكور Eierlikr [3]

---

(١) Schnitzerl شريحة من اللحم من البتلو أو غيره معدة بطريقة نمساوية مميزة. (المترجم).

(٢) Sachertorte تورتة معدة بطريقة نمساوية مميزة على أساس من الزبد الكثير والدقيق القليل والكاكاو والسكر والبيض ومكسوة بالشوكولاتة. وقد نسبت إلى مبتكرها زاخار Sacher (المترجم).

(٣) مشروب كحولى قوى مصنوع من البراندى والسكر والبيض. (المترجم).

تـوت الفـرامـبـواز [١] (هيمبير) والكريم شانتيه. غالية وطعـمـهـا فظيع. كل هذا المبلغ دفـعـه بابا من أجلهـا. الابن مـضـطـر لأن يـتـقـيـأ تواً. الأب يحطم للمـرأة السمينة التسـريحـة العالية الملبدة ويدخل هذا العش، هل لى أن أتجاسر، هُوهُو. لك هذا يا معلم. هِى هِى. البنت تحـملق مـتـفـحـصـة فى الابن الذى يـبـدو مـثل السـيـد العـالم ، الابن يحـملق مـتـفـحـصـاً جـامـداً فى الستارة البلاستيك ذات النقوش الكبيرة على النافذة. الرجل المصاب بعاهة يحملق متفحصاً فى ذلك الذى ظل ينتظره هو وحـده طوال السنين تحت الجـونـيـلا الـديرنـدلـروك . Dirndlrock [٢] يده تـتـزحـزح إلى ذرى مظلمـة، بينمـا ابنه هائم فى ذرى أرق وأكثـر نورًا حيث يصـوغ قصـيـدة : تتـأرجـحـون هنا ؟فى القـاع هلاهيل شـاحـبـة. أنـا العـون العظيم الذى ينـادى ذاته صـارخـاً. أنا أقيم فى كل صور ما بعد الغد.

الأب يدس يده فى فتحة الفستان عند الرقبة بعد قليل لن يُسـمـح لهم بـالبـقـاء هنـا وسـيُطـردون كلهم جـمـيـعـاً. ولكن صـاحب الحـانـة مـثله مـثل الأب من المشـاركـين فى الحـرب ومن قـدامـى الخـارجـين على

---

(١) توت برى مـحـبـوب اسـمـه بالألمانيـة هيـمـبـيـر Himbeer وبالفرنسيـة فـرامبـواز، واسـمـه فى قـامـوس بيـديـفيـان «توت العُلّيق» لونه أحمر فاتح وطعمه مزز مميز. (المترجم).

(٢) فستان غنى بالألوان يمثل الزى الشـعبى فى النمسـا وجنوب ألمانيـا، وهو يتكون من جونيلا كـثـيـرة الثنيات والكشكشـة وبلوزة أو صديرية ضيقة ومريلة صغيرة هى نصف مريلة. (المترجم).

الشرعية، يطفو فجأة على السطح مبتهجاً ويقدم مشاريب على حساب صاحب المحل. عندما يتلقى الأب شيئاً مجانياً لا يقول أبداً: لا. الأب مبسوط بعض الشىء، ويقول نكتة قبيحة جداً، إذ يسأل البنت هل لها أن تسير على الخط (*)، وهى على أية حال فى منتهى العبط. ضحكة صاخبة وقهقهة. ربما يستطيع السيد أن يعلمنى. صحيح أنه ليس هناك من يستطيع أن يعلم حضرتِك شيئاً آخر، وإن كان هناك من يستطيع أن يعلم حضرتِك شيئاً، فهو أنا. هاخ هاخ هاخ هاخ. إهى إهى إهى إهى.

وفى النهاية تتفرق الصحبة البهيجة بعد أن سأل سائل هل مارس الولد الجنس أم لم يمارسه قط، وهل مسموح له، ويرد الأب فخوراً بالإيجاب ويقول إنه بنفسه علمه البدايات. ولكن «راينر» لم يفعل قط، وهو ما لا تعرفه إلا أخته لأن كلامه يشهد على العكس. إذ يتضمن كلامه أنه فعل ذلك كثيراً مع بنات مختلفات عديدات اضطر «راينر» إلى أن يهجرهن للأسف متعجلاً. مثل هذه الأشياء يمكن أن يُستشف منها تكيف اجتماعى ضئيل. إنه يكذب كالمطبوع [كما يقول التعبير الألمانى] وهو يقرأ كثيراً من المطبوع.

من المطبوع تأتى الأكاذيب. الأفضل أن يكون الابن صبياً متدرجاً يتعلم صنعة، على أن يكون ابناً كذاباً فى مدرسة ثانوية.

(*) تعبير ألمانى معناه المشى البطال والبغاء (المترجم).

باى باى حركة وداع من يد مضطربة لبنت اسمها «فْريدا» Frieda تعمل فى مصنع سكر. ما ينتهى نهاية سيئة، كله كلّه سيئ. أوشكت أن أغلبها بسهولة، وما كنت أحتاج إلا إلى إصبع وشىء آخر ووضع يده فى بنطلون يوم الأحد الذى كوى مجدداً والذى لن يبقى مكوياً. وحرك أصابعه النشيطة التى لم تعد تتحرك منسجمة مع اليد، كانت آخر مرة فى الحرب، وكان الهدف هو القتل. والهدف الآن هو العكس فى سراويله وبه الآن حاجة إلى أن يتحدث عن النساء ومعاشرتهن اسمعنى جيداً يا ابنى هنا مربط الفرس.

«راينر» يبلع ما ارتد لحلقه من قىء لم يعد طعمه طيباً كما كان عندما كان شريحة لحم شنيتسرل Schnitzerl سليمة ولم تهضم بعد. وهو يفكر: هذا الرجل يفعل كل هذا مع أمى. وهى مضطرة لأن تقبله على أنه من واجبات الزوجية. وأنا على الرغم من ذلك أريد أن أفعله مع «زوفى» وإن كان المسار سيختلف كل الاختلاف.

ويشدد الأب إيقاعه ويصبح صوته حشرجة. بتتابع يوشك أن يكون منتظماً تخترق تجشوءات البيرة السيارة القديمة الصدئة، بل وما كان «راينر» يخشاه على نحو خاص وهو الضراط. ويحول «راينر» اتجاه السيارة من خلال طرق جانبية تجاه البحيرة الصناعية وبهذا يقترب من الطبيعة على نحو يهددها، فتفتح هوة شافطة لتجذبه إلى داخلها. الخضرة

تصبح فاقعة وخطيرة، كل هذه الخضرة. كأنها مغارة هائلة من السبانخ. رسغ الأب يعمل بطموح، الزرار الأعلى انفتح عند صاحب الحانة، والآن تتبع أزرار أخرى. لابد أن يكون هناك خُلوص للحركة. الأب يقترب بسرعة الريح من النهاية والابن من البحيرة الصناعية التى تقبع مهجورة فى دفء ظهيرة واهن. ما زالت أبرد من أن تصلح للاستحمام الذى لن يبدأ إلا فى الصيف. الأب ينظر إلى ابنه كما ينظر رجلٌ مفعم بالفهم إلى رجل آخر. والابن لا يرُدُّ النظرة بل ينظر أمامه. ضوءٌ ينعكس على سطح متجاعد. الماء يدهش ويهمس، هل تريد أن تدخل فى هذه البرودة؟ زوجان من البط البرى يطيران فجأة ويرتفعان ويضربان بأجنحتهما وينثران ماءً. فَلْيَنْج بحياته من يستطع، لا مجال للمجازفة إذا انتحر أحد الحمقى. الأشجار تئز كأنها رجل.

هيا نرمى بأنفسنا معاً نحو الهدف، شيء مفزع، هذا ما يفكر فيه «راينر» ويدوس بنزينًا، فى الحال يزعق الموتور الضعيف نسبياً، القوى بما فيه الكفاية. هل جننت يا ابنى؟ سطح الماء يلوّح ويندفع نحوك مبتهجاً لكى يطوقك بذراعيه، أخيراً يحدث تغيير فى هذا الفصل السخيف من السنة. العمق هنا شديد جداً لأن المياه تختزن فى هذا الخزان الصناعى. الطبيعة لا تتتج دائماً مثل هذه الأخطار وحدها. حصباء الشاطئ تصرخ من أثر التعذيب. الناحية ذات الطابع الربيعى تعاند وتلوِّح باللافتة المكتوب عليها

قف. قف! لا تستمر فالخطر محدق. ملايين من الكائنات الضئيلة تدوسها عجلات المركبات، وتنخرس تحذيراتها الخفيضة. فى مكان ما ينبح كلب عزبى، لا يملك حرية، ولكنه لا يعرفها لأنه كان دائماً مربوطاً فى سلسلة. وهو لا يتوق إلى المجهول. وفلاحة تحملق وفى مريلتها علف الدجاج. الكلأ يبدأ فى التشبع بالعصارة لأنه يحس بقدوم الصيف القادم. حافة الماء تندفع نحوهما لتحييهما، هه شيء عجيب، ويحدث هذا اليوم، حيث اعتقد الناس أن شيئاً لن يحدث بعد ذلك، الحيوانات الطيارة تتسرب بطيران منخفض ولكن لا أحد يسمعها لأن صوت موتور السيارة مرتفع ارتفاعاً باهظاً.

فى اللحظة الأخيرة يُصرف النظر عن قتل الأب المقترن بالانتحار لأن الضالع بهما أجبن من أن يضع لحياته نهاية مبكرة، فلا يزال أمامه الكثير كل الكثرة، وذلك دائماً خطأ ولكن هناك من يصدقه، وهذا هو الشيء الحاسم. «راينر» يقعد مرتعداً شاحباً كالجبن على الشاطئ، يتلقى ربتة ، ويقول لم أكن أريد إلا أن أفزعك لا أكثر من ذلك، وكنت أعلم بدقة متى يجب عليّ أن أفرمل، وأنا يا بابا سائق سيارة متمرس. هل أصابك فزع؟ وماذا كان يحدث لو لم تعمل الفرامل، هه؟ وهذه صفعة على خدك اليمنى، وربتة على خدك اليسرى. أوشك الأب أن يبول على نفسه فى بنطلونه، ولكنه لحسن الحظ استطاع التحكم فى نفسه ولكنه مضطر إلى التبول بسرعة ملحة والسبب هو البيرة.

على «راينر» الذى لا يزال خائر القوة نتيجة نواياه القاتلة أن يجر أباه المبلول من البيرة إلى حافة الغابة حيث يريد أن يتبول. والأب بدافع العقاب والانتقام يصمم على أن يسنده الولد طوال الوقت وعلى أن يعجب به وهو يتبول وهكذا تم التجاوز عما حدث.

يجرى التحويد ببطء، باحتراس (الأزمة تم التغلب عليها بالنسبة إلى اليوم) والعودة إلى المدينة. حى الغابة يحتج، كان يود أن ينال نصيباً أوفر منهما، بل كاد أن يطلب أن يتاح له أن يستبقيهما لنفسه كليةً. ولكن هكذا استبقى بابا «راينر» واستبقى «راينر» بابا.

«يورجـــر» باد Jörgerbad [حـرفـيـاً = حمّام «يورجـر]
نقـيض شـديد. هـو من ناحيـة نقـيض لـ «حـى الغـابة»
الذى كان «راينـر» فيه منذ فترة ليست بالطويلة والذى
لم يكسب الإنسـان فـيـه المعـركـة ضـد الطبـيـعـة بعـد
«فـهناك غـابة خضـراء خضـرة غـامـقـة وغـابة قـوية،
وجـرانـيت رمـادى صلـد يطبعـان الناحيـة بطابعـهـمـا،
وهنـاك جـمـال أجـرد لا رحـمـة فيـه يعلو الوهـاد العميقـة
والهـضـاب الفـسـيـحـة. ولقـد خـصّبت هذه الأرض
السـاكنة الداكنة الكثيـرين ممن نجـحوا فى التغلغل فى
هذا الجـمـال العنيـد العنيف»: مـسكن والـدى «راينـر»
مـختلف كل الاختـلاف، وهو من نـاحيـة ثانيـة مـسكن
يقـف منـه الـ «يـورجـــر بـاد» Jörgerbad (*) مـــــوقـف

(١٢٩) هناك أمـاكن مـخـتلفـة فى النمـسـا وألمانيـا تدخل فى أسـمـائهـا كلمـة "باد" أى حـمـام، مما يشـيـر إلى وجود نبع مـائى له سمـات خاصة جـاذبة، وتقـوم من حوله أنشطة منوعة ليس آخـرها السياحة العـلاجية أو الترفيهية. وهناك حمامات سباحة بنيت فى المدن أو حولها وكسيت بالقيشانى، واستخدم فيها الزجاج الشفاف وغيـر الشفـاف، وزودت بتجهيـزات متطورة، ويتولى إدارتها والعمل فيها متخصصون. ويغلب عليها الطابع الأرستقراطى. (المترجم).

النقـيض. ليس فى هـذا المسكن مـا هو طليق مـفـتـوح كحى الغابة، فهذه جدرانه تعلو متنامية ببطء على نحو رهيب مطبق الرهبـة حتى تنغلق فـلا يرى أحـد سـمـاء زرقـاء ولا بحيـرات غـامقـة مليئـة بالأسـرار تتـخـذ لهـا مواقع فى أى مكان. هذه الرهبة تكمن فيما لا يحصى ولا يعد من كراتين مسـاحيق الغسـيل وحقـائب قديمـة وصناديق وعلب تتكوم حـتى السـقف وتمتص فظاعـة سكن برجـوازى صـغـيـر عـمـره سنوات طوال (ضـيق شـديد الضآلة بالنسبـة إلى أربعة أفـراد) وتستمـد منه هذه الفظاعـة وتصبـهـا صبـاً بـكرم فـياض على البنت والولد المراهقيْن. ما يكاد أحدهم يرفع أى غطاء حتى تتبـعث النتـانة وتؤدى وظيـفـتـهـا ألا وهو نشـر النتـانة. ليست هناك أشـيـاء تُلقى، لا بد أن تبـقى كل الأشـيـاء وأن تشـهـد على قـذارته وقـذارة سـاكنيـه. مـلابس مُصَنْفَرَّة ، مواعين مكسرة، لعب أطفـال، أجهـزة رياضة بدنيـة، تذكـارات من بقـاع بعـيـدة داخل البلد، أوراق، أشـيـاء موروثة، أجـهـزة مـختلفـة لأنشطة مـختلفـة ومن بينها الحياة المُصَنْفَرَّة المحطمـة لأربعة أشـخاص ، اثنان من الكبار، واثنان من المراهقين. «راينر» يريد أن يطلع إلى النور، لا يهمه فى أى مكان، فى أرض حـرة طليقـة أو فى مسكن أكثر ضوءاً، لا يزدحم مـا أمكن ذلك بأية أشياء باستثناء أنابيب الصلب والزجاج؛ لكى يصل إلى هذا النور عليه أن يغادر هذا البـيت، لأنه ليس فيه نور الإنسان لا يستطيع حتى أن يتنفس شهيقاً وزفيراً، لأن الهواء أيضاً هنا قليل. والإنسان الصغير السن يحتاج

على نحو خاص إلى الهواء لكى تصل بنيته البدنية إلى هيئتها النهائية. ولكن من الممكن أن يجعل الإنسان لنفسه نوراً عندما لا يكون هناك نور. ومن أجل هذا كثيراً ما يحكى «راينر» فى المدرسة حكاية مضمونها أن أباه يركب سيارة فارهة ماركة «ياجوار إى Jaguar E» وأنه كثيراً ما يطير إلى الخارج، وكل هذا كذب. وأبوه بدوره ادّعى أمام شهود أن مغنى الأغانى الخفيفة المعروف «فريدى كوين» Freddy Quinn ابنه غير الشرعى وأنه ظل وقتاً يدفع نفقته، وهذا أيضاً غير صحيح. ومهما كرر «راينر» الحكاية مراراً فإنها على الرغم من ذلك لم تصبح بعد حقيقة.

ماذا هناك على قاع هذا البلاط القيشانى الأبيض الذى لا نهاية له والذى ينساب النور عليه كخطوط متلألئة؟ ليست هناك الحقيقة النهائية العامة الصالحة للكافة والتى يبحث عنها المراهق فى وقت فراغه، عندما لا يكون لديه شىء أفضل يعمله، الذى هناك على القاع البارد : ماء. وهذا الماء يحدث كما هى خاصية الماء انطباعاً شاملاً أزرق نفاذاً، لا تواريه إلا بين الفينة والفينة موجاتٌ كثيرة مفرطة الكثرة، وهذا هو ما يجرى على الحقيقة أحياناً، كل شىء ينشر نعومة، لا يحس الإنسان هنا أية خشونة. كذلك «زوفى» تنشر مثل هذه النعومة التى تختلط بين الناس، وهذه النعومة فى إحدى نهايتى الحمام عميقة، وفى النهاية الأخرى ضحلة شديدة الضحالة مخصصة لمن لا يعرفون العوم، وصخّات صفارة معلم

السباحة تدوى عابرة من فوقه، ولوح القفز يهتز متأوهاً. صرخات مكتومة تتعالى ولا يعلم أحد علم اليقين من أين تأتى ولا إلى أين تذهب، فليس من الممكن تحديد موقعها فى هذا البناء الأجوف المترامى الجنبات حيث يرجِّع الصوت صداه. ومن فوقه تتكور على ارتفاع دون الشاهق قبة زجاجية. هناك فى هذه الأعالى يريد «راينر» أن يكون وأن ينظر إلى شباب دونه وهم يرشون بعضهم بعضاً بالماء، ولكن أين هو فى الواقع ؟ إنه تحت على اعتبار أنه سباح ردىء، وهو فى الواقع كذلك.

ولكن لابد من التمويه على أنه ليس إلا سباحاً رديئاً وأنه يشعر بخوف من العمق الكبير ولهذا يزيد من البقاء فى الضحالة. ولا يناسب هذا شخصاً ينقب دائماً فى العمق. وهو هنا لا ينزل إلى العمق بما فيه الكفاية. هذا العنصر غريب عليه، أكثر غرابة من كثير من العناصر. «أنّا» و«راينر» يقومان بحركات كثيرة تُحتم على من يراها أن يستنتج أنهما يجيدان السباحة، ولكنهما لا يجيدان السباحة. إنهما يرميان نفسيهما بكثير من البلبطة والرش إلى الجزء الضحل من حمام السباحة الذى لا يزيد ارتفاع الماء فيه على متر والذى يستطيع الإنسان فيه أن يقف على القاع وأن يُحدث انطباعاً بأنه يعوم فى وسط الخطر. هناك على البعد اللون الأخضر، لون الغموض المطلق الملىء بالأسرار فى ماء عمقه أربعة أمتار رأسية، شىءٌ يوحى إليهما ببشاعة لا يمكن أن تكون أكبر لو كانت

لهما القدرة على النظر مباشرة إلى داخل نفسيهما. هنا ينعم المرء بالنظافة التى تقويها رائحة الكلور العنيفة وهى تقول: أنا أقتل فى داخلى كل الجراثيم والميكروبات تماماً. إلا بعض الحيوانات المنوية أو البول أتركها للفلتر. كذلك لا أستطيع أن أتغلغل تحت سطح الجلد لكى أقتل الكُرْه والقرف اللذين يشعر بهما الشباب. الماء يترجرج فى الإطار البورسلينى المخطط له جيئةً وذهاباً ، لا يستطيع فقط أن يخرج من غلافه. كثيرون يضحكون يقهقهون يكركرون يصيحون يزعقون ويلعبون رياضة. البعض يرتمى فى خضم حركات تهويلية مضحكة، على شخص برىء، آخرون يقبون ويغطسون كالدلفين بأناقة وإتقان. إلى هؤلاء لا ينتمى «أنّا» و«راينر» بالنسبة إليهما شىء فظيع أن يكون عليهما أن يؤديا شيئاً لا يستطيعان أداءه أفضل من كل شخص آخر. ولهذا فهما يفعلان كأنهما يعومان. ولكنهما يضطران فى حالات كثيرة مفرطة الكثرة أن يفسحا مكاناً، تحت، عندما يتسلل بعضهم لينفذ من تحتهما متلوياً كالثعبان، وفوق، عندما يوشك أحدهم أن يقفز فوق رأسيهما. أفسحوا مكاناً للمجتهد، هذا ما يقوله مثل سائر، وما يقوله السباحون الجسورون وما يفعلونه من سباحة جسورة، فيتخلف التوءمان على الطريق، لأن مجالهما هو عالَم الكِتاب الذى لا يطلبه أحد هنا، والذى ليس له مقعد [فى مجلس] ولا صوت [يصوت]، إنما هذا قاصر على الرياضى أى المتمرس على الرياضة الخفيفة فى

تخصص السباحة. هذا ظلم، لأن هذه القيم ليست فى الحقيقة إلا من الدرجة الأخيرة. ما له هنا أيضا قيمة هو قامة هذا الشخص أو ذاك. فوق وتحت. فى حالة النساء فوق أكثر من تحت، فى حالة الرجال تحت أكثر من فوق. وفى الحالتين اكتمال التكوين طبقاً للعمر، أى أن أغلبهم ما زالوا غير مكتملى التكوين. المقصود هو العلامات الجنسية الابتدائية والثانوية عند «راينر» و«أنّا»، وهى هنا أوضح مما تكون عند ارتداء الملابس اليومية. وهى هنا وهناك أقرب ما تكون إلى الضمور.

كما يحدث عندما يهب إعصار رهيب يحتمى التوءمان بعضهما بالبعض ويستعينان بشخص يختال بعضلاته المفتولة، ولا يعرف من هو «سارتر» ومن هو «كامى» ولا أين يقيمان (فرنسا).

فى النهاية الأخرى العميقة تسبح «زوفى» كراول، وهو الشىء الذى أثار امتعاض «راينر» الشديد، وهى تلبس مايوه بيكينى أبيض لا غبار عليه، يخفى الكثير، ولكنه للأسف لا يزال يبين دائماً بعض جوانب البيئة، وهو الأمر الذى لا يعنى إلا «راينر» لها أسلوب سباحة جميل، طاقية حمام تحمى شعرها، وهى تتمرن لنفسها دونما طموح، وإذا كان الإنسان متمكناً من الأداء بهذه الجودة، فلا حاجة به إلى طموح. هى هنا بصفة خاصة خالصة. والواضح أنها نسيت وجود «راينر» كليةً، على الرغم من أن وجوده كان المفروض

أن يكون تهديداً دائمـا لهـا، ولكنه فى الوقت نفسـه كذلك استفزاز، لا لكى تؤدى فى الرياضة خير ما تستطيع، ولكن فى الحياة الخاصة لكى تشتغل بعلاقتهما بغية تحسينها. يطلع جسمها منتفضاً مثل القوس، ويعود إلى البلل الأخضر البارد الذى يسمونه العنصر المبتل. عندما يشد الإنسان نفسه، يقولون إنه يشد نفسه كالقوس، ولكن «زوفى» تشد جسمها على النحو الذى لا تستطيعه إلا «زوفى» فقط، ولا يقدر عليه من يشد نفسه بمعنى الشوق لمعرفة النهاية. دبوس أمان براق مفتوح يبرز من جلد بلاستيك كأنه يخز. ولكنه يبرز دون أن يخلف أثر وخز. «زوفى» تخلف فقط آثاراً فى قلب «راينز» وعقل «أنّا»، لأنها منعدمة الوزن ، حصانها وحده هو الذى يعرف وزنها الحقيقى لأنه كثيراً ما يحمله. كذلك لم يسمع أحد الحصان «تيرتشى» يتأوه تحت أثر وزنها.

القبة تَجيش بطنين من أثر تصايح تلاميذ فصل مدرسى، أتوا جماعةً لدرس السياحة. «راينر» و«أنّا» يحملقان سراً ليتعلما شيئاً ثم ليستطيعا تجربته بعد ذلك وبالتحديد عندما تنظر «زوفى» إلى هذه الناحية. ولكنهما أشد جبناً من الإقدام على التجربة فهما لا يحبان النزول برأسيهما تحت الماء حيث يكون الإنسان عديم الحيلة ولا يستطيع التنفس وينهزم أمام الأكثر دربة. الأفضل أن يراقبا من عل ، من فوق لتحت. وهذا فتى يحترف استتاجاً من شُكل بنيته السمكرة أو الخراطة يغوص متخللاً ساقى «أنّا» التى تزعق

وتختفى تماماً وهى تضرب الماء حيثما اتفق. ويمد أخوها بحرص يده باحثاً عنها تحت الماء لينقذها. «زوفى» تندفع كسمكة الفوريلا (١) مقتربةً بغية المساعدة، ولكن «أنّا» كانت قد نجت. «راينر» يرتعد خشية أن تلاحظ «زوفى» أنه لا يحسن السباحة، ولكن «زوفى» لم تكن بها حاجة قط إلى أن تلاحظ أصلاً شيئاً من هذا القبيل، وهى لا تجد لذة فى شىء إلا الشعور بأن الإنسان يقدم إلى شخص البدنَ عندما يعمل على المستوى الخاص باعتباره بدناً ولا شىء غير ذلك (٢) ثم تدس نفسها تحت الدُّش لأنها على عجل. ومن ورائها «أنّا» و«راينر» ببشرتهما البيضاء بياضاً سيئاً كبياض الجبن. «زوفى» تتنطط كالزمبرك تحت ماء الدش الساقط كالتيار، و«راينر» يتخذ مكاناً بجانبها لكى يتحدث عن حبه لها. يقول بين أشياء

(١) تستخدم يلينك أفعالاً مبتكرة مشتقة من شحم وفوريلا الخ من قبيل ما يحدث عندنا من اشتقاق فعل يتسطح بمعنى يطلع فوق سطح القطار تهرباً من دفع التذكرة، ومن قبيل إذا اسمكتم فابلحوا، ويفنجل عينه، ويبلط فى الخط، ويعسّل. إلخ . هنا : تفورل أى تندفع كالفوريلا (المترجم).

(٢) تفرق يلينك فى أكثر من موضع تفريقاً تمييزياً بين البدن والعقل، فمن الناس من تتحدد شخصياتهم على أساس البدن وإمكاناته ، ومنهم من تتحدد شخصياتهم على أساس العقل وإمكاناته، ومن البديهى أن التفريق الفاصل بين البدن والعقل، وعلى الأحرى بين مقومات الكيان الإنسانى المتعددة والمتنوعة والتى تدخل فى اختصاصات علمية وفلسفية وعملية عديدة، تؤدى إلى نتائج مائلة إلى جانب على حساب الجانب الآخر، وإلى صور من الراديكالية والتطرف. (المترجم).

أخرى أن مفهوم السعادة المجرد يساوى مفهوم المحبة المجرد ويشدد هنا على ذلك تشديداً تاماً كاملاً مرة أخرى لأنه أكد ذلك من قبل مراراً. الحب سعادة والسعادة بلا حب لا يمكن تصورها عقلاً. الشعور الصحيح بالسعادة لا يتغلغل مرتعداً (كما يدّعى) فى قلبك المقلوب رأساً على عقب، إلا عندما تَعين، عندما تدركين أن إنساناً أصبح ملكاً لك، وأنه يحبك بكل نياط قلبه، وأنه ينحاز لك مخلصاً مهما حدث، عندئذ، نعم عندئذ يمكنك أن تقولى أنا سعيدة. لو ادَّعيت هذا عندما تنالين درجة جيدة على عمل مدرسى، لكان ذلك مضحكاً. تقول «زوفى» تعليقا على هذه النغمة القلبية أنا لا أفهم أية نغمة وتدع ماء الدش ينهمر عليها فى كل مكان ليغسل رائحة الكلور، كذلك فوق مركز السمع. وهى تتلوى تحت الماء وتنبرم مع تيار الماء، مثل مثقاب بريمة يلبس بيكينى أبيض. لا يمكن أن يكون سعيداً إلا ذلك الذى يحِب ويحَب لِذاته، ولا هذه السعادة لا يحققها الشعور بالتواجد الحميم معاً الذى يقل فى ذلك عن التواجد الشخصى معاً، وكما شرُف «راينر» بأن شرح لك ذات مرة من قبل ، لا تعطى العلاقة الحميمة فى مجموعها - على ما يبدو - من الشعور بالسعادة إلا أقل مما تعطيه قبلة عادية، بل فى أحيان كثيرة أقل مما تعطيه كلمة بسيطة من أولئك الذين تحبينهم. «راينر ڤيتكوفسكى» يُبعد عن نفسه التفكير فى علاقة حميمة، ولكنه كان يتمنى قبلة عادية، إلا أنه لا يجرؤ على أن يلتمسها.

التفكير فى علاقة حميمة لم يخطر ببال «زوفى» قط. ووجهها تحت ماء الدش بعيد كل البعد وكأن الذى يبعده طريق أوتوستراد يزدحم بمرور يوم أحد كثيف. لا يريد «راينر» إلا هذه القبلة المتناهية الصغر، وحتى هذه لا ينالها. «راينر» كان عنده حتى وقت قريب صور بنات خليعة مقصوصة من مجلات، ولكنه استبعد منها بالمقص الصدور والأبدان. وترك الباقى، أى الوجه، سمح له بأن يتأرجح فى مكان التشريف على باب الدولاب كلما فتحه.

بقعة ضوء هائلة تترجرج فوق الحائط القيشانى، أحدثها شخص عبيط مجتث المخ لعب بمرآة شنطة. الطرقات الضيقة، السلالم الصغيرة، الممرات، تهتز وترتج تحت أقدام السباحين. الدنيا منوَّرة بنور مجرد من الرحمة. «أنّا» تقعد على الأرض وتغطى وجهها بيديها، لأنها لا صدر لها. لقد فقدت القدرة على الكلام، وهى منذ وقت طويل بين الفينة والفينة وعلى نحو غير منتظم تفقد القدرة على الكلام. عندما بلغت الرابعة عشرة من عمرها فقدت ذات مرة فجأة القدرة على الكلام. ولما كانت تلميذة جيدة فقد منحوها تصريحاً استثنائياً بأن تجيب عن أسئلة الامتحانات [الشفهية] تحريرياً. وفى الوقت الحاضر حالتها تحسنت من جديد، ولكن الوضع اليوم صعب مرة أخرى، فهى لا تستطيع أن تقول شيئاً على الإطلاق حتى عندما تريد ذلك. وفى مقابل ذلك يتكلم «راينر» وكأنه اثنان ويقول إنه يريد «زوفى» ذات مرة

فى المستقبل، المستقبل البعيد، عندما يكونان كلاهما قد بلغا أخيراً نضجاً كافياً لذلك. الآن لم يحن الحين بعد، لأن الإنسان يحتاج إلى صبر. ولكن فى المستقبل. ما تشرعين فى وضع نفسك خارج طبيعة البشر وربما فى محاولة اغتصاب السعادة والحب فيما يسمى الزواج الحر، حتى تتمنع السعادة بكل تأكيد، يا «زوفى» وتخرج «زوفى» من تحت ماء الدش المنهمر، وترش ماءً حواليها وكأنها ولدت ونمت فى هذا العنصر المبتل، وهذا شعور يشعر به الإنسان فيها أياً كانت، على الأرض أو فى الهواء وهى لا تواجه المشكلة بل تربت ربتة قصيرة على كتف «راينر» وتذهب لتلبس ملابس الخروج. «راينر» يتبعها إلى كل مكان، من هنا إلى هناك، ومن هناك إلى هنا، وهو ما يثير استياءها، وكأنه لا يستطيع وحده من تلقاء نفسه أن يمشى إلى حيث يريد. وتخبطه مرة أخرى، كأنه قطعة من أثاث أو كلب صغير بمعنى اذهب عن طريقى لأن هذا الطريق طريقى الخاص، احتكرتُه، ابحث لك عن طريق يخصك!

«راينر» يقول مثلما جاء فى «فاوست (*)» - إن العمل لا يستطيع أن يجعلك سعيداً، أقصى ما يستطيعه هو أن يحقق لك رضا. العمل أداة المحب يستخدمها لصرف الانتباه ولتصفية قوى التوتر المختزنة جزئياً. للشرح: لا أعتقد أننى أخطئ عندما

(*) مسرحية جوته المشهورة (المترجم).

أقول إنك أحببتِ وإنك تحبين أو على الأقل سوف تستطيعين أن تتعايشى فى الحياة العاطفية لحبيب. عندما تكونين قد فعلت هذا، فستعرفين وتتبينين وتشعرين وتُحِسّين أن العمل يمكن أن يحررك ، فى أثناء لحظة التركيز، من الضغط الثقيل الذى يحيط بقلبك الشاب. عندما تكونين قرب المحبوب يغشاك إحساس بأعمق راحة، ما يلبث أن يفسح مكاناً لقلق شديد يجعل يديك بيضاء شاحبة تشرع بسهولة فى الارتعاش. هذا هو بالضبط ما يجرى علىّ. «راينر» يتشبث بالدرابزين الذى قام هناك لكى يحميه من أن يقع لأنه ليس سباحاً متمرساً. عاد كاحلاه فابيضا وشحبا مرة أخرى من جديد (*) كما قال منذ قليل فأصاب. هكذا تعيشين فى حالتين متراكبتين، فى مرحلتين تتبدلان دائماً وهما كلاهما سعادة. الماء يتخذ الحالة المتراكبة سائلة، و«راينر» يتخذ الحالة المتراكبة النصف جامدة.

الأخت تقعد القرفصاء معكرة المزاج عند قدميه ولا تقول شيئاً ولا تسأل عن شىء، إنها تقرر فقط فى قلب سكون الموتى بداخلها ألا تذهب مرة أخرى قريباً للسباحة، لأن عنصرها ليس الماء، بل هو موجات الأنغام الموسيقية التى ستتدفق عما قريب مقتربة، ثم تتدفق من جديد عما قريب مبتعدة، ولكنها لا تكف

(*) لاحظ تكرار «مرة أخرى من جديد» وقد نبهنا من قبل إلى تكرار العديد من الألفاظ والتراكيب على هيئة لزمات. (المترجم).

أبداً عن التدفق. وهى تفتح فمها ولكن لا شىء ينطلق منه، لا كلمة ولا نغمة موسيقية. صمت.

الماء لا يتلقفها، بل يلفظها. صفارة مراقب الحمام تنطلق حادة، لأن أحدهم قفز قفزة وقحة إلى داخل مجموعة واقفة، فأوقعها، ولكنها لم تزد عن أن ضحكت. منزلق زلق بشكل لا يمكن تصوره يزحف من تحت قعور أقدام التوءمين المبتلة ويتلوى كالعِرْسة والثعبان إلى الخارج. لا شىء يمكن أن تتثبت به قعور الأقدام هذه. والفن الذى يتيح لهما فى غير ذلك ثباتاً وسنداً لا بد أن أحداً أبعدها من هنا بخبث ونقلها إلى مكان غير معلوم.

«أنّا» تفتح من جديد فمها، ولكن لا شىء، مرة أخرى لا شىء. امتنع الكلام. إذا رجعتُ إلى كتابة الإجابات عن [الأسئلة الشفهية] تحريرياً مرة أخرى، فسأقتل نفسى.

«راينر» يرى أن السعادة والمحبة وهما متطابقان عبارة عن أحاسيس ـ أو بالأحرى إحساس من هذا النوع ظاهرة لا سبيل إلى وصفها. كل وصف لهذه الظاهرة من المحتوم أن يكون غير كاف ولا يمكنه أبداً أن يحل محل الإحساس الحقيقى، يا عزيزتى «زوفى» «أنّا» كانت تود أن تجيب عن مسألة الحب، ولكنها لم تستطع، على الرغم من أن الإجابة خطرت ببالها.

ها هى ذى تجرجر قدميها مع أخيها تجاه الدواليب. «زوفى» تخرج من كابينة من الكبائن

ممشوقة القوام، هندامها كامل وتصفيف شعرها كامل، وما ألطف بوكلات شعرها التى لا تزال مبتلة تلتصق بفوديها، حتى أن «راينر» وَدَّ أن يمسح عليها برقة، ولكن هذه الحركة الصغيرة ربما وسختها على الأرجح. كم تبدو «زوفى» حبوبة. ولكنها تنصرف بعد قليل، وتقول إلى الغد إذًا، أنا اليزم على عجل. غداً لدينا كثيرٌ نناقشه، لقد فكرت كثيراً فى الهجمات. هذه الكلمات تُعَتِّم الانطباع العام الوضاح الذى تركه حمام «يورجرباد» اليوم: حيث كان النور الساطع من قبل سائداً، تخيم الآن ظلمة مقبضة لأن «زوفى» ذهبت، ربما إلى الأبد، ولكن الأرجح إلى ضحى الغد فى المدرسة.

حـجـرتـا «راينر» و«أنّـا» يفـصلهـمـا الواحــدة عن الأخرى ساتر رقيق من شغل البيت، يدع كل شىء ينفذ من خلاله من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا، فلا حـيـاة خـاصــة للإنســان مـراهقـاً. لا يسـتطيع أحـد المراهقيْن أن ينمى نفسه دون أن يلاحظ الآخـر وينمى نفسه من جانبه. اليوم على سبيل المثال تستقبل «أنّا» هانس الـذى تشـتـهـيـه جـسـمـانيًا وسـرعـان مـا يضع «راينر» أذنه على السـاتر الفـاصل لكى يتـعلم شـيـئـاً ينفـعـه مع «زوفى» ولكن لا ينبـغى أن يلاحظ أحـد أن عليه أن يتعلم شيئاً. فالأمر فى مرحلة المراهقة دائماً هكذا، المراهقون يعتقدون أنه ليس هناك من يستطيع أن يعلمهم شـيـئـاً آخر. من البديهى أن «زوفى» شىء مختلف عن أخته، المفترض أن تصبح «زوفى» محبوبته التى تأخذ فى مـرحلة عمـرية مـا المكان الذى تخليه أخـتـه. عسى أن يحـدث هذا فى الوقت الصـحـيح، وينفصل الشاب عن بيت الوالدين دون أضرار.

على الفـور أريدك الآن («أنّـا») أريد فـيـمـا بعـد كذلك أن أسمع الإسطوانة الجديدة (هانس) لاجدوى

من الاندفاع بلا تشغيل للمخ ما لا أستطيع فى أحيان كثيرة أن أقوله بفمى لأن الغيظ يعدمنى الكلام تماماً أقوله بقلبى وبدنى كله («أنّا» عصابية). شفاه تصمت، كمنجات تهمس:أحببنى وهانس يقول هامسًا مانفعله ممتاز.

مشتت الذهن يحدق «راينر» فى نفسه مستخدما مرآة الحائط المبقعة فى الجانب الخاص به؛ وهو يفعل ما فعله كثيراً ألا وهو أن يتمرن على ألا يلعب وجهه لعبة التعبيرات أى ألا يبدى أى تعبير. إنه يتمرن على جمود حركة الوجه جموداً صلباً حتى لا يستطيع أحد أن يتبين تغيراً نفسيا فى الخارج على الواجهة وربما أن يتكيف معه. كثيراً ما تقول خالته عنه إنه غير راض عن شىء، ولا حتى عن والديه اللذين يضحيان بنفسيهما، وعدم رضائه عنهما منحط إلى أسفل درك، على الرغم من أنهما شديدا الرقة معه وأنهما يظهران ذلك أمام الأغراب. إنه يريد أن يسمع أحدث إسطوانات الجاز، وهو لا يقنع ولا يتواضع. هل تعتقدون أنه قد يلبس أحذية عادية؟ لا، ما كان ليفعل ذلك، إنه لا يريد أن يلبس إلا أحذية مدببة على آخر موضة تعقر القدم وتتلفه. ولا يريد أن يلبس بنطلون التثبيت (*) القديم، لا يريد إلا بطلونات بلوچينس. ونظراً لأن مصروف الجيب لابد من توفيره (وقد

(*) احتفال فى الكنيسة الكاثوليكية بتثبيت انتماء من يبلغون الرشد إلى الكنيسة. ويلبس الصبية عادة فى هذه المناسبة ملابس سوداء احتفالية قد ينفرون من لبسها فى الحياة العادية. (المترجم).

يحتفظ به الوالدان أيضاً مباشرة) فهو يضطر إلى تسول ثمن البلوچينس من الجدة أو من الخالة المذكورة والقيام فى مقابل ذلك بمشاوير صغيرة لقضاء ما يحتاجون إليه ، وهو ما يحط من قدر الإنسان شخصياً ويلقى به مباشرة بين ذراعى القيام بهجمات البلطجة؛ لأن الإنسان لا يستطيع غير ذلك. كذلك «راينر» لا يستطيع الآن غير ذلك، يتحتم عليه، نعم يتحتم عليه أن يتصت إلى «أنّا» وهى تقول آه وإلى «هانس» وهو يقول آه هل لا تزال هذه أختى التى أعرفها حق المعرفة، كما يعرف الإنسان جيب صداريه كما يقولون ، تنطق بهذه النبرات؟ سؤال يوجهه الأخ إلى نفسه ولا يعبر بوجهه أى تعبير أمام مرآته، يا مرايتى يا صغيرة ، يا مرايتى يا صغيرة ، يا اللى انتى على الحيطة (*).

يجلس على التو إلى منضدة الكتابة ويكتب تلقائياً (فشرة) على ورقة سيوزعها فى اليوم التالى فى الفصل على التلاميذ. سيقول إن والديه ذهبا مؤخراً بالطائرة إلى منطقه البحر الكاريبى حيث اسمرت بشرتهما اسمراراً شديداً وقابلا رفاق رحلة ممتعين. وهناك ظلا يسبحان فى البحر بلا انقطاع وظلا يتنزهان على الشاطئ الأبيض المطل على البحر الأزرق، وكثيراً ما ركبا الأمواج. واستخدما الطائرة فى

(*) كلمات مقتبسة من حكاية "شنيفتشن" Schneewittchen أو «سنو وايت» أو "البيضاء بياض الجليد" من مجموعة الأخوين جريم المشهورة. (المترجم).

السفر ذهاباً وإياباً. أقول لكم هذا كتابةً لأن تلك هى طريقتى الخصيصة فى التعبير ، وهناك دافع يدفعنى إلى أن أبلغكم بذلك حتى وإن كان الواجب يفرض أن يظل سراً. «راينر» ليس له للأسف أصدقاء، بل زملاء فقط. وعلى الرغم من ذلك سُمح للزملاء بأن يعرفوا خبر البحر الكاريبى.

فى المكان المجاور تصرخ «أنّا»، صوتها نبرتُه مقززة، صحيح أنه يشترك معها عقلياً فى الرأى ولكن جسمانيًا الإنسان لا يستطيع أن يصطحب زميلاً من المدرسة إلى بيته، لأن البيت يبدو فى شكل مثير للتقزز وهو بالفعل كذلك. الإنسان يخجل من بيته الذى ألفه. الآن يكتب «راينر» كذبة أخرى فى صورة قصيدة حب إلى «زوفى» وهى عملية حساسة. العنوان هو حب، وعلى نفس النحو المضطرب تسير القصيدة لأنه محبوس فى نفسه. هو إذًا حب. وجهك يحوم أمامى نهاراً وليلاً. يا أعز الناس...هكذا بدأ الخطاب معترفاً لك بالحب ... محمراً خجلاً ..سمعتِ تأكيد حبى. قبلات ... قبلتُ شفتيك الحمراوين، شموع تأججت أمامنا، ونحن ننظر فى اللهب الأبيض والأكواب المصقولة. أين يجد الإنسان هنا زجاجاً مصقولاً غير زجاج النظارات، ليس هنا إلا فوارغ من قبيل المخلفات. أما عن «راينر» فتعبيرات وجهه ما زالت تلزم نهج الانضباط.

فى المكان المجاور الذى هو أصلاً غرفة ضيقة للأدوات والمتروكات والكراكيب يتهته «هانس» بكلام

فـــارغ، «هـانس» الذى هو غبىٌّ كـامل الغـباء ومـا هو بشىء آخـر غيـر ذلك. ولابد أن الأخت تضـيق بغبـائه المفـرط، ولهـذا فـهى تلوذ بالصـمت. الأخت التى تقـرأ «باتاى» Bataille فى نصه الأصلى [الفرنسى] .يبدو أن «باتاى» هـذا سـقط من ذاكـرتهـا فى اللحظة الحـاليـة تماماً. حائط خُص «راينر»، ذلك الخُص الذى يسمونه حـجـرة الشـبـاب، يتكون مـثل كل حـيطان هذه الشـقـة الفقـيرة من أكوام مكومة من الكراكيب لأنهم لا يرمون أبداً أى شىء، كراكيب فى كراكيب، قد تكون لها قيمة، أو قـد تكتسب قـيـمـة ذات يوم، من يـعلم بعـد كم من السنين. فى مـجـال إبصـاره المبـاشـر ثلاجـة كـهـربيـة قـديمـة نزع إنسان بلا قلب بابها. فيها تفاح وحصالة على شكل الخنـزير وسـاعـة قـديمـة بعـقـرب واحـد ونظارات عـديدة (خـارج نطاق الخـدمـة) وقـصـرية زرع ومساحيق غسيل منوعة، وملاعق وشوك وسكاكين فى علبـة بلاسـتـيك ومـاكينة حـلاقـة على المبلول ومـواد نظافـة وتجـمـيل مـتـبـاينة فى كـيس ملون، وطفـاية سـجـاير، وكيس فلوس بدون فلوس، وطائفة من الكتب المبهدلة وبضع خرائط للجوّالة وصحن صينى غويط فـيـه أدوات خـيـاطـة. فى رأس «راينر» خـريـر البـحـر، قدمان مُسَمَرّتان داكنتـان مثبتتـان فى سـاقين رشـيقتين تدخـلان، إنهـمـا قـدمـا «زوفـى»، والقـدمـان الأخـريان المُسَمَرّتان أيضاً اللتان تتفذان الآن إلى مجال الإبصار همـا قـدمـا «راينر» تتـجـهـان من ناحـيتـهـمـا إلـى البلل المالـح. أمـام البـحـر النـاس كلهم سـواسـيـة، فـقـراء

وأغنياء، والسباحة عملية بديهية لأن العنصر المبتل فى حلم اليقظة ممكن بالنسبة إلى«راينر» تماماً مثل العنصر الجاف الذى يقيم فيه عادة.

«أنّا» و«هانس» ينشدان آهة بصوتين على طبقتين، والرأى عند «راينر» أن تلك لا تعتبر ملاحظة ذكية ذكاءً خاصاً على الوضع. من المؤكد أن «هانس» ينظر الآن فى وجهها ويتبين أنه قد ارتاح كل الراحة. فى حقيبة قديمة من الورق المقوى حربة قديمة أيضاً من الحرب العالمية الأولى. تذكار غال ، سلاحه طوله ٢٥ سم، وهذا الطول يكفى، فلا يجوز أبداً أن يزيد على ذلك. وكم يحب «راينر» أن تصوره «أنّا» على سبيل الفكاهة مع هذه الحربة، وسيمسكها عند التقاط الصورة كالسيف فى غمرة المبارزة، ولكن تأثيرها سيكون بكل تأكيد سخيفاً، لأن شكله يعطى دائماً انطباعاً بالجهل عندما لا يتكلم عن مشكلات فلسفية. الآن تستريح الحربة مسالمةً فى الجراب المخصص لها، فى الحقيبة، وتستريح مع الحربة فيها لعبة مهشمة وجهاز عرض الشرائح المصورة مفترض أنه للشرائح المصورة الملتقطة فى أثناء الإجازات، وكمٌّ من الأقلام الفلوماستر. «راينر» انفصل باطنياً كل الانفصال عن هذه الأسرة، وهو سينفصل عنها ظاهرياً على شكل هجمات البلطجة على الأبرياء.

على سبيل التغيير تأتى الآهة الآن من المكان المجاور على هيئة تنويع على التيمة نفسها، ليس فيه جديد. «راينر» يستمر فى التدرب على وجه جامد

على الرغم من الكرْه ، وعلى يدٍ بلا تقلصـــات على الرغم من العدوانية المفرطة إلى أبعد مدى وعلى فم بلا توتر على الرغم من الرغبة والغيظ.

«أنّا» يعلو صـوتهـا .... «راينر» فى ظلمـة حـالكة مطبقة كما اعتاد أن يعيش فى ظروفه العادية.

«راينر» يتصف بصفة يشترك فيها مع مراهقين من جـيله لا يحـصـيـهم العـد، وهى أنه صـبـى فى منتصف النمو لا يصل أبداً إلى ما يريد، ويريد دائماً أكـثـر مما يمكنه الوصـول إليـه، وربما يسـتطيع نيل مراده إذا لم يعد فى منتصف النمو، بل اكتمل نموه. وضعه لا مستقبل له. وهو يرى ذلك على هذا النحو. ولقـد برهن ذات مـرة على ثقـته فى مـدرس الرياضـة البـدنيـة بأن أعطاه فى العـام الماضى قـصـيـدة أو قصـيدتين من إنشـائه ليقـرأها، وكانت تلك محـاولة خـجـولة منه لرفع الكلفـة لكى يناديه بأنت بدلاً من حضـرتك، وهى مـحـاولة تجـرى أحـيـاناً بين إنسـان وإنسان، ولكن مـدرس الرياضة البدنية ضحك بصوت عال من هذه القصيدة الصغيرة التى اعترف صاحبها بلكلكتها وسـخـر منه فى حجـرة المدرسين حيث كان مـدرسـون آخـرون قـد تهكمـوا على الصـبى المبـدع مستهزئين بسطور متفرقة من القصيدة سلخوها من السياق.

فى المكان المجـاور تشكو «أنّا» وتنتحب كـأن شيـئاً يوجعها، وكان السبب فى ذلك إحساساً بالمتعةلا يمكن احتماله ولهذا كثيراً ما شابهت نبرته نبرة الألم. وعلى

سبيل المشاركة أخذ «هانس» يشكو وينتحب معها. وكأنما كان هناك ذئبان يعويان على نحو لا يشرِّف الإنسان أصلاً.

«راينر» يحملق جامداً بلا حراك فى المرآة ، وعلى نفس النحو الجامد بلا حراك يحملق «راينر» مرة أخرى من المرآة إلى خارجها، ولكن على نحو معكوس. «راينر» يقف على الجانب الصحيح، ألا وهو جانبه هو ذاته. هو لا يمثّل أحداً ولا أحد يريد منه أن يمثله، ولا حتى فصله الذى انتُخب متحدثاً آخر باسمه على الرغم من أن «راينر فيتكوفسكى» بذل جهداً جهيداً بغية الفوز بالانتخاب. وقال تلاميذ الفصل إنه مدّع فشار يريد أن يظهر أكثر مما هو وإنه دائماً يقول أشياء غير صادقة. وليس هذا من الزمالة فى شىء حيال الآخرين لأن على الإنسان أن يكون صادقاً حتى وإن آلمه ذلك أو تعرض للضرب بسببه. مثل هذا الضرب يجب أن يتحمله الإنسان باعتزاز لأنه لم يقل كذباً لينجو بنفسه منه.

«راينر» يقول: ما كنت لألعب بالنار، تمنعنى من ذلك تخوفات كثيرة كثرة مفرطة. الكثير يجرى فى نطاق الأفكار ويزيد الإنسان ثراءً، وبعض الأشياء يتحتم على الرغم من ذلك أن تُعمل بالفعل.

فى صندوق مسدس الأب، وهو صندوق ارتفاعه ٧-٨ سم وطوله ٣٠ سم وعرضه ١٥ سم ومصنوع من الحديد، هناك المسدس. وتحته صور فاضحة لأم «راينر»، ومنها ما هو صور مقربة لأعضائها التناسلية ومفتاح الصندوق يحمله الأب دائماً معه، لصيقاً

ببدنه. فى موضوع إنشاء مدرسى عن مسرحية «حذاء من الساتان» تأليف «بول كلودل» (*) يعبر «راينر» عن مفهوم أساسى هو: الندم لا يقى من العقاب والحرية لا يمكن نيلها إلا من خلال العقاب.

«أنّا» و«هانس» يخرجان لتوهما فى غير ترتيب إلى حد ما من حجرة «أنّا» ويدعيان أن كل شىء كان جميلاً. ويرد «راينر» قائلاً: سمعت فقد كان الصوت عالياً. وتلتصق الأخت ببدنها كله بأخيها، كأنها تريد علاقة سفاح ولكنها لم تكن بعد لقائها مع هانس تريد شيئاً، «هانس» يتكلم عن رياضة بدنية. كان نحيبه منذ قليل ألطف بعض الشىء من كلامه هذا.

فى المطبخ تتكوم فى الحوض مواعين قذرة، قاعها تكونت عليه طبقة قذرة عفنة ملبدة مخضرة من الجراثيم كانت ذات مرة تمثل بيضاً بلحم الخنزير. الصبى المراهق النامى كثيراً ما يجد نفسه عائقاً فى طريق نفسه ولا يستطيع للأسف أن يدور حول نفسه. على الأثاث تراب كثير كان على الأم أن تزيله. ولكنها خرجت، لا يستطيع الإنسان فى الواقع أن يدعو هنا أحداً. الصبى المراهق النامى كثيراً ما يعوق نفسه بنفسه أكثر مما يفعل من اكتمل نموهم، وهو من

(*) المقصود مسرحية Le soulier de satin الفرنسية تأليف Paul Claudel (١٨٦٨ - ١٩٥٥) وترجمة العنوان إلى الألماني معناه حرفياً الحذاء الحريري. أتمها كلوديل في عام ١٩٢٤ ونشرها مطبوعة في عام ١٩٢٩ ومثلت للمرة الأولى في عام ١٩٤٣. (المترجم).

جانبه تعوقه ظروف حياته أشد التعويق، كان من الممكن على سبيل المثال أن يمسك الاثنان الآن فوط مسح التراب وأن يوضبا البيت.

ما زال علينا أن نناقش بمزيد من التدقيق موضوع جرائمنا، هكذا يذكّرهم «راينر» انصرفى، ولكن ليس الآن، بعد هذه التجربة العميقة، «هانس» يتنفس بصعوبة وعلى طريقة الرياضيين الذين يمارسون الرياضة الخفيفة، ويصطنع بوجهه تعبيراً كثير الدلالة، على الرغم من أن «أنّا» ربما حملت، فإن «راينر» هو الذى يضطر إلى التقيؤ، وتلك عجيبة بيولوجية من الدرجة الأولى. بعد قليل يأتى بابا وماما إلى البيت ويجدان فيه صديقاً غير مرغوب فيه.

تدخل ماما ويعرج بابا إلى الداخل. ألا تقبّلنى، أنا والدك، هذا ما يطلبه من ابنه المفضل. الابن يحمر وجهه خجلاً ويقول لا، هل تعرف لماذا؟ هه، لماذا لا؟ لأن الخالة قالت مؤخراً أن الشاذين جنسياً هم فقط الذين يتبادلون القبل فى نطاق الجنس نفسه. من أين أتى الولد بهذا الكلام، نحن فى زماننا لم نعرف شيئاً عن هذا! هه، ومن أختك تسمع نفس الكلام.

وانقلب السقف ومعه النجفة، وقد تهشم اثنان من الفناجين الزجاجية التى كانت اللمبات الكهربائية التى على شكل الشمعة مركبة عليها، ووقع على «راينر» وحاجاته. ولكن لا مجال للقول بأن الحاجات قُتلت نتيجة لهذا، كل ما فى الأمر أنها حبست فى سجن لا مخرج منه.

ضمت حارة «كوخجاسّه» «هانس» بين جنباتها منذ سنين عديدة، لينسى ذكريات طفولته الريفية. لم يبق إلا سلاسل طويلة من رجال يلبسون أوڤرولات الشغل وبنطلونات ومرايل قسا عليها الغسيل المتكرر، ليس فيها ما يذكّر بمروج خضر وجدول صغير. المدينة ليس لديها رحمة، لا يبرز الإنسان فيها على شكل متميز إلا بجهد جهيد لكى يراه الآخرون ويعترفوا به، والرياضة تساعد فى ذلك فهناك يتحمس الإنسان لفريقه وقد يكسب! الطرقات الطينية الموحلة بما فيها من آثار إطارات المركبات، وما يسلكها من حيوان الريف وبشره ، كل ذلك اعتزل وظل بعيداً عن المدينة فى المكان الذى ينتمى إليه. حارة «كوخجاسّه» تبث جواً مدنياً، وهى تضمه اليوم أيضاً مرة أخرى وتمتصه إلى داخل ردهة البيت الصحيحة الذى هيئ وظيفياً لكى يشعر العامل فيه بالراحة ولا يجد فيه شيئاً ترفيا يزيد على الحاجة فيحب أن ينال مثل هذا الترف الزائد فى الحياة أيضاً.

لا زخرفة، ولا جملون، ولا بروز ولا برج ولا حليات جصية، فهى من أجل البرجوازى الذى مات يائساً والذى لم يعد له وجود أصلاً. هنا تقشف نتيجة للصرامة المتقشفة التى تكمن فى إعادة البناء الذى ينجزه منذ وقت طويل ذلك العامل الذى يسكن هنا. الشِّعر يمكن أن تجلبه المفارش الصغيرة والصور العائلية وصور الوعل والأثاث «الإس فى» (*) الذى تتبعث منه أحياناً نغمات الزمن الجديد العجيبة الغريبة شريطة أن تكون قطع الأثاث النغمية هى الجديدة المحبوبة، والناس يشترونها بالتقسيط، ولكل قاطن أن يصنع بنفسه شِعره، وقد ترك المهندس المعمارى لهذا الغرض مكاناً على الحيطان والسقوف للصور والتماثيل، ويرتهن فقط بالناس وبدرجة نضجهم الشخصى كيف يريدون هذا الشعر، فوق أم على جانب أم تحت.

«هانس» يدخل ويجد على الفور بساطة قحلة خالصة، خالية تماماً من أية بصمة، عمل الأم وحده

(*) SW-Möbel (والحرفان SW اختصار Soiale Wohnkultur ثقافة سكنى اجتماعية) حركة نشأت فى عام ١٩٥٤بتمويل حكومى لمساعدة الطبقة العاملة غير القادرة على الدفع الفورى، فكان العامل المشترى يدفع خمس الثمن مقدماً والباقى على أقساط، وكونت الموبيلات الرخيصة الثمن نسبياً موضة منمطة، وكانت الموبيليات تضم قطعة للراديو والبيك أپ. ويضاف إلى هذا أن العمال كانوا يحصلون على مساكن متواضعة تبنيها البلدية بشروط ميسرة. ولكن المساكن والموبيليات الاجتماعية أصبحت فى مواجهة الترف المتزايد علامة على الظلم الاجتماعى. (المترجم)

هو الذى يطبع عليها طابعه، أكوام من المظاريف مبعثرة تفسد الانطباع بما يذكّر بوساخة إناث الخنازير. الآن يعرف «هانس» حجرات لا يعتورها عوار الاستخدام تبرز من أعماقها جزر من الأثاث على هيئة قطع من الجليد السابحة، «زوفى» تملك مثل هذه الحجرة وهو قد مكث فيها مراراً وعطل «زوفى» دائماً عن أمر جوهرى كانت تنوى القيام به. ولكنها كانت تفعل ذلك راضية حباً فيه، فهناك بينهما شىء يتطور من ساعة لأخرى. ولكن «زوفى» لا تختلف عن البنات اللاتى عرفهن بمحيطها فقط، فهى كذلك شىء خاص جداً ، ولو كانت بين آلاف لعرفها، وحتى لوكانت ترتدى معطف شغل لانطلقت الشرارة على الفور بينهما كما تقول الأغنية السائرة.

«هانس» يعنى بذلك أنها لو كانت تلبس معطف الشغل هى أيضا، لا هو وحده. فى الشقة يجد «هانس» زميلين من الشبيبة العمالية التى ينتمى إليها «هانس» إليها ، شاء أو لم يشأ، يحملان معهما إعلانات حائطية ودلو الغراء الذى يقلّبون ويحركون ما فيه. ولكنه لا يحرّك فى «هانس» ساكناً إلا قليلاً. أصبح مؤخراً يغير ملابسه فى الشركة قبل أن يسلك طريق العودة إلى البيت، وهو يظهر فى الشارع لابساً البنطلون والبلوفر فقط. كان من قبل يركب الدراجة لابساً هدوم الشغل، أما اليوم فالملابس التى يتلقاها هدية من «زوفى» تكسو عضلاته. وقد ترهلت هذه الملابس فى بعض المواضع و(تكمشت) على نحو لافت

للنظر فى المواضع الحساسة، على الرغم من أن «هانس» يحافظ عليها أشد المحافظة والأم تدفع بها دائماً إلى لوح الكى، فهى تفقد المرة بعد المرة شكلها الجيد وتتناسب مع «هانس» وصاحبها الأصلى يدرس الآن فى أكسفورد واشترى يقيناً شيئاً جديداً. وهناك فرق بين: من أين تأتى العضلات وبين : إلى أين تذهب.

عضلات «هانس» تذهب إلى التيار الكهربائى، تذوب فيه، تتحول إلى طاقة. كثيراً ما يمضغ «هانس» قرص سكر عنب مربع الشكل أبيض كالجليد لكى يعوض هذه الطاقة المستهلكة، وهو يعيش على سكر العنب هذا فى الفترة الأخيرة فقط تقريباً، وهو نقى ومنتظم مثل «زوفى»، وهناك رياضيون يقومون بالدعاية له اسمهم «ديكسترو إينرجن» Dextro Energen والمتزلجون على الجليد ولاعبو التنس يعرفون الهدف من هذه الأقراص ويستخدمونها.

«هانس» يدخل ويندفع إلى حجرته الصغيرة ليخلع ملابس الخروج ويرتبها بعناية، ويلبس الملابس العادية، حتى وإن كان المرجح أعظم الترجيح أنه سيخرج من البيت بعد نصف ساعة لابساً الكشمير، ويدلف إلى حجرة المعيشة التى ينحشر فيها الزميلان. وهو قد اكتسب منذ عدة أسابيع نتيجة مخالطته الجديدة فى التعامل مع أناس من كل الأجناس

والطبقات والجنسيات ثقة أكبر من ذى قبل عندما لم يكن يعرف سوى جنسه وطبقته. وهذان الزميلان هنا يمثلان رجوعاً إلى الحياة الماضية، لأنهما ينحدران من طبقته نفسها وسيبقيان أيضاً فيها، وهذا شىء يراه الإنسان من فوره، إنهما لا يستطيعان أن يصنعا شيئاً من تلقاء نفسهما، وأعدت الأم لهما قهوة لكى يستطيعا أن ينالا بعض الدفء، ووضعت أمام كل منهما شريحة خبز دهنتها بغموس سميك، وكذلك تلقى ابنها مثل هذا الخبز. الشابان صاحبا الدلو لديهما حماس واشتراكية، و«هانس» لديه طموح هو من الشدة بحيث يستطيع المرء به أن يسبح ضد التيار، حتى ضد التيار العالى الذى ليس غريماً منظوراً يستطيع المرء أن يناضله، وهذا ما نوى «هانس» أن يفعله مع كل من يريد أن يسد طريق مستقبله. «هانس» يشغِّل إسطوانة جديدة حتى لا يكون عليه أن يسمع الإسطوانة القديمة، إسطوانة الحزب الشيوعى، التى من الواضح أنها مشروخة، ونغمتها غلط، والاثنان يقولان علاوة على ذلك دائماً نفس الكلام حتى وإن كانا شخصين مختلفين، فليس لهما حياة ذاتية ولا فردية. وهما لا يلاحظان أن «هانس» قد فك نفسه من السلسلة الطويلة المكونة من الأيدى التى يناول بعضها بعضاً دلو الماء إلى أمام فى اتجاه البيت المشتعل (الذى لا يراه أحد، ولكنه موجود، ما وُجد الدلو)، وانفصل، وانصرف، وعلى ما كان يقف خلفه أن يزيد من همته قليلاً لكى يعبر الفجوة ،

وهذا هو كل ما فى الأمر. ويقولان إن الوقت قد حان منذ بعض الوقت (١) للتحالف مع الصحيحين.

«هانس» يريد ذات مرة أن يرتبط بـ «زوفى» بالزواج عندما يبلغ النضج الكافى المناسب لذلك. بدا «هانس» استهلكهما الشغل تماماً وهو يشتغل بهما منذ عامه الرابع عشر. تحت أظافره يلتصق وسخٌ وعرق يكونان معاً وحدة واحدة. وكما أن الجسد والروح (٢) يكونان وحدة، و«هانس» يريد أن يعرف هذين الأقنومين منذ أن عرف «زوفى» على أظافر «زوفى» لا يلتصق حتى مانيكير طلاء أظافر، فهى ليست بحاجة إليه، لأن أظافر «زوفى» ليس لديها ما تخفيه، وهى لا تخفيه قط.

الأم تعرف أهل الاثنين من رحلة مشتركة بالأتوبيس وتريد من «هانس» أيضاً أن يعرفهما لأنهما يظهران رجاحة عقل لا يظهرها ابنها. لابد من أن ينضم الناس فى مجموعة، فالفرد لا يستطيع شيئاً، إنما المجموعة المتحدة هى وحدها التى تكون أقوى. و«هانس» يقول إنه قد وجد هذه المجموعة وأنه معترف به فيها، وهى التى لا تعترف بأحد، نظراً

---

(١) لاحظ تكرار كلمة وقت فى جملة واحد بمعنيين، ومن قبل تكرار كلمة تيار بمعنيين، وهى سمة من سمات أسلوب يلينك. (المترجم).

(٢) كلمة Geist بالألمانية لا تقابل فقط كلمة روح بالعربية، ولكنها تقابل أيضاً: عقل وفكر. (المترجم).

لقدراته الخاصة. فى هذه المجموعة لا يستطيع أحد أن يكون بديلاً له، أو أن يلتبس عليه.

أنا فى لعبة كرة السلة فى الرمى واللقط لا بديل لى، أما شغلى فيستطيع كل واحد أن يقوم به مثلى بالضبط، وهكذا الحال أيضاً فى الحياة، ذلك مثلٌ للحياة فى مجموعها، تلك التى يعتبر الشغل فيها شراً، يريد هذا أو ذاك أن يقنعنى بأنه شر ضرورى، ولكننى قد أستطيع أيضاً أن أعيش بدون عمل، وأن أعيش أفضل. لا أحتاج إلا إلى «زوفى» إذا أحبتنى، أستطيع حتى أن أتنازل عن العمل.

بعد أن قال هذا الكلام إذا هو يحتقر شريحة الخبز الفقيرة المدهونة على نحو خاص بكثير من المارجرين، مرة أخرى مارجرين، لا سجق، يا للقرف، ويرمى فى وجه الزميلين قوله إن الفرد النازع نزعة الفردية هو الذى يتحتم عليه أن يتحرر، لا المجموعة التى بلا إحساس وبلا اسم، والتى يتلاشى الواحد فيها ، يغرق ولا يطفو مرة أخرى، إلا إذا كان قائدها، أو إلا إذا كانت المجموعة تم تفصيلها على المقاس لتكون مجموعته الخاصة، ويكون قد شارك فى تفصيلها وحياكتها.

لم يأكل أحد طوال الوقت من الخبز المدهون بالمارجرين. أنا أعطيك من النقود ما يكفى لتشترى زبدة محترمة أو سجقاً. لابد من أن يصبح المرء أخيراً فرداً، هذا هو النمط الجديد للعامل، العامل الحديث،

العامل المودرن، الذى لن أصبحه قريباً أيضاً. النمط القديم للعامل يظل إلى الأبد واحداً. العامل الفرد يحتاج إلى مكان كبير ونور وهواء وشمس، حيث تترعرع زهور وحشائش وأشجار سيتعلم هذا العامل أخيراً أن يقدرها مرة أخرى. لقد أهمل ذلك كله فى النضال السياسى. وكذلك الرياضة يكتبها الإنسان الحديث بحرف استهلال كبير.

الآن ترتكب الأم الغلطة الحاسمة وهى أنها - عندما يتملكها الغضب ولا تعود تستطيع أن تتمالك نفسها حيال ابنها تحكى عن معسكرات الاعتقال النازية، الكاتست KZ، وعن الطفل الذى كان يأكل تفاحة فضربوا به عرض الحائط إلى أن مات، وأخذ قاتله التفاحة فأكمل أكلها. وعن الأطفال الذين عذبوابالقائهم من الدور الثانى. وعن الأم التى أدخلت فى الغاز هى وطفلها البالغ من العمر يومين لأنها رجت الطبيب أن يتاح لها أن تضع مولودها. وسمح لها الطبيب. ثم هناك الكثير من صديقات وأصدقاء أبيك وصديقاتى وأصدقائى الذين قطعت رءوسهم فى المحكمة. وأنا أفكر دائماً فيهم.

«هانس» يتثاءب على نحو مبالغ فيه فقد سمع ذلك مراراً وهو يعتقد أن الأزمنة تغيرت وأن البشر تغيروا معها وأصبحت لهم الآن هموم أخرى. وأولاً وقبل كل شىء آخر الشباب الذين ينتمى إليهم المستقبل الذى يشاركون هم أنفسهم فى نهاية المطاف فى تشكيله.

الزميلان ، وفى مخهما الحيرة ، يقلبان مرتبكين الغراء فى الدلو لكى يظل طرياً ولا ينشف. ولهذا يحتاج الغراء إلى دفء لا يلقاه فى الخارج، لا يجده إلا فى ترف دُرج التسخين بفرن مطبخ استقر فيه هناك. وهما لايعرفان الناحية التى يمكن أن يؤثرا منها فى «هانس»، فهو يعطى انطباعاً بالثقة فى النفس، والواضح أن الآخرين استولوا عليه وأنهم اتخذوه من أجل أهدافهم. فى الخارج ريح باردة تضرب بالسوط رخات مطر باردة من خلال الشوارع والأشجار تتمايل منكمشة على هيئة فيونكات مبلولة. تلك هى قوة الطبيعة. أيدى خفية كثيرة قادمة من الحركة العمالية تمتد نحو الصبيين حاملى دلو الغراء وتدفعهما قُدُماً لكى يقدما إلى «هانس» حججاً. الآن تخرج بعض الحجج من فميهما. «هانس» لا ينصت إليهما، وإنما ينصت فقط إلى الصوت الباطنى فى داخله والذى يقول إن على المرء أن يتوغل إلى جذور الوجود لكى يفهم ذاته، عندئذ يستطيع أن يفهم الآخرين. إذا كنتما تعتقدان أنكما تستطيعان أن تفعلا شيئاً من أجل الآخرين دون أن تكونا قد عرفتما نفسيكما من قبل معرفة صحيحة، فأنتما واهمان. ذلك شرط أساسى. أحياناً يرتكب الإنسان فى أثناء ذلك أفعالاً قد تبدو سفيهة وإن لم تكن كذلك، لأنها عالية الأهمية بالنسبة إليه. صديقى الجديد اسمه «راينر» وهو

كما يعنى اسمه (*) أنظف مما هنا. وهذا ليس صحيحاً من الناحية الموضوعية فمسكن أسرة «فيتكوفسكى» فى أحط مستوى من التدهور، ولكن هذا الشاب المبهور لا يرى ذلك. وتسأل الأم من هو هذا الـ «راين» ، وهذا سؤال سألته مرة من قبل ونسيت. ورد «هانس»، كان أبوه فى الإس إس، وهو الآن على المعاش وبواب، وابنه وابنته يذهبان إلى المدرسة الثانوية الجيمنازيوم مع «زوفى»، وأنا سأختلف فيما بعد إلى المدرسة العمالية المتوسطة. لقد كنت مؤخراً تريد أن تصبح مدرس رياضة بدنية. هذا ما لا أريده الآن، أريد فى نهاية المطاف ما هو أعلى من ذلك بكثير.

يصمت حاملا دلو الغراء وعليهما كذلك أن ينصرفا تواً. فى الخارج تضعف رخات المطر الآن، ولكنها لا تزال ترج زجاج النوافذ من أساس حلوقه. من المؤكد أن رخة مشابهة تضرب بسوطها نوافذ «زوفى» وتجعل أشجار الصنوبر ترتعش فى الحديقة، يمكنها أن تحمل تواً تحية حب وتبلغها إياها. «زوفى» تجلس يقيناً فى نور المصابيح وتكتب الواجبات المدرسية؛ كم يحب «هانس» أن يفعل ما تفعله، ولكنه لا مدرسة عنده ولا واجباً حقيقياً.

(*) يكتب الاسم بالألمانية Rainer وكلمة rein, reiner بحرف e معناها نظيف ، أنظف وما إلى ذلك من دلالات قريبة. (المترجم)

يقـول لاصـقـا الإعـلانات، أنت إذًا لا تأتى مـعنا، وينـهضان. وتنـصحه أمـه، اذهب معهـما ولا تـرفض. فـى هــذا الجــو القـذر قــذارة إناث الخـنازيـر، لا، شكراً، وحـتـى لو كـان الجـو جـمـيـلاً مـا خـرجت، فـالجـو الجـمـيـل هـو الجـو المناسب تمامـاً للعب التنس.

لقـد كان عـمـلـك دائمـاً يـروق لك. ومــن خلالــه أصـبـحـت بحق عـضــو الطبـقــة العـاملـة، واحـداً من أولئـك الــذين يقـفـون أمـامك ووراءك، هــم طابــور بشــــرى لا ينــقـطـع سـيـصـنـع الـزمـن الجــديـد (الأم).

هل تخـرفـين؟ وتـدعين فـوق هــذا وذاك أنه كـان يروق لى؟ العمل اليدوى دركة بـدائية من العمل الذى يحقق كسـبـاً، وهو عمل سينـتهى ذات مرة تماماً كما يقـول «رايـنـر» هو و«أنـّا» و«زوفى» يقـولون إن البشـر صنعـوا الثـقـافـة أصـلاً عندمـا تعلمـوا على نحـو مـتزايد أن يفـصلوا العـمل الذى يؤديه المرء باليـد عن المنهـج الـذى ينتـهـجــه ليـســهل العــمل على نفـسـه بالاسـتـعـانـة بآلات ومـعـينات أخـرى. ولولا العـمل بالـرأس، بالمـخ، مــا كـانت هــناك ثقـافـة وهـى أهم شىء.

الأم تقـول إنهـا تفـقـد عـقلهـا، والاثـنـان اللصـاقـان يقـولان ذلك أيضـاً. ويقـولان ، نعـتـقـد أنه ليس من الممكن أن نصل معه فى اللحظة الحالية إلى نتيجة يا

فـراو (*) سـيب . Sepp إلى اللقاء إذًا. ننصرف الآن عن هــذا الـزمــيل الغـضــوب. ربما لا تزال هـنـاك فرصـة ليفهم الموضـوع، وإن قل اعـتـقـادنا فى إمكان ذلك. مــثل هذه الحــالات أصــبـحت تقــابلنا بشكل متزايد.

الأم تقول تعاليا مرة ثانية أرجوكما عندما يكون لديكمـا مـتسـع من الوقت. سنقنعـه ، أنا واثقــة من النتيجة، وسترون. أنتما الآن مضطران إلى الذهاب، هيا.

التقلبات الجوية فى الخارج فتحت ذراعيها عندما تناهت إليهـا هذه الكلمـة، وابتلعت الاثنين بدلوهمـا. والمأمول ألا تبتلع الإعـلانات أيضاً، فهى من ورق وهى لا تحـمى نفسـهـا ضـد البلل. والكسـوة البـلاسـتـيك تحميها فى حدود أقل ما يمكن. والمطر على أية حال خف، ولكن جدران البيوت تبرز مبتلة، والأسفلت يلمع مـرة أخـرى كـمـا فى فـيلم الأسـفلت المبـتل. وزمـيل الأسفلت شارك أيضاً بالتمثيل فى الفيلم.

الأم تقـول لو علم بذلك أبوك الميت الذى ضــحى بنفسه من أجل قضيتنا.

(*) دخلت كلمـة فراو Frau بمعنى مدام ومسز وسنيورا وكلمة هـرHerr بمعنى مسيو ومستر وسنيور في اللغة العربية الدارجة في قائمة الكلمات الأجنبية الموحية بخصوصيات تتصل بالحياة الألمانية. و«فراو سيب» هنا تعبير من الشبيبة العمالية عن معرفة بتاريخ نضال أسـرة «سـيب» وتضـحـيـات «هر سـيب» من أجل الحـركـة العـمـاليـة. (المترجم).

هو لم يضحّ بنفسه، هم قتلوه. وإلا لكان على قيد الحياة إلى الآن. فما الذى كسبه إذًا. وأنا يقيناً لن أضحى بنفسى. أنا عندما أقرأ فى كتب «راينر» عن الألم ، أجد الكلام أصدق مما إذا فكرت فى ألم أبى على سلم الموت فى ماوتهاوزن.

هل ستخرج اليوم أيضاً يا «هانس»؟

فى هذا الجو القذر قذارة إناث الخنازير؟ ليس من الممكن الآن فعل شىء ، ولا حتى النظر مسافة خمسة أمتار فقط ممتطياً صهوة حصان، عليه سعادة الدنيا كلها، وستهبط على الأرض الطلق البراح علاوة على ما هبط قطعٌ من غمام الليل تحجب عن المرء الرؤية. عندما تركب حصاناً تكون الأرض الطلق البراح مختلفة عما إذا زرت ماليتانته (*) Malitanteفى العزبة. قد أذهب فيما بعد إلى حانة چاز أيضاً.

عندما أنظر إليك أخال أننى ربما عشت دون جدوى وأن أباك مات دون جدوى. ولكننى عندما أنظر إلى الرفيقين اللذين كانا هنا قبل قليل أعرف أن حياتى وموت أبيك كان لهما معنى لا يمكن أن يقدمه إلىّ ابن بطنى.

الموت على أية حال لا جدوى منه، إلا أنه يكلف المرء حياته، هذا ما يقوله «هانس» وهو يضحك ضحكة صاخبة مكتومة مبتهجة.

(*) شخصية ماليتانته Malitante من شخصيات الفكاهة الشعبية الخيالية النمطية المحبوبة في النمسا . (المترجم).

الناس الأغراب لا يهمونه أساساً، لأنه لا يهتم إلا بنفسه و«زوفى».

شريحة الخبز المدهونة بالمارجرين تقول له على سبيل التنبيه والإنذار: كلنى ولا تتركنى، فقد تأتى أوقات أسوأ. ولكن «هانس» يؤمن بمستقبل أفضل ولا يأكلها.

لم يمـر وقت طويل على غـضـبـة «راينر» العـارمـة وفـقـدانه طريق طفل الرب المرسـوم له سلفـاً، كـانت العقيدة الكاثوليكية قد قدمت له فيما مضى البديل عن الكثيـر الذى يأمل الآن فى أن يسـترده بارتكاب أعـمال العنف. أختـه «أنّـا» تتحـول وسط هذا الركـام المنبوذ على نحو متزايد الحدوث إلى شخص أخرس، وأحيـاناً يتفجر تيـار مجدداً من داخلها ويجرف بعيداً عنها أغلب ما يعترض طريقها. هما اليوم يتمددان فى فـراش «أنّـا» أمـا ريح الواقع فقد حولوا اتجاهها إلى حـجـرة المطبـخ حيث اتخـذ الواقع شكل حـجـرة ريفـيـة، وأمـا ريح الماضى فقـد تركوها تهب هـنـا. قد يحطم «راينر» هنا شيئاً محرماً ألا وهو السفاح لكى يرى هـل يصل هكذا إلـى شىء، ولكنه لا يحطمـــه، ولابد لذلك من أن تنهـار سـدود أخـرى، والمراهـق فى منتصف النمو يهدمها بنفسه شخصياً، لأنه لا يجوز فى هذا البـيت المنهـار أن تتمـزق أعـراف أكثـر حـرية. هكذا يقول المنجبان.

ارتكب «راينر» وهوطفل علاوة على سيئات أخرى الخدمة فى الكنيسة، وها هى ذى قد أصبحت نبعاً دائماً للاشمئزاز لا تفرغ منه الذاكرة. بابا قال، الآن تذهب إلى الكنيسة للخدمة، فذهب، ضربات أبيه أوجعته أكثر من بلاط الكنيسة تحت ركبتيه المتسلختين. هذه البرودة الثلجية فى الشتاء الساعة السادسة صباحاً مبكراً ويد السيد القسيس الضاربة وإن لم يكن على أية حال يستخدم للضرب أدوات مثل شماعة الملابس أو العكاز، (طراخ) ، صفعة ثانية، لأن النص اللاتينى اختلط على لسانه والتوى ، وعلاوة على ذلك رد بإجابة أو عدة إجابات وقحة، حيث لم يُسأل سؤالاً، بل صدر له أمر. ومن فوق تتجرجر الثياب البيضاء الموشاة بالدانتيلا تعلوها ياقات سوداء حتى إن المرء ليبدو كالبنت. ومن بينها صور أساساً فى شأن الرب والعذراء مريم مشكّلة بأشكال مختلفة وبخامات منوعة، ويغلب عليها أن تكون مدورة لأنها صنعت فى عصر الباروك. وهناك علاوة على ذلك هذه (اللمة) المتضاحكة المتصايحة الفجة من الصبية المكونين للشبيبة الكاثوليكية والذين يرفعون عقائرهم بهمهمة تشبه الثغاء وهم يتدافعون داخلين فى دار الشبيبة الكاثوليكية لممارسة تنس الطاولة البنج پونج، همهمة تتداخل فى أناشيد جادة تنبعث من حناجر الطلاب الأكبر سناً، وهناك الاعتزاز بأن يصبح الطفل من الشبيبة الكاثوليكية. كذلك أصبح من الممكن مؤخراً مشاهدة التليفزيون وهو ما يفعلونه بقوة

واقتدار، الكنيسة لديها دائماً الأحدث وتستخدمه فعلاً ضد أعضائها. لافتات ذهبية شفافة وأعلام عليها صورة العذراء وبنات يلبسن جونيلات زرقاء غامقة مكشكشة ، كل هذا يجرى فى كنيسة البياريستنكيرشه Piearistenkirche [1]غير المحبوبة. كثيراً ما يقولون [2] كورالياً إن الرب ينادى الشباب فما يكاد يُنادَى حتى يلبى. لأن الشباب هم المسيحية المعتقدة وهو ما يتطلب شجاعة فى العالَم الذى أصبح كافراً مجرداً من الفكر. و«راينر» أيضاً جزء من الشباب، للأسف أسوأ جزء ، يظهر فيه استهلاك المواد ظهوراً ملحوظاً على نحو خاص. إنه يذهب إلى الرب ولكن غصباً عن إرادته، على الرغم من أنه هو الذى يُنادَى أكثر النداء لأن الرب يعرف ضعفه وكذلك عناده ، ولذلك يناديه نداءً عالياً على نحو خاص يا «راينر» يا راينر! فيتقيأ من فوره على البلاط. لو كان

---

(١) نسبة إلى طائفة البياريست الدينية ولكن نظراً لأن يلينك تصب نقدها اللاذع على ما يجرى فى الكنيسة من نفاق وظلم وخروج على المنطق فإن لغتها تخرج على المألوف ، ونلاحظ هنا أنها لا تكتب كلمة Piearisten الكتابة المعتادة وهى Piaristenبدون e بل لعلها تتعمد إضافة هذا الحرف لكى تختلط بكلمة pien التى تعنى التبول. _ وليس من الممكن الدخول فى كل هذه التفصيلات والاحتمالات الخاصة باللعب بالكلمات وبالقسوة العنيفة فى النقد، ولكن نكتفى ببعض هذه التلميحات. (المترجم).

(٢) من أكثر الكلمات تكراراً فى سجل يلينك اللغوى فعل قال يقول وكثيراً ما يتلقى القارئ انطباعاً بأن ما يجرى على مستوى الكلام له أهمية خاصة، هذا يقول وذاك يقول، وهذا ما يقوله فلان إلخ (المترجم).

التحق بالمدرسة الثانوية البياريستيةPiaristengymnasium الرفيعة ، لقدّر له الرب ذلك تقديراً عالياً، ولكن والديه لا يحتكمان على مصاريفها. الأولاد الأغنياء الذين يذهبون للخدمة فى الكنيسة لم يتلقوا مطلقاً صفعات، وهو شىء لفت على الفور انتباه «راينر» النبيه المتفتح بطبيعة الحال على الفور، مثل هذه الأشياء تشد انتباهه دائماً على الفور، بدلاً من أن يغوص فى الصلاة بمزيد من القوة ويترك العالم من حوله خارج انتباهه، الكنيسة تأخذ ما تجلبه وتمسكه، ولا تدفع به إلى حيث تكون هناك حاجة إليه، «راينر» لا يحتاج إلى ضرب، بل إلى حب. ومن قائل إن الرب يحبه، ولكنه لا يشعر بذلك، يشعر فقط بالصفعات.

وعلى الرغم من ذلك يركله الأب كل أحد من جديد بالبقية المتبقية من ساقه ركلة يدفعه بها دفعاً إلى داخل خزانة الكسوة الكهنوتية ليتحلى بالزى الكهنوتى القشيب، ويظهر بأدائه أمام الخالة والجدة وسط كورس الشبيبة البهيجة النضرة، هو الذى يحبه الرب حباً خاصاً، لأنه ذو صوت نغمته لم تُستهلك بعد. والخالة والجدة مواظبتان متحمستان على الذهاب إلى الكنيسة، تضيفان وردية إضافية فى شهر مايو فى وقت الصيام المقدس وتدعان فى مقابل خدمة دينية على الهيكل شيئاً ينبثق من أجل الصبى لكى يشترى لنفسه فى وقت ما ذات مرة زوجين من الأحذية الموضة المدببة البوز أو بلوفر، هذه الأشياء للأسف هى الأهم فى نظره، هذا الصبى المغرم

بالظواهر، والذى سيتاح له أن يتجه إلى الباطن. إلى داخل ذاته. وهناك علاوة على ذلك الزحف والكحت بالأقدام فى أماكن فائقة العظمة، تتناسب مع عظمة السيد الرب، وهم لا يرونه، ولكنه يحتاج إلى مكان كبير كبراً هائلاً. إلى اليسار الصبيان، صغار خدم السيد، وإلى اليمين البنات خادمات السيد الصغيرات. ومن بينهما تسير خطبة السيد المطران بأن الرب الحبيب دعا لتوه الصغار ليأتوا إليه حتى إذا كانوا عازمين فى هذا الوقت على الأرجح على عمل شيء أفضل، والخدم الصغار يقعدون ويستريحون فى أثناء العظة ، وأغلبهم يفكرون فى ألوان من العبث أو الأعمال القذرة قذارة إناث الخنازير أو سفاهات مدرسية، وهذه أشياء لا يحفل بها الرب فهو يعلم ما يشغل بال أصغر الصغار وهو يستمع إليها ويجيب. ولكن «راينر» يفكر فيه، فى الرب تفكيراً شخصياً، لكى يسر إليه بما يشغل باله، بل إنه كان لحين قصير أمله الأخير، فلم يعد هناك شيء يؤدى إلى نتيجة، طبعاً، يسوع سيُصلح، ولكن لا يكفى أن يصلى المرء فقط، ولكن لابد من أن يضحى أيضاً، و«راينر» لا يفضل أن يستثمر. فالاستثمار هنا غير مضمون بدرجة مفرطة، ولماذا يجلس يسوع فوق، ولا يجلس هنا تحت، حيث العضو التناسلي إذا صدق المرء المسيح لايجوز ملامسته. وفى هذه الأثناء يعرف «راينر» أن أباه بلا عضو تناسلى وأن أمه لا يمكن أن تكون فعلت فى البيت ما يمس الشرف. وهكذا حُلت مشكلة جد عويصة.

إلا صورة تتسم بانسجام معين بقيت فى ذاكرة «راينر» وظلت عالقة بها منذ وقت طويل. بنت كبيرة نسبياً من بنات الشبيبة الكاثوليكية استخرجت لبنت صغيرة من كتاب الصلوات فقرة معينة ثم مسحت بيدها بعد ذلك على رأس البنت الصغيرة، وكررت ذلك مراراً وتكراراً، وشعر «راينر» فى أثناء ذلك فى داخله بالسكينة كل السكينة. وظل على مدى سنوات طوال يفكر فى ذلك وهو فى البانيو (البانيو المرتجل فى المطبخ) بينما كانت ماما ، حتى بعد أن أصبح صبياً كبيراً تصبِّن جسمه كله حتى يصبح نظيفاً نظافة شاملة، فى باطنه ابن ربانى، وفى ظاهره ابن رب نظيف نظافة واضحة جلية. وعلى الرغم من أن كل شىء فى مثل هذا الابن الربانى نظيف طاهر، فقد كان يحس بالاستحياء. أنا أمك التى وضعتك، ولا عليك أن تستتر أمام أبيك فعنده مثل الذى عندك وفى نفس الموضع، وكان هذا يُحدث فى حلقه غمغمة عميقة مثل ذئب يعوى.

وحتى عندما سمح لـ «راينر» بأن يصبن جسمه بنفسه بالصابون، كان شعور يساوره بأنه أصبح نهائياً المُصَبَّن الذى ظل كلام الرغى الناعم يغمره حتى استسلم

وعن خطأ ألم به حنين إلى الانسجام والتوافق، بل والجمال، كان كثيراً ما يحكى عنه لزملائه فى المدرسة على نحو يتنافى مع الحق؛ وهو لكى يفهموه

يتكلم عن هذا الانسجام فى صورة سيارات غالية ورحلات بالطائرة ووالدين يقبلان أولادهما وكريستال براق ، يقول إنها فى البيت عندهم يراها من يريد . ومن يسمعونه لا يصدقون مثل هذا بحال من الأحوال، وهذا شىء يكون فى إنسان ما أو لا يكون. ولكن زملاءه فى المدرسة لا يصدقونه.

دع هذا أيها الصبى، لابد من أن تصبح نظيفاً تماماً، أرأيت إلى «أنّى» كيف أنها لا تتصنع الحياء، إذا كانت الأم هى التى تفعل، فكأنك أنت الذى تفعل ذلك. ولك إن شئت أن تستمر فى الخجل، فالخجل على أى حال صحى.

نحن جميعاً سواء، ذلك أننا بشر من لحم ودم. إلا أنت يا ماما، أنت بلا جسد، مثل الرب الحبيب، وبابا وحده هو الذى يهينك جسدياً، ولذلك أقول إن هذا الجسد لا وجود له وأقطع من صور البنات الجميلات التى أقصها من المجلات ما تحت الذقن قبل أن أثبتها بالدبوس الإبرة فى باب الدولاب. واللحم سرعان ما تفوح منه رائحة العفن، عندما يميته المرء ويعرّضه للهواء الطلق. يا له من ولد! والآن نشف نفسك جيداً بالفوطة، وما أظن إلا أنك تستطيع أن تفعل ذلك وحدك.

الأرغن يُدَوِّى، و«راينر» يجفف نفسه، لا يحق للمرء أن ينظر لنفسه من فوق لتحت، لابد من توجيه النظرة إلى أمام، وكل ما يفعله المرء يحدث إجلالاً لكائن

أعلى. عندما تكبر ستتغير أشياء كثيرة، وبعض الأشياء ستخلد للراحة نهائياً.

«أنّا» تريد أن تعبر عن أكثر الأشياء بالموسيقى، اليوم عزفت «شومان Schumann و«برامس»Brahms على البيانو، وربما تعزف غداً «شوبان»Chopin و بيتهوفن . Beethoven ما لا يستطيع فمها قوله تقوله الموسيقى، وهو شيء يأتي من الرب الحبيب كما ادّعى كثير من المؤلفين الموسيقيين «بروكنر»Bruckner (*) فى حديثهم عن أنفسهم. و«راينر» يقرأ عليها بعض اليوميات القديمة التى سجلها فى دفتر يومياته، وجاء فيها أن الشيء الكبير لا يمكن إنجازه إلا على مدى طويل وبتخطيط وإعداد دقيقين. وقد لاحت له هذه الجملة آنذاك ذات صلاحية عمومية، على نحو ما نطالع هنا. ثم: ١ ـ ماذا أخطط ، ما هدفى الكبير؟ و٢ ـ ماذا يمكن أن يشجع هذا الهدف؟

كان «راينر» يريد أن يدرس شيئاً من العلوم الطبيعية فى التكنولوجيا (كيمياء) ،الآن يريد فقط أن يزيد من دس يده فى محافظ نقود آخرين غرباء وأن يمتهن فيما بعد مهنة متخصص فى الجرمانيات يكتب بجانب ذلك قصائد. ليكن المبدأ الأعلى (موجود هنا) ألا يبقى علم الطبيعة أبداً هدفا لذاته ومجالاً وحيداً لتفكيره وسلوكه ، بل أن يجد مكاناً فى بنية أكبر وأشمل، أن يريد بالتحديد كما جاء هنا فى اليوميات

(*) خمسة من الموسيقيين العالميين العظام (المترجم).

معايير أعلى من التفكير الإنسانى، ولكنها لابد على أية حال أن تكون معايير. ولتكن العقيدة المسيحية بالنسبة إلىّ فى حياتى كلها أساس وجودى. ولا أرى مهمتى إلا فى أن أجعل باعتبارى عالم طبيعة هذا المجال الذى أرتاده عن طريق الكيمياء يتشبع بالفكر المسيحى وأن أضم المجالين فى تركيب واحد (على الأقل قطعة صغيرة كما يضيف بدافع الصدق) تبجيلاً وتعظيماً للرب. أنصتى يا «أنّا» !المرء لا يصدق هذا، المرء لا يصدق هذا. ولا بد من أن تتمثل نتيجة هذا المسعى فى أن تسهم الكيمياء فى خير الإنسان وأن ترفعه إلى وجود يليق بكرامة البشر، إننى أرى فى ذلك إمكانية تحقيق محبة القريب المسيحية عن طريق استخدام كل مواهبى وقواى وقدراتى طوال حياتى. عسى الرب أن يمنحنى المنة لكى أحقق مشروعى.

ما قولك فى ذلك يا «أنّى»؟ (*) الشرط الأولى التالى: ١ ـ معرفة فائقة فى الكيمياء والرياضيات والفيزياء والفكر المسيحى ٢ ـ معرفة فائقة فى اللغات الألمانية والإنجليزية والروسية والفرنسية. عسى أن أنجح (اضحك قهقه هاها كركرهاها!) فى أثناء ذلك فى أن أحقق دائماً الخشوع والتواضع ولكن

(*) تضم يلينك الكلمات الخمس التى يتكون منها هذا السؤال معاً على هيئة كلمة واحدة تتسم بشىء من الغرابة، وإن كانت اللغة الألمانية قادرة بطبيعتها على سبك الكلمات المركبة التى قد تطول نظرياً بلا حدود إلا المألوف. وساضع خطاً تحتها لأنبه إليها (المترجم).

ليس بمعنى (لا لا ، ليس هكذا!) أن أتزلف إلى مثل هؤلاء الناس الذين يمكن أن يضعوا فى طريقى عقبات أو يمكننى أن أنتفع منهم، على الرغم من أنهم فى النهاية سيتصدون لمثلى العليا. ثم أحتاج بعد ذلك أيضاً إلى: ١ ـ الانضباط هاهاهاهاهاكركرهاهاها! ويتصايح التوءمان ويضحكان حتى يتناثر لعاب بعضهما على البعض من فرط القهقهة. هذه الفعلة الأخيرة مفترض أن تكون فعلة يُفترض أن تتم دائماً بتفكير مع البيئة المحيطة *__هل يمكن ان تتصورى اننى ذات مرة كتبت شيئاً كهذا؟__* (*) «أنّا» تقول لا. أياً كان الأمر فهذه كلمة، تحديداً كلمة «لا»، رقم قياسى جديد! بعد دقيقة ستستطيع «أنّا» مرة أخرى أن تعود إلى الكلام كالببغاء، أما عن الآثار فى داخل «أنّا» فلا يعرف أحدٌ عنها شيئاً.

من صور ورسوم سقفية عريضة يطل الرب الحبيب إلى أسفل على أولاده المنحرفين ويدهش كيف استطاع أن يخلق مثل هذا وأن يعلمه إياهم فى حصة الدين. لا تزال العقيدة ترهق «راينر» عندما يلزم الصدق، وهو لم يستبعد بعد أن يكون هناك مثل هذا الرب على الرغم من أنه هو و«ألبير كامى» Albert Camus قد أبدلوه بالعدم. وهو لم يختف بعد ، بل إن العديد من القساوسة شخصياً على صلة صداقة بأسرته.

(*) كلمة مركبة يزيد طولها في الأصل الألماني عن سطر. انظر الملحوظة الهامشية السابقة. والخط تحتهامن عندي (المترجم).

تعـالوا كلوا يا أولاد، وعلى التـو يجلس الجـمـيع لتناول طعـام العـشـاء الحـبيب. «راينر» يتكلم مع الأم كـالمعتـاد عندمـا يكون عنده مـا يقـوله لأبيـه. قـولى له إننى سـأنتـزع منه العكازين على الفـور وإنه سيقـع على الأرضيـة البـلاط البـاردة، إننـى أريد أن أكتب قـصـيـدة ولا أجـد لهـا هـنا أرضـيـة. بلى هـنا للاخـتـيـار أرضـيـة حجـرة ريفية مريحة أو أرضية حجرية، هذا مـا تقوله «أنّـا» وهـى بالنسـبة إلى ظروفهـا تعبيـر شـعبى. ويصـرخ الأب فـوراً مـثل ثور هـائج ، أنه سـيكسـر ظهـره إذا هو تكلم على هذا النحـو المنـافى للاحـتـرام. فـيكون الابن بعمود فقرى محطم يتلوى كالدودة على الأرض، بينما هو يسـتطيع على أية حـال أن ينط ويحـجل. كـذلك يقول إنه يستطيع فى أى وقت أن يخرجه من المدرسة الثـانوية لأنه ولى أمـر الأسـرة والمتكفل بنفـقـاتهـا. الأم تقـدم بطاطس مـهـمـوكـاً وكـومـپوت وتقـول إن بابا عليه بعـد الأكل أن يعتـرف أمـام النـاس بأنه وضع ابنه فى دورة عـادية للصـبية المتدرجين لا فـى المدرسـة الثـانوية الجيمنازيوم، صحيح يا «أوتّـى» ، هه؟! سأضربك حالاً حتى يمتلئ جسمك بالكدمات الخضراء والزرقاء يا «جريتل»، لأننى فى سنى المتقـدمة هذه أديت واجبى حتى باعتبارى غير ذى وضع قانونى. وأنا كذلك اليوم أؤدى واجـبى ، عنـدى مكتب يضم مـفـاتيح حـجـرات كثيرة، لى فى كل وقت أن ألم بها.

يكشر «راينر» عن أسنانه مثل كلب أصيب بالسعار. المخلّص على الصليب الخشبى المصنوع آلياً للحجرة

الريفية يطل محزوناً من بين الهلاهيل. وتاج الأشواك يضغط عليه ضغطاً شديداً، لأن البارومتر مؤشره ثابت على العاصفة وكذلك بارومتر الجو النفسى. سيواكب العنف جريمتنا يا «أنّى»، أترين أنت أيضاً هذا الرأى؟ ولكن لا ينبـغى أن يرتكب المرء هذه الجريمة وهو فى حالة هياج، فليس القصد منها تفريغ الهياج، وإنما لابد من أن يقدم عليها الإنسان بدم بارد، ولابد من تحاشى حالة الهياج. أنت على حق تماماً «أنّا» لأن الجريمة تصبح هكذا شيئاً ثانوياً، بينما يجب أن تظل الشىء الرئيسى.

فى الصندوق الفلاحى الكبير الذى يتسع لخنزير مذبوح كامل ألعاب أطفال مهشمة من أيام الطفولة، مثلها مثل كل شىء فى هذه الشقة، أنقذوه وحفظوه فى الخرابة الرصاصية للمراهقين وهو ما لم يبتهج به أحد ابتهاجاً حقيقياً. فى دفتر يوميات «راينر» مكتوب أن المهمة (أياً كانت) كبيرة، ولكن أليس من الممكن أن يكون ذلك بالذات هو مـا يغـرى المرء بأن يتصدى للمشكلة وبأن يكتسب هكذا المزيد من القوة فى نهاية المطاف؟ يتطلب هذا الانضباط والتقدير والتسامح وكذلك التخلى. اليوم يكذب «راينر» على كل من يريد أن يسمع ذلك، وأيضاً على الباقين، قائلاً إن أسـرته تمتلك كل شىء يمكن أن يمتلكه أحـد. إلا أن دفتر يومياته جاء به أنه عن طريق هذا التخلى يزداد ثراءً (لا يعقله أحد!) سيرتقى أعالى فكرية ، حيث تهب ريح قاسية نضرة مطهِّرة، كما يقرأ القارئ بوضوح. أفٍ للشيطان. كل ما تَطهَّر لم يعد فى نظر

«رايـنــر» اليـوم إلا تيـار هواء فى رقـة الشـعـرة وبرودة الجليد دخل عينه. صورة أم الرب (١) اللوردية (٢) التى فى البطـاقـة المصورة تنحنى عند قـدمـى المخلّص وهذا هو مكانهـا فليس مكانهـا فـوق، والريح هـى المسـئـولة. كذلك الماء المبارك فـى قلوب من الفـخـار السـيـرامـيك يتـمـوج ويتـرجـرج. والمسـبـحـة وهـى كـذلك من «لورد» منحـة من إحدى الجـارات تتـأرجح من أثر ريح الشبـاب النضـرة هفـهـافـة هنـا وهناك، الريح النضـرة يـأتى من حياة بدأت لتوهـا مفعمة بالهمة والمأمول ألا تنقطع قبل حينها.

الأم تجـد فى الدين سلواناً وعـوناً فى وضـعـهـا العسيـر كولّادة وقائمة بتدبير المنزل، وبابا يقبل بذلك صـامتـاً على الرغم من أن السـيـد الرب رجل كمـا يدل اسم السـيـد. وهو ليست له عـلاقـة وثيـقـة بالأم، السيد الرب. هـى التى تلح دائمـاً فى الصعود نحوه.

«راينر» لا يـفـكـر أبداً فـى الصــور القــذرة قــذارة الخنازير التى يقـال إنها موجودة، على الرغم مما قـيل

---

(١) أم الرب من المصطلحات اللاهوتية المسيحية وتعني العذراء السيدة مريم أم المسيح عليه السلام. (المترجم).

(٢) اللوردية نسـبـة إلى مـدينة لوردLourdes مـدينة فـرنسـيـة أسفل جبـال البـرانس، أصبـحت منذ منتصف القـرن التـاسع عـشـر مـقـصـد الحـجـاج الكاثوليك، بعـد أن انتشـر بين الناس أن العـذراء ظهرت هنـاك، وهم يزورون المغارة والنبع الذي يصب فيها والبـازيليك المعلقة والبـازيليك السفلية، أملاً في البـركة والشفـاء والمعجزات، وهم يؤمنون بأن مـاء لورد مـبـارك، وأن مسبـحـة لورد مـبـاركـة، وأن العـذراء تظهر. ومـن لا يؤمنون بالمعجـزات مثل يلينك يعتبرون ذلك من الجهل والجهالة وينقدونه نقداً عارماً. (المترجم).

من أن رجالاً غرباء التقطوها لأمه، خرج هذا الموضوع من وعيه بنفس السرعة التى دخله بها. ويقال إن هناك لقطات تفصيلية للعورة ما لا يراه المرء لا يكون له وجود.

الكمبوت يأكله بابا وحده تقريباً، علماً بأن الولد والبنت لا يزالان فى مرحلة النمو، وبابا اكتمل نموه ثم بُتر جزءٌ منه. وماما لا تنال ملء فم، فهى على أية حال التى طبخته.

فى الخارج تتكوم سحب مجهولة سخيفة ستتقيأ بعد قليل. فى وسط مساء من الحياة اليومية.

يبرح التوءمان متلاصقين الحجرة الريفية ويدخلان عالَم الموسيقى التى تبعث من البيك أپ، والفنان هو عكس الفلاح الذى لديه فى بيته مثل هذه الحجرة. «أنّا» تدخل فى الصمت و«راينر» يدخل فى ثرثرة مهووسة يحاول التوسل بها إلى امتلاك العالم. والشاعر مَلِكٌ فى مجاله، يمتلك مملكة الخيال التى لديها أماكن بلا حدود.

المقهى الكافيه Café يتسم بالسمات المميزة لمقهى تلاميذ المدرسة الإعدادية الثانوية الجيمنازيوم ولذلك يختلف إليه كثيرون منهم. يناقشون موضوعات دينية أو فلسفية. تلميذات يذهبن إلى حفلات چاز كنسية ويقمن أول پارتيهات ومن بعد برنامج موسيقى كنسى جميل قُبلة، تلميذ جيمنازيوم يجلس إلى منضدة رخامية ويقول للقطعة المقابلة [للتلميذة التى معه] إن الوقت على الأرجح قد حان لكى يتحول تعارفهما، أول لقاء تعارف خاطف بينهما، إلى شىء آخر، تلميذة الجيمنازيوم لا تزال تسميه زمالة وهو ما يلوح لتلميذ الجيمنازيوم تحفظاً غير مفهوم. وهو على نحو ما يشعر أن هذا بالذات يضفى استمرارية على علاقتهما ويعبر عنها صراحة. ويقول التلميذ بصوت خفيض ناعم إن ذلك مَثُل فى وعيه فى البارتى يوم الخميس الماضى، وفى المقابل زادت سعادته بالرموز التى تعبر على نحو مباشر مباشرة عجيبة عما لا يستطيع المرء أن يقوله بكلمات.

«هانس» ينصت إلى الحوار الدائر بلغة أجنبية ويعبر بنظرة منه على أنواع الآيس كريم ذات الألوان الپاستل، وأكياس الشاى الفتلة المعصورة وكنكات الكاكاو، ويسترد النظرة على التو مفزوعاً عندما يلاحظ أنه ليس هناك من يريدها.

وختاماً يقول التلميذ للتلميذة : مَن الذى أعطى مَن قُبلةً فى يوم ٢٧ مارس المذكور، هذا شىء لن يصل إليه أقدر مؤرخ وصل إلى لبن العصفور.

«هانس» يقول فى نفسه ما معنى كلمة المذكور وما معنى كلمة مؤرخ وما معنى لبن العصفور.

التلميذة تقول إنها تنتظر بابتهاج مسبق الإجازة الطويلة، وإن اليوم العظيم، يوم أول حفل راقص لها، لاح تحت نجم السعد لأننى أحتفظ بأفضل ذكرى عن هذه الأمسية الراقصة من بدايتها إلى آخر دقيقة فيها. لقد رقصنا معاً ولاح لى كل شىء رقراقاً جميلاً. يستخدم تلميذا المرحلة الإعدادية من الجيمنازيوم الماضى المشترك، وعلى الرغم من أنهما يستخدمانه دائماً بقوة، فإنه يبقى فى فميهما كأنه جديد.

وسمع «هانس» كذلك أن الرجل الجالس بجواره، والذى لا يعرف يقيناً شيئاً عما يجب على الرجل الحقيقى أن يفعله وما يستطيع فعله، كان فى منطقة أوتستال بجبال الألب ötztaler Alpen لممارسة التزلج على الجليد. وهو كحاله دائماً عندما يكون وسط الجبال يفكر كثيراً فى التلميذة التى بجانبه. ربما

كانت العلاقة فى البداية غير مفهومة إلى حد ما: السبب هو أننى عند النظر إلى الجبال العالية أفكر أفكارًا عميقة، أليست الصداقة والحب والإخلاص شيئاً عميقاً إنسانياً؟ هذا ما يسأله التلميذ، وتجيب التلميذة قائلة إنها أيضاً مارست التزلج على الجليد، ولكن فى مكان آخر. ومرة أخرى لم يكن بينهما إلا كلمات مكتوبة. وكذلك تلغراف لم يصل إليك قط: عيد فصح سعيد وألف قبلة. (*) «بريجيته» .Brigitte

«هانس» يريد أن يطلب بيرة ثم مرة ثانية بيرة بعدها ثم مرة ثالثة بيرة، ولكن «زوفى» طلبت له من قبل قهوة وكونياك. «زوفى» تصـــــمت فى داخل جونيلتها المكشكشة الغامقة وبلوفرها الغامق. «هانس» كذلك يصمت ولكن يصمت فى داخل كسوة الأخ الغالية. من حوله تتكلم البراءة ويتكلم الأبناء والبنات كأنهم سيتلقون على الكلام أجراً، يتكلمون أيضاً عن أشياء وأفعال وأعمال بريئة. «هانس» ليس ابناً وليس بنتاً لأنه ابن لا أحد.

حديقة براتر Prater المبقعة ببقع شمسية فى أول نور نهار مبكراً، النجيل المبتل، أوراق الشجر المبتلة، هناءة أن يصحو المرء ذات مرة مبكراً، رقبة الحصان المهتزة، ثلوج مسحوقة تتناثر رذاذاً ، صرير كحاتة من الصلب تكحت بقايا ثلوج متراكمة ، ضحك صاخب عندما يقع أحدهم ، ثم أمسية بهيجة ممتعة فى كوخ

(*) في الأصل et basia mille (المترجم).

جبلى واحتساء نبيذ ساخن وبونش Punsch، أغـــان شـعـبـيـة مـبـتـذلة بمصـاحـبـة الجـيـتـار والتسـيهارمـونيكا Ziehharmonika، [1] ثم الخـــروج المشهود أمـام باب الكوخ ، والتطلع إلى سمـاء شتـوية ذات نجوم، القبلة الأولى وأحدهم يعمل المحال وكأنه ينتزع نجمة من السماء.

جولات مثيرة بالسيارة ، الأخوة الكبار يلعبون دور السائق، الأب أهدى إليك سيارة صغيرة بمناسبة الثانوية العامة الماتورا [2] وسيهدى إليك أخرى فيما بعد. أمسيات موسيقية منزلية فى حجرة كسيت حيطانها بالخشب ، والأب يعزف الشيللو، الأم تعزف البيانو وهى طبيبة، الأخوة يعزفون الناى أو الكمان، الوالدان يحبـونهم من فـوق لتحت، رأس السنة فى المنزل المطل على طريق زيميرنج الدائرى Semmering، مع ضحك وكركرة وقبـلات بين الشباب يتم حمل طلبيات الأكل والشرب الثقيلة التى طلبها الحزب المبتهج عالياً إلى البيت، وهو عمل جهيد لا صلة بينه وبين العمل إلا كالصلة بين غسيل سيارة وبين الفرن العـالى فى مـصنع الحـديد والصلب، كم يتـمنى «هانس» أن يحمل أحمالاً أثقل بكثير تكون من الثقل بحيث تثير حتماً إعجاب الجميع به. رغبة متأججة للسفر لكى يذهب الذاهبـون فى عيد العَنصَرة إلى

(١) آلة موسيقية شعبية من نوع الأكورديون. (المترجم).

(٢) المـاتـورا Matura شهادة الثانوية العامة في النمسا. (المترجم).

الدير الرومانتيكى القديم لرياضة النفس وليعودوا إلى أنفسهم ويستردوا ما فقدوه، ويقول قائلهم عندئذ إن وصف جو أيام العَنصَرة هذه ضرب من المحال، إنهم يقولون مراراً إن وصف جو ما بكلام ضرب من المحال، ويستخدمون فى قولهم هذا كلمات كثيرة كثرة فوق التصور، لا يُتوقع أن يظن ظان أن واحداً من الناس يمكن أن يعرفها كلها. يقول التلميذ الذى أصبح طالباً جامعياً إن العَنصَرة، نعم العَنصَرة تذكّر بالقوة وبالروح القدس - أم هل يمكن أن يكمن وراءها شىء آخر؟

«هانس» يمط اذنه ويدببها لأن شيئاً آخر يقيناً يكمن وراءها.

حب بنت صغيرة يا ترى؟ القوة الإشعاعية لهذه الخبرة تستبعد بالأرجح شيئاً آخر! بعد الإفطار تدور مناقشات حول الإخلاص وما يشبهه، ثم تتضافر الجهود لإعداد شىء ما للغذاء، ثم تتصل أسباب مناقشة حول الواجب والعاطفة. بعض الصلوات الكنسية تكون جميلة وعميقة وفى الوقت نفسه متواضعة، وهو ما يجعلها تتغلغل فى داخل عظام الإنسان.

«هانس» لا يزال يأكل آيس كريم وهو يقلّب غشيماً متوتراً بالملعقة فى العصيدة الوردية الخضراء البنية السايحة غير المألوفة له، وكأنه من صغار الحلاليف. ويسأل «هانس»، ألست خنزيراً عكعاكاً، فتبتسم

«زوفى» وأريد الآن قطعـــة من مـــثل هذه التـــورتة بالشوكولاتة. ستصاب بالتلبك والتخمة «زوفى» لم يكن قد رأى «زوفى» قط وهى تأكل، ولكنها على الرغم من ذلك تأكل لأنها دائماً قائمة الأود ولأنها تروح وتجىء وتستهلك سعرات.

حفلات أعياد الميلاد التى فيها كل واحد يحب كل واحد والمشاحنات الصغيرة لا تؤدى إلا إلى تعميق الحب، بدلاً من تهرئته مثل حامض النيتريك المتصاعد دخانه؛ كنيسة باردة، كلمات طليقة، نغمات جيتار، اتحاد مجموعة متحدة، ثم علينا أن نستأذن الأب «كليمنس» Clemems للأسف! محاضرات بالشرائح الضوئية المصورة، طريفة ومفيدة فى نفس الوقت. نزهات مسائية والسماء صافية ظاهرة النجوم على أرض ملك خاص. شىء يعنى بداية جديدة ، برعماً جديداً يوشك أن يزدهر. ما الأبدى إلا سكون، نبرة الفناء، هكذا كتبت فى دفتر اليوميات المذكور. شمس وأبوان متفاهمان، مشاهدة القصر مراراً، وداع متكرر، إحساس بالحزن ولكن العين ضاحكة، لأن التلاقى مراراً فى حيز الاحتمال، أخوة يساعدون المرء على تجاوز المحن بألعاب تسلية جماعية، أخوة يتشاحنون وهم يضحكون، بيانو، ديبوسّى Debussy لوحـــات تأثيرية، بحيرة، غنم، طحان من الغابة، سحب ذهبية، جولات والحقائب على الظهور. لقاءات صغيرة بخطط كبيرة ، فرقة موسيقى الهوفبورج Hofburg نوادى الجاز ، ليمونادة، حمامات سباحة، قيام من

مـــرعى البلدية فى الألب، للأسف الثلوج قليلة، إصابات فى أثناء التزلج على الجليد، ولكنها تشفى، فكاهات تجعل المرء ينسى سرير المرض. أحاسيس يشعر بها المرء، مفاجآت عيد الميلاد، أمسيات أنشودات سمع فيها السامعون فيشرديسكاو [1] Fischer-Dieskau. فراش يضطر المرء إلى التزامه، حمى تخف، زيارات لقاعات عرض لوحات فنية، درجة مقبولة على واجب مدرسى فى اللغة اللاتينية لابد من الاحتفال بها. زيارة الجدة. مطر، سماء ملبدة، أنوار الشارع، المقعد الخلفى بسيارة، سندوتشات كايزر بالسجق، غضون ضحكة صغيرة، صور فوتوغرافية، منديل راس حريرى، مسائل تفاضل وتكامل، ترجمة كيكيرون Cicero، تأملات، هل يجوز من أجل الحقيقة إنزال التعاسة بآخرين أم لا يجوز. ما الحقيقة، ما هى الخسة وما النفاق؟ استماع إلى إسطوانات، مناقشات فى ضوء الشموع. فستان جميل، أو فستان سهرة، تندس الواحدة فيه لتذهب إلى مسرح بورجتياتر Burgtheater الذى يعجبها جداً. دون چوڤانّى [2] Don Giovanni فى الأوبرا، إعجاب شديد. الولد الذى لا يعرفونه إلا مشاركاً فى لعب التنس وصاحب ضربات قوية فيه يحمل عنك المعطف بأدب عند الجاردروب، كأنه تحوّل كل التحوّل ويقبّلنى فيما بعد فى الحديقة. هكذا تجاوز الخط الفاصل بين طفل وبالغ. هو حدثٌ

(١) مغني أوبرالي مشهور. (المترجم).

(٢) أوبرا من أعمال موتسارت. (المترجم)

جاد تحتفل به الأسرة، وهى نقطة يبدو فيها كل شىء فارغاً وتتكشف فيها الوجوه فهى أقنعة خاوية حيث يقف المرء أمام هاوية سحيقة لا يعود أحدٌ يرى لها مخرجاً، يتألم وهناك تعبيرات كثيرة لوصفها وصفاً دقيقاً. هذه المشكلة ستجرى مناقشتها بعمق فى دائرة الأصدقاء الصغيرة وتنتهى بتفاهم مشترك، وبهذا تنتهى المشكلة كذلك آلياً. حُب. الجاهل وحده هو الذى يغضب، الحكيم يفهم أو جملة أخرى، فى آخرها يقف الإنسان أقرب ما يكون من الحب الإلهى. شىءٌ ما يُختم بقبلة طويلة وينتهى بسلام. محادثة بالفرنسية والإنجليزية.

«هانس» ينخر بقواطعه العلوية فى شفته السفلى هنا وهناك، وسرعان ما ينشأ خرم فيها هو على أية حال أفضل من هاوية مبدئية تنفتح أمامه. هناك مبدئياً على الرغم من ذلك فهم بينه وبين «زوفى» التى تمص ليمونادة بالمصاصة. أمها أصيبت اليوم مجدداً فى وقت مبكر بنوبة صرع وصراخ قبل أن تقلها السيارة إلى بنكها الخاص الذى عملت فيه شيئاً ما. «هانس» يلعِّب عضلاته كحاله على الدوام، وهو لا يخفى ذلك بل يتزلج على كرسيه هنا وهناك، كأنما قضى الحاجة فى بنطلونه فملأه، ويغمز لـ «زوفى» معبراً عن الألفة ويصور من جانبه حكاية سكْر هائلة خرج فيها صديق وصديقان من أصدقائه على حدود الأدب بشكل هزلى جداً وأتوا بأعمال عنيفة فاجرة وتحطمت فى أثناء ذلك أشياء إرباً إرباً. وهو يتكلم

بصوت عال صارخ، يسمعه كل إنسان، ولا يفهمه أحد، ولكن الناس متسامحة حيال ما لا تفهمه وتجلب التسامح بالنقاش جلباً حيث يعز التسامح.

حتى لو كان الأمر هنا أن أحداً يتحتم عليه ذات مرة أن ينفصل عن الآخر، فإن بريقاً فى العينين بسبب لقاء ثان سيتم يقيناً عما قريب، وداعاً يا حبيب قلبى (*) ، سيارة فولكس فاجن خنفساء رمادية تزحف حول الناصية وتختفى، ولكن الكثير يبقى: صداقة وقيمة إنسانية. وسط فكاهات حسنة النية من أسرتها التى تتناول فى ذلك الوقت طعام الغذاء تهب بنت واقفة فجأة كأنما وخزتها عنكبوتة التارنتولا تستقبل صديقها الذى انتظرته طويلاً وقد عاد لتوه من جولة تسلق الجبال. ثم تقوم الأسرة كلها بعد ذلك بنزهة جماعية، هذه النزهات الجماعية التى تمتد من خلال المكان مثل الضباب العالى تغيظ «هانس» غيظاً عارماً، فينهال بالملعقة على آخر قطع الآيس كريم فى الكأس المعدنية يفتتها، هكذا يصب جام غضبه على مواد غذائية بريئة.

أحاديث عن الثلوج المتدافعة فى الوديان ومغامرات اختراقها، وداع الأسرة الموقرة، الفاميلى. الأخت العزيزة كريستينه Christine التى عرفت سر اللعبة المسلية. ذهاب إلى البوسطة، ومشوار ساعة ونصف، ساعات مريحة فى بار أنكل سيپ .Onkel-Sepp-Bar

(*) بالفرنسية adieu, Chou-Chou . (المترجم).

فتى شاب نزل إليها من الجبل بعد أن كان قد صعد إليه. إحساس عجيب جداً، ينساب منى إليك وإلىّ منك. أوه ماما، تطامن رأسها بلطف. نزهات إلى ليرشنشلاج .Lärchenschlag إنسان لا يحب شيئاً قدر حبه للنظر إلى النجيل والسماء.

«هانس» يشمشم فى التيارات التى تنساب حواليه من الإنسان للآخر ومن الآخر للإنسان. ما هذا التيار الذى ينساب؟ الأشخاص المعنيون لا يعرفون له اسماً، على أية حال اسماً مباشراً، بل اسماً غير مباشر يربط كل هذا برباط واحد، هو كلمة «أنت» [التى تعنى رفع الكلفة، لا حضرتك، سيادتك] نبدأ فى اتجاه المستشفى على طريق زيميرنج الدائرى Semmering الطرق العلوية والأنفاق. صعود إلى فندق يوكيلهوف Jockelhof، ترتيب الحجرات ، الطعام ، نوم القيلولة، كسل فى الكتابة فى أثناء العطلة، طبقة ضباب وسماء زرقاء تضحك دون أن تعود بها حاجة على الأرجح إلى الضحك. مادة غزيرة يمكن أن يتكلم المرء عنها. الفهم المشترك.

«هانس» يسعل مضطراً ويبصق فى طبق الفنجان نصف القهوة التى طلبتها له «زوفى» علاوة على ما كانت طلبته له من قبل، والقهوة تصعد فى جوفه مختلطة ببصاق. فى مخه خرق كبير ربما كان من الممكن أيضاً وصفه بأنه العدم بصفة عامة. عندما يتكلم تلاميذ الجيمنازيوم معاً فإنهم بكل بساطة

يكونون هناك من أجل أنفسهم، وفى بساطة الشكل الخارجى بالذات يأتى التعبير عن «عمق المضمون الذى لا يحيط به قياس»، هذا ما يقولانه بصوتين. كثيراً ما يكون من المفيد ملاحظة البشر المشاركين لنا، ومن أجل هذا الهدف يقعد المرء على بقية من جذع شجرة مقطوعة. هذا الهدف على طرف لساننا واسمه الحُب.

الذخيرة التى لا تفنى التى يغترف منها الناشئة المحيطون بـ «هانس» تتيح الآن لقاءً قصيراً للنظرات واستراحة متداخلة. عندما يقعد المرء على شجرة مقطوعة وسط غابة إبرية ويتمتع بالشمس فإنه يستطيع فى أثناء ذلك أن ينسى الساعة، لا الساعة المصنوعة من الذهب بل الساعة من الزمن.

عن غير عمد نظر «هانس» إلى ساعته القديمة حول معصمه، ليتأكد هل نسيها فى مكان ما. مازالت موجودة.

«زوفــى» تصمت، وكل شىء فيها كذلك يصمت. وهى لا تفقد شيئاً فى أثناء ذلك لا هنا ولا فى أى مكان آخر. بين الفينة والفينة تحيِّى شخصاً تعرفه. وعندما تتبادل مع واحد من هؤلاء بعض الكلمات فإن مشاركة عجيبة فريدة تحدث. «هانس» يعتقد أن ما بينها وبينه هو الحب. هى تهز كيانه، لأنها بصفة عامة تهز كيان الشخص المحب، ولكنها تهز كيان «هانس» أكثر لأنه لا يعرف أشياء يمكنه أن يقارنها بها. لقد وجد نفسه فى مواجهة الحب دون معين.

تلميذ آخر يقارن الآن شخصين متفاهمين بشطرى كرة ينضمان معاً بدقة فتنشأ كرة. هما يتحادثان دون تكلف ممتلئين بثقة متبادلة يعكسها هذا الشكل الهندسى والمكانى الكامل.

وداع يفكر المرء حياله هل ينبغى أن يشعر بما يشعر به عند التحية، مع فارق يتمثل فى تلقى هدايا أغلى، إذ إنه قد تلقى من قبل بعضاً منها.

لم يقدم أحد إلى «هانس» حتى الآن هدايا إلا «زوفى» أهدته بنطلوناً وبلوفر وكانت أمه بين الحين والحين تشترى له شيئاً عملياً. «زوفى» تسأل «هانس» عن رأيه فى الجرائم. «راينر» يريد ارتكاب جرائم وهى تعتقد أنها الآن نهائياً تريد ذلك هى أيضاً. هؤلاء الصبية هنا يقرفوننى قرفاً مميتاً ، ألا تشعر بذلك أنت أيضاً؟ أنت على أية حال وبغض النظر عن هذا معتاد على أشياء أخرى غير الأحاديث الصغيرة التى يخوض فيها التلاميذ.

«هانس» الذى لا يريد شيئاً إلا أن يكون تلميذاً يقول إنه كسر أجهزة البيع الأوتوماتيكية وسرق ما بها، ولكنه يريد الآن أن يعيش حياة طيبة لينال المرأة التى يحبها ، ولكنه لا يقول من هى، لا، لا، لا يجد لديه الشجاعة ليقول من هى.

«زوفى» تسأله هل هى «أنّا» ويقول «هانس» لا، لا، ليست «أنّا»، ولكننى لا أكشف السر ولا أقول من هى فى الواقع، ويحدق فى «زوفى» بنظرة كنظرات العجول المدهوشة الغبية لكى يجول بخاطرها أنها هى.

«زوفى» لا تستطيع أن تستنتج شيئاً من تعبير الوجه الغبى وتسأله هل من رأيه أن ارتكاب عمل غير قانونى يمكن أن يخلص المرء من التردد. «هانس»لا يعرف هذه الكلمة. كلمة غير قانونى.

إذا أنا شربت الآن فوق ما شربت كأس كونياك، فسأبدأ هنا فى إطلاق زغاريد اليودل وأنهال على تلميذ أو اثنين بضرب مبرح.

لا، لا، أقول جاداً إننى أجد ما يغرينى بأن أضرب أصابعى فى شىء حىّ. ظل «هانس» دائماً لا يضع يده إلا فى جبس مبتل أو عضو مبتل «هانس» يقول إنه الآن ساخن من أثر الكحول على الرغم من أنه معتاد على أشياء فى شرب المسكرات، فقد عب ذات مرة ثلاثة لترات من البيرة دفعة واحدة، يا يا يا، أعلى تركيز، أهلاً تشرفنا.

«زوفى» تحملق فى «هانس» كأنها تراه لأول مرة، وهذا شىء يحدث دائماً فى وقت ما، ذات مرة، بين رجل وامرأة قبل أن تأتى المرحلة التالية. نظرتها تحيط عن وعى بالوجه والجسم لكى تتلقى انطباعاً كاملاً، موسم الرقص انتهى ولم يعد يقف ببابها كما فعل مراراً. افتتحت حفل الأوبرا الراقص واضعة تاجاً صغيرا من الإستراس (*) على رأسها، جنون، ولكن

(*) الإستراس نوع من البلور المتميز الذي ابتكره الجواهرجي ستراس Stras شبيهاً بالألماس ويستخدم في أشياء ترفية تقلد الألماس منها النجف ومنها الحلي ومنها التطريز. (المترجم).

ماما كانت مصممة على ذلك. الآن وقت عطلة، ومن الممكن تقييم وجه هذا الذى اسمه «هانس» كذلك هذا الوجه هو إذًا وجه بشرى، وتفكر «زوفى» فى أن الطبيعة منوعة تنوعاً واسعاً مدهشاً. هناك يسار متطرف ويمين متطرف يتقاربان جداً، بل يوجد شىء مثل هذا الـ «هانس»، وهو على ما يبدو لا يزعج ولا يعوق أحداً. هناك فى الطبيعة أنواع وأشكال مختلفة وهناك جنسان مختلفان كل الاختلاف. و«زوفى» سليلة جنس نبلاء عريق.

قبل شهور عديدة نسيت «زوفى» بين ذراعى مشاركها فى الرقص كل شىء، ونسيت قبل كل شىء البيئة المحيطة، وهى الآن تريد فى عملية مختلفة تماماً أن تنسى كل شىء مرة أخرى. لديها الآن ما يتمناه آخرون لأنفسهم وكل ما تريده الآن دائماً هو أن تنساه. ليس لكِ أن تفعلى هذا، لأنك سليلة أسرة لم تعتد شيئاً من هذا القبيل، هذا ما يقوله لها «هانس» الشىء الرئيسى هو أن أعتاده أنا، هذا ما تقوله «زوفى» التى تود أن تهدم الكثير رأساً على عقب، وهو ما يود «راينر» و«أنّا» أيضاً فعله. إلا أنهما يريدان هدم أشياء مختلفة لأنهما عندهما أشياء مختلفة.

«راينر» الذى لم يكن مدعواً على الإطلاق، والذى استنتج هذا من خلال أسئلة أريبة، يدلف إلى المقهى ويوزع التحيات دون تكلف فى كل اتجاهات الرياح الأربعة، فلا يردها أحد، ويتكلم من ناحيته على الفور

عن جرائم. ربما انتقل الموضوع بالعدوى. وهو لا يريد أن يتكلم عن حبه لـ «زوفى» حيث إن هذا الـ «هانس» حاضر، وهو يشرح قائلاً إن المرء ينضج على خبرة الإجرام. وفى رواية «الغريب» لـ «كامى» Camus التى يقرؤها الآن مع «زوفى» وحدها دون غيرها يدخل البطل السجن كذلك. ولما سمع، وقد حكم عليه بالإعدام، نغمات رقيقة فى الخارج صادرة عن الطبيعة، أصبح حساساً للفروق المتدرجة. وهذا شىء مهم لأن الحياة اليومية كثيراً ما تحطم الحساسيات أكثر من أن تنشئها. ناشطون فيناويون سيحطمون عما قريب أجسامهم (وهو المتوقع)، ونحن نريد أن نحطم أجساماً غريبة، وهو ما يجلب لنا رضا أقوى. ومن هذا الذى يحطم بإرادته الحرة جسمه الذى لا يحوزه إلا مرة واحدة فقط، هذا ما يسأل عنه «هانس» فنان قد يبتر بعض جسمه بنفسه، وهذا شىء طيب على هذه الشاكلة. كذلك أنا أريد أن أمزق نفسى إلى أشلاء أرميها بعيداً.

أنا على سبيل الإجمال أريد أن أرتمى على «زوفى» وأن أعاشرها هذا ما يفكر فيه «هانس» سيفعل مثلما فعل مع «أنّا» ولكن على نحو افضل بكثير لأن حباً سيُضاف إلى ما كان.

«زوفى» تتطلع إلى «هانس» بانتباه. «راينر» يريد أن تتطلع «زوفى» بانتباه إليه هو بدلاً من «هانس» ويلقى على الأرض بكأس آيس كريم جاءته لتوها. وقبل أن

يستطيع أن يدوس من كل ناحية بنعله على كرات الآيس كريم الملونة بألوان مختلفة لأن طعمها لم يعجبه ولأن الفلوس التى دفعها فيها ليست هى الحاسمة عندما يستشيط غضباً، تقول «زوفى» : أنت جننت. إذا طلبتِ منى يا «زوفى» فسأقول لـ «هانس» إن عليه أن يأكل هذا الآيس كريم بالملعقة عن آخره، أنت اليوم تعود إلى التصرف بطريقة صبيانية كاملة (زوفى). سأريك تواً من الذى يأكل ماذا بالملعقة عن آخره.

الجرسونة التى تلبس أسود على أبيض تتحرك مسرعة متلوية فى كل اتجاه كالعرسة وتدع الشريحة العالية من الشبيبة يحادثونها محادثة الند للند فيتحول الأسود على أبيض إلى رمادى لأنه أكثر تحديداً، ولا بد من أن تكون للمرء عين تدرك هذه الفروق، هناك فئة يكلمونها سواسية على الرغم من أنهم يقطنون فيلا من عشرين حجرة فى «هيتسينج» Hietzing . يأتون إليها بهموم صغيرة ، أساساً هموم مدرسية، تحاول بعدئذ أن تحلها. كل مهنة تحقق الرضا إذا مارسها المرء بعناية، وهذه المهنة ترضى صاحبتها بصفة خاصة لأنها تكون على علاقة ببشر. والمادة البشرية التى يجدها الإنسان هنا طيبة.

وعليك يا «هانس» أن تأخذ فى اعتبارك أن المهم ليس الـ «ماذا» ولكن الـ «كيف».

«راينر» يقول إن جريمة قتل أو اعتداء ليست جنوناً بل هى نهاية عقلانية إذا كان المرء يقيم لنفسه وجوداً أساسه المادى غير مضمون.

«زوفى» تجيب قائلة إذا صح ما فهمته فإنه لا يجوز ارتكابها إلا من أجل فعل العنف ذاته.

ليكن، والمال بطبيعة الحال شىء ثانوى. ما القتل إلا قليل من المادة المهوشة المضطربة (راينر).

«زوفى» ترد بشىء، و«هانس» ينضم إليها. يرى رأيها. ويقول، أنا على رأى «زوفى»

«راينر» يقول له إن عليه أن يسد حلقه لأنه لا يعرف قطبى التفكير، لا يعرف استقلاله الكامل ولا يعرف تبعيته الصارمة. «زوفى» ترسل «راينر» لينجز واجبات المدرسة لكى تثير حفيظته وله بعد ذلك أن يفكر فى شىء جميل يشتريه بالنقود التى غنمها. «راينر» يصرخ قائلاً إن المال لا أهمية له عنده كما أن المال لا أهمية له عند «زوفى»، فهو مثل «زوفى» تماماً وهو يشعر كما تشعر هى بالضبط. «زوفى» تستمر فى الكلام، ربما دراجة، كتباً حافلة بالتعليم، صندوق قطع تشكيلية لبناء نماذج، والآن عليه أخيراً أن ينصرف، فهى اليوم على موعد مع «هانس» وليس معه ولا يجوز له أن يتجسس عليها.

«هانس» يقول إنه يرى رأى «زوفى».

«راينر» يحدد قائلاً إن الذى يوجّه الموضوع لا يتجسس، فهو يمسك فى يده بكل الخيوط. وهو قد

كتب قصيدة جديدة خصيصاً لـ «زوفى» يُجْهز فيها على التفكير المسيحى بحيث لم يعد نهائياً يحسب له حساب.

«زوفى» تقول «راينر» سيستمر فى كتابة قصائد عندما يصبح موظفاً هماماً فى خدمة الحكومة. «هانس» يقول موجهاً الكلام إلى «زوفى»، إنه يرى هذا الرأى. «زوفى» تشعر بوضوح عندما يأتى «راينر»، تشعر بذلك كالعادة السرية «هانس» يقول لـ «زوفى»، إنه يرى نفس هذا الرأى الذى تراه. وهو مستعد لأن يمهره بتوقيعه بالتمام والكمال.

«راينر» صرخ فى «هانس» أنت يا جاهل ويرى بقعاً حمراء أمام عينيه. هذا الذى لا يزال يراه للأسف أمام عينيه هما «هانس» و«زوفى» فى شكل منحرف من التفاهم يجرى على مستوى منخفض لا على مستواه.

تلك ضحالة، أما فى حالته هو و«زوفى» فالمستوى هو مستوى العمق. والعمق لا يتجه إلى أسفل، بل إلى الداخل. وهو يقول إنه لا يهتم لا بشىء ولا بوالديه اللذين يكرههما، كذلك يكره كل شىء ولهذا فإننى أكثر حرية منكما! لقد قرر أن لا شىء يهم. ولكنهما لابد من أن يعرفا عن تجربة ما هو العدم الذى هو عدم.

يقول «هانس» لابد من أن أرى أن «زوفى» على حق تماما، وأن أضربك أخيراً يا «راينر» على فمك. إلا أن

«زوفى» تمنعــه. «راينر» لاحظ أن «هانس» عنصـــر غـريب مناوئ فى حــيـاة «زوفى»، ولكنه لا يجــوز أن يخلط بينه وبين الفاعل الغريب. ذلك أن «هانس» على وجه التحديد فى الواقع شىء مفعول بالنسبة إلى «زوفى» ولا شىء غير ذلك.

زفت، الآن نسيت محفظة نقودى، هذا ما تلاحظه «زوفى» ليكن، سلفنى حتى الغد بعض النقود فقد دعوت «هانس» على حسابى. «راينر» الذى يعرف أنه لا ينبغى له أن يرتكب الصغائر حتى لا يبدو صغيراً ، يدفع على الفور الحساب، ولكن ليس بدون أن يبين لـ «هانس» بوضوح أنه هو الذى دفع حسابه.

زوفى تطل من الشباك

إلى الخارج وإلى داخل شارع الڤيلات الهادئ.

«هانس» يقول، أنا موافق على رأى «زوفى» تماماً.

كانت آهات الألم التى تبثها الأم تنفذ الآن فى الليالى على نحو متزايد فتصل إلى الأذن الحساسة المشحوذة الحادة للابن والبنت فى منتصف مرحلة النمو. وهما كثيراً ما يسمعان أن بابا يريد أن يقتل الأم بالرصاص لأنها ضيعت شرفه. ولكن «راينر» لا يرى إلا أنها ضيعت حياتها بلا معنى، فهى لم تضيع شرفه قط ، ومع من، ببنيتها الخارجية كما أصبحت فى هذه الأثناء. حياة الأم سلسلة طويلة من سنوات لا معنى لها، كما أن الطبقات الدنيا سلاسل من أناس لا يبرز من بينهم واحد أبداً. المألوف أن يبقى الناس لاصقين فيها ولا يصلون إلى المرحلة التالية أبداً. نادراً ما يصعد أحدهم إلى حيث يكون مكان أبرح يتمدد فيه ويتطور. أما فى قباء الجاز فهؤلاء الناس مواطنون من الدرجة الثانية ما لهم إلا قليل من التطلعات وهم الوحيدون الذين ينصتون إلى «راينر» عندما يلقى محاضرة طويلة سواء عن الرب أو موسيقى الجاز الحديثة الجميلة وبنائها. زملاؤه من تلاميذ المدرسة ينصرفون عن المكان دائماً على الفور

عندما يلمحونه، لأنهم يعرفون: أن محاضرة مملة تنتظرنى وأنا نفسى لا يتاح لى أن أتكلم. هذا الولد ممل على نحو قاتل. ليس هناك من حل إلا الابتعاد بعيداً. كل واحد منا يعرف حقاً أكثر منه ولكنه لا يترك لأحد فرصة الوصول إلى جمهور.

عندما تكون ماما قد كتمت آهات الألم فى داخل الليل، فإن «راينر» يتطلع فى صباح اليوم التالى إلى أبيه على نحو يجعل الأب يقول فى الحال لشهود : انظروا إلى هذه النظرة! ماذا يمكن أن يفعل هذا الولد بأبيه!

فى أثناء الإفطار تلوم «أنّا» أمها لأنها حطمت حياتها، حياة الأم، ويتنبأ «راينر» لأبيه بأنه هو ، «راينر»، سيقوم بنفسه شخصياً بتحطيم حياته، حياة الأب.

«راينر» قائد بطبيعته، وهذا شىء يراه كل إنسان على التو، ولكن لا أحد يبذل جهداً فى النظر إليه بمزيد من الدقة. ولهذا فلا مجال للسؤال من يكون القائد لو جرت عملية بلطجة، الجميع ينظرون إليه ماذا يقترح بشأن التنفيذ، «زوفى» أكثر من ينظر إليه، وتتحول عاطفة ناشئة إلى حب. والخطوة التالية هى ألا يكون الحب مرة أخرى عرضة للشك، وها هى ذى جاءت.

أما أن يكون «راينر» قد عرف الرعب فتلك قوة أتيحت له. وكثيراً ما يغشاه الرعب على هيئة حلم يعبر فيه الشارع ليلاً وتتساقط الأوراق من

الأشجار وتغطيه كاملاً. وعندما يكتب شعراً بعدئذ فالكتب تحرك قريحته أو الجو.

اليوم يوم المدير، وهذا يعنى يوماً مدرسياً على سبيل الاستثناء لا تهيمن فيه المدرسة كمدرسة. هذا اليوم غير المألوف الذى تتعطل فيه الدروس ينقسم إلى أنشطة متباينة تبايناً عنيفاً تؤديها مجموعات من أشخاص مختلفة أشد الاختلاف. يخرج «راينر» من البيت مبكراً ويذهب إلى ورشة أقفال ومفاتيح تحدوه رغبة مبهمة مهزوزة فى أن يستصنع مفتاحاً مقلداً على بصمة شمع غير محترفة. وهو لا يعرف حتى الآن لماذا يفعل هذا، وأغلب الظن أنه يفعله من أجل أن ينتشل المسدس، حتى لا يقتل بابا به ماما، وهو ما صارحها به من قبل مراراً وتكراراً دون أن تكون هناك توابع تُذكر. ولكن الإنسان لا يعلم، الإنسان لا يعلم ... والأمان على الرغم من أى شىء هو: لا مسدس، لا طلقة مسدس. فيما بعد سيكون على «راينر» أن يعرف بعد تجربة أن المفتاح المقلد لا يناسب القفل ولا يقفل، لأنه ليس هناك قط شىء مما ينجزه «راينر» يحقق هدفه الوظيفى إلا أن يكون عملاً بالمخ. ذلك لأن «راينر» إنسان دماغى ، بينما يسوع المسيح إنسان ربانى و«هانس» إنسان فعالى لابد من قيادته. فهو لا يبدأ فى التفكير إلا بعد فوات الأوان. وغالباً ما يرتكب حماقة. ولكن «راينر» يضيف المستردة إلى السجق (*) ويعطى أوامر متناقضة لا يفهمها أحد،

(*) تعبيرألماني ذائع معناه إضافة اللمسة الأخيرة أو ما يعطي المذاق النهائي. (المترجم).

ولهذا ينفذها كل واحد بطريقة مختلفة عن التفكير الذى نجمت عنه.

«أنّا» النصف خرساء تذهب لتعزف موسيقى حجرة لكى يمكن أن تنشأ تحت أصابعها كاتدرائية منيرة من النغم الذى لا يمكن إلا نادراً جداً أن ينبثق عن الفم بهذا التراكم. فى رأسها ظلمات سيئات مطلقة، ولكن اللسان الآن لا يستطيع الاستجابة للأوامر كما ينبغى. «أنّى» وعيناها تتأججان غامقتان جاحظتان من وجهها النحيل المسحور، كما قرأ «هانس» فى رواية غنية بالمعارف، ولكن المرء يتملكه خوف رهيب عندما يرى يأس هذا الجيل فى عينى «أنّا» اللتين ليس لهما جدار خلفى وبهذا يستطيع الخارج الفظيع أن يتجول مباشرة إلى داخل المخ وأن يحدث فيه ألوانا من التخريب العاتية التى لا تعرف الرحمة. «أنّا»تعزف مع نظرائها فى الفكر ثلاثيةTrio لـ هايدن Haydn وتتولى هى الجزء الخاص بالبيانو؛ وضوح «هايدن» يصعد على العكس من غموض «برامس Brahms» أو «مالر Mahler» إلى سماء الحجرة، أما اضطراب «أنّا فيبقى تحت ويهيئ له مستقراً بيتياً فى داخل هذه البنت. تتبع هذا الاضطراب بعد أداء دورها الرغبــةُ فى الجرح ، فى القتل، فى الاستيلاء على كل شىء. وإحساس مزعج نافذ، يقول «هانس» ويعنى «هانس» .ولقد أصبح «هانس» يكثر من الاختفاء على نحو متزايد والأمل معقود ألا يكون عند «زوفى»، ولكنه ربما يكون عندها. «زوفى» لا تدخل

أبداً فى علاقة حميمة، وكذلك الأخ «راينر» يعتبر العلاقة الجنسية حطاً لشأن المرأة بل والرجل. ولو فعلت «زوفى» على عكس المتوقع لكف «راينر» فوراً عن اعتبارها حطاً للشأن، ولاعتبرها رقياً إلى أعلى الأعالى. لا يزال لديه على أية حال تطلعات إلى التقدم ولا يزال أمامه أشياء، وإلا لكانت للأسف وراءه. والمرء يفضل دائماً أن يكون الخير أمامه على أن يكون وراءه.

«أنّا» تعزف الجملة الموسيقية السريعة على اعتبار أنها لآلئ من نوع اللآلئ اليابانية المولدة، آلة الكمان تطلق النغم على نحو ردىء، حس «أنّا» السمعى ينوح شاكياً ويطالب بمزيد من التمرين على الكمان. العزف اليوم للمتعة لا للعمل. قلب الأم «فيتكوفسكى» البعيد يمكث بقوة عند «أنّا» التى تحقق أخيراً أحلامه أحلام البنت الصغيرة عن الفن والثقافة، ما لم تحققه بنفسها لأنها تزوجت هذا الضابط الفظ الذى كانت صنعة يده القتل وصنعة رأسه التمتع بالقتل. فهى لم تتعلم عزف البيانو إلا لأربع سنوات، وهذا لا شىء بالنسبة إلى آلة كبيرة من هذا القبيل التى كادت أن تكون ملكة الآلات لو لم تكن هناك آلة أكبر منها هى الأرغن، أربع سنوات لا شىء إذا كان الأمر شيئًا ممتعًا. أما إذا لم يكن الأمر كذلك فمن الممكن أن تكون أربع سنوات مثل الأبد.

«راينر» عند صانع المفاتيح والأقفال ثم يستذكر مع صديق من المدرسة لامتحان الثانوية العامة الماتورا،

و«أنّا» تذهب إلى موسيقى الحجرة. «راينر» ليس له إلا زملاء، لا أصدقاء. «راينر»عند زميل.

الوالدان يصوران صوراً فوتوغرافية على عجل كما يفعلان دائماً، لكى يستغلا غياب الأولاد على خير وجه؛ استغل اليوم فقد يكون آخر أيامك. السيد «ڤيتكوڤسكى» أنتِ اليوم الخادمة الآثمة التى يتحتم أن تضرب ضرباً مبرحاً جزاءً لها على ما ارتكبت من أفعال مهنية وخاصة. السيدة «ڤيتكوڤسكى»: آه. (تصاب بكدمات زرقاء). هكذا أنا بالنسبة إليكم على أية حال، خادمة ولا شىء غير ذلك. أظن أن (أستك) الجوارب لم يعد على مقاسى لأن وزنى زاد. فى المرات الماضية كنت دائماً ألعب دور امرأة رياضية تحت الدش.

السيد «ڤيتكوڤسكى» :لا يصح أن تصفى نشاطاً جاداً بأنه لعب. وأنا مجال حركتى محدود بساقى الواحدة، ولكن إذا كان الإنسان يؤدى ما يعمله أداءً جيداً، فلا بد من أخذه دائماً مأخذ الجد. السيدة «ڤيتكوڤسكى» هل علىّ أن أستخدم أكسسواراً يا «أُوتّى» السيد «ڤيتكوڤسكى» لقد أحدثتِ بى اضطراباً فى فهمى ذاتى كمصور فوتوغرافى هاوٍ. وكذلك الخجل كما تصطنعينه خطأ، وكان المتوقع أنْ تستطيعى اصطناعه هو بالذات صحيحاً. وموضوع الإكسسوار لا يمكننى أن أتخذ فيه قراراً متعجلاً، لأن الفنان عليه أن ينتظر الإلهام، والإلهام ضاع الآن.

وأنتِ لتوك أصبتِ طموحى كمصور فوتوغرافى بإهانة محسوسة بكلامك عن اللعب. السيدة «فيتكوفسكى» أنا لم أرد أن أهين طموحك يا «أوتّى» السيد «فيتكوفسكى» ولكنكِ أهنتِهِ ، وهذه ضربة خاصة بالعكاز عقاباً لك.

وتنطلق الضربة على الفور ولكنها لا تصيب إلا الحائط فتحدث به عوارة من عوارات عديدة صغيرة ألمت به لأن الزوجة قفزت فى اللحظة المناسبة منتحية جانباً مستجيبة لرد انعكاسى يتصف استثناءً بأنه صائب شحذته فى مواقف موازية. هذه العوارة موجودة فى جمعية عوارات تأتلف من العديد من المتساوين فكراً جاءوا من عمليات مشابهة سابقة، أضافت إلى تشوهات الحائط الذى كان أصلاً متشرخاً متهرئاً المزيد من التشوهات.

من العجيب أن يكون لليوم جزء ثان لأن الجزء الأول كان طيباً ، وهذا الجزء الثانى يسمونه بعد الظهر. وهو يأتى بعد تناول طعام الغذاء الذى تنبأ «راينر» فى أثناء تتابع فصوله لأبيه بكلمات وفيرة أنه سيهدم عما قريب حياته، حياة الأب.

الآن يخرج الوالدان فى ثياب أيام الأعياد، الأب كالمعتاد دائماً يلبس ملابس خارجة من العلبة ، وهو يشترى لنفسه كل أسبوع كرافتة جديدة، والقمصان قد كويت بثنيات كالسكين الحادة فأصبحت أدوات

للقتل، وهو فى نهاية المطاف بطل نساء [زير نساء] وله هذه الشهرة، والأم كأنما أخرجوها من جردل الزبالة، تلبس قطعاً من الملابس المتناقضة لا تأتلف معاً على الإطلاق ولم تكن لتأتلف معاً حتى ولا فى صبا ثيابها، يخرج الوالدان هكذا لزيارة عمة [أو خالة] بعيدة القرابة، كانت نظرة ?راينر ?دائماً تلوح لها مريبة، تتسم بشىء ثاقب ولئيم، وهذه العمة تعتبره قادراً على ارتكاب كل شىء. ولو سمع ?راينر ?برأيها هذا لسعد به.

الوالدان سعيدان خارج البيت، والتوءمان سعيدان داخل البيت، واليوم على سبيل التغيير تلتقط «أنّا» صوراً فوتوغرافية. فى الأسبوع الماضى رأى «راينر» فى حجرة «زوفى» صورة أخيها الأوكسفوردى يلبس زى الشيش ويمسك سيفاً. اليوم يُخرج «راينر» سكين كشافة هى بحسب مقصودها الأصلى خنجر شبيبة هتلرية (١٦٥) على الاستيداع، ويقف بكل ما استطاع من قوة الوقفة التى رآها فى صورة الأخ. الساقان فى وضع الخطوة إلى جانب وفى إحدى اليدين الخنجر واليد الأخرى مثنية قليلاً وبرشاقة فى الهواء. النتيجة: شىء مؤسف محزن. انتظرى يا «أنّى»، أعرف شيئاً أصلح به النتيجة المؤسفة المحزنة، ألا وهو الحربة التذكارية التى آلت إليه من أبيه نفسه، لا

(*) هتلريوجند (Hitler-Jugend (HJ) . (المترجم).

يصدق المرء أن هذا الشخص الفظيع له أبوان أنجباه ووضعاه، ولكنه له والدان، والدليل على ذلك: الحربة التى ترجع إلى الحرب العالمية الأولى. أتعرف فى أى علبة مسحوق غسيل كرتون قديمة من علبنا الخمسمائة توجد الحربة المشئومة، سؤال تسأله «أنّا» وقد تملكها الشك (اليوم يعمل شقها الصوتى فتتكلم) وتدع عينيها تتجولان وتنقل الفيلم إلى الصورة التالية. نعم أعرف، الشنطة الكرتون فى الصف الثالث من أعلى، وهى رقم أربعة من الشمال، إذا استمرت هذه العلب والشنط الكرتون فى التزايد على هذا النحو، فستحصرنا ذات يوم وتسد علينا كل مخرج. وستستخرجنا فرق الإنقاذ مخنوقين تماماً، إن هذه الكراكيب تكفى للقضاء على خمس حيوات.

يجرى فتح الشنطة وسط صفوف مترنحة من علب الكرتون واستخراج الحربة من فراشها الصغير بين الكراكيب، والآن يعود الموضوع كله من أوله. بمثل هذه الحربة القاتلة الطويلة (النصل طوله ٢٥ سم) يمكن تحقيق إنجاز مزدوج جيد، وهذا هو ما حدث. تلتقط «أنّا» الصور، تعبير وجه «راينر» الفتّاك يناسب الصور لأنه فى أثناء ذلك يفكر فى شىء عنيف. لا يكفى أن يكون تعبير الوجه فظيعاً فحسب، بل لابد من أن يعكس تعبير وجه إنسان يقرأ «ألبير كامى» Albert Camus وينتقل حتماً من عذاب العالَم إلى القتل. ألبير

كـامىAlbert Camus عدَمِىٌ وجـودى (١)، ولـكنه يـؤمـن بالرب وهو ما فعله «راينر» ذات مرة على سبيل الخطأ وما لا يزال يتعافر فيه دائماً، ولكن حتى إذا كان هناك «كامى» من هذا النوع يتعافر فإن المرء يكون فى صحبة طيبة. «كامى» فوق عدمى العدمُ عدم وهو لهذا بلا معنى. إن التعلق بالعدم جبن مثل التعلق بصنم. واللامعقول(٢) فى رأى «كامى» ممكن فى رأيى أن يعتبر مساوياً للعدم. و«كامو» يجعل من الألم المبدأ العالمى، الألم والملل. وكلاهما يعرفهما المرء بالمشاهدة الشخصية. يُرجع فى هذا الموضوع إلى: «المفتونون» (٣) .والأفضل أن تكون القراءة مع المرأة المحبوبة التى تختلف عن النساء الأخريات فى أنها أصبحت نهائياً لابدنية. «أنّا» وماما ممنوعتان تحت التهديد بالإعدام من أن تتركا فى مكان ظاهر للعموم قطع قطن أو فوط عليها دم. هذه المواد من المحتم القضاء عليها أو إزالتها دون أثر. و«أنّا» على أية حال

(١) عـدميNihilist من العدمية Nihilismus ، ووجـودي من Existenzialismus من الوجودية . (المترجم).

(٢) Das Absurde (المترجم).

(٣)المقصود مسرحية Les Possédés (١٩٥٩) وترجـمت إلى الألمانية في العام نفسه Die Besessenen = المفتونون أو الممسوسون أوالمهووسون. وهي مسرحية عالج فيها ألبير كامى مادة رواية Besy لدستويفسكي التي نقلت إلى الألمانية بعنوان Die Dämonenوهـي مادة مثيرة بنسيجها الذي يغري بتتبع تيارات العدمية والفوضوية واللامعقول وتأويل العقائد والحياة والموت والحرية والألم والخطأ والخطيئة. (المترجم).

تفعل ذلك من تلقاء نفسها، فهى بغض النظر عن أى شىء آخر تجد لزاماً عليها أن تزيل على التو كل أثر لجسمها. إلا إنها تكذب على نفسها وتخفى أنها تحب أن تتيح لـ «هانس علاقة حميمة بها» وهى أحياناً تكف عن الكلام، وأحياناً عن الأكل، فلا تدع حتى الشوربة تجتاز شفتيها، وإن حدث فإنها بعد ذلك مباشرة تدس إصبعها فى حلقها وترجّع من داخلها الشوربة التى لم تضرها بشىء وتتقيأها على هيئة قوس عال. وفى الحال تزيل البقية الضئيلة من سلطانية المرحاض مثل القطنة المبقعة بالدم التى تشهد على عملية حيوية يغلب عليها أن تكون مضجرة. التخلص السريع ، وكأنما لم يكن لها وجود، ثم الانصراف.

«راينر» يتمرن عدة مرات على آلة عجيبة لا يستطيع أى إنسان أن يقول ماذا تمثّل ويحرّك الحربة فى الهواء حركات سريعة. «أنّا» تقول اهدأ ، أنا أرج كل شىء، والدنيا هنا مظلمة. وما يقدمه «راينر» هو صورة حقيرة والصورة الفوتوغرافية التى تنتج عنها منظرها أكثر حقارة منها فى الطبيعة. وعين الكاميرا لا تعرف الرحمة مع غير المتخصص، وهكذا يكون «راينر» أيضاً.

على التو يذهب «راينر» و«أنّا» إلى «زوفى»، «أنّا» على أمل أن تلقى هناك «هانس» ، و«راينر» لأنه ينوى أن يشرح لـ «زوفى» لماذا يتحتم على الإنسان أن يكون عديم الرحمة حيال نفسه وحيال الآخرين. ولكن الأكثر حيال الآخرين.

تحت قيادته وتوجيهه ستحدث جريمة، والمأمول أن تتبعها أخرى، وما هذا إلا بداية مسيرة إجرامية صاعدة.

الكاميرا الغالية توضع كما كانت فى موضعها الذى استراحت فيه بصندوقها الصغير حتى لا يلاحظ بابا أنها فى وقت راحتها اشتغلت سراً لحسابها. يسير التوءمان متجاورين فيدخلان فى ضوء العلن حيث قامت شجرة أسفندان لتوها نائبة عن شجرات كثيرات بهز أوراقها هزاً شريراً، وحيث تقوم شجرات أخرى غيرها وستتفتح عما قريب زهور لتجميل المدينة.

«أنّا» ترفض أى تجميل لشخصها. تندفع تجاه «هانس» الذى ينتظرها يقيناً، وهى معه لا تحتاج إلى تحسين ظاهرها، لأن الأهم عند «هانس» ما تحت القشرة الخارجية. ويخطط «راينر» الذى لبس پلوفر مغسولاً حالاً لشىء مشابه مع «زوفى» وهما يُبَدِّلان المسافة بحديث ثقافى فتزداد المسافة قصراً.

لا يتجاسران على دخول البار أنهما يخضعان لقانون حماية الشباب الذى يقسم الناس إلى طبقتين، هؤلاء مسموح لهم وأولئك غير مسموح لهم. أما ما هو هذا البار فأمر يستطيع الإنسان أن يستشفه من خارجه بالنظر إلى السيارات، هذه السيارات تكشف سر خزائن أصحابها مجاناً لمن يسأل. على الإنسان أن يكون حذراً أياً كان الهدف الذى يستهدفه، وإلا

أتت واحدة مدربة مهنياً وطفشت غير المحترفة. «أنّا» تشرع فى الظهور على هيئة المرأة المغربية أبدا؟ لأن «زوفى» تبدو أشد براءة من أن تصلح لذلك. وليس الأمر هنا لعبة تلعبها طفلة، وإن أتت إلى هنا طفلات بين الفينة والفينة يحمن عندما يحتجن إلى مصروف جيب لشراء إسطوانات جديدة. نحو الشىء الواعد بالكثير فى تايير «أنّا» تتقدم بدلة ليست جيدة التفصيل ولكنها تشتهى المغامرة فى هذه المدينة الكبيرة التى لا هى كبيرة ولا هى مدينة على نحو متميز. يكشف عن البوابة رافعاً ستار القطيفة سالكاً الطريق إلى حجرته بالفندق، تلك التى يفترض فيها أن تكون من الشريحة العالية من الطبقة المتوسطة والتى يظاهر بأنها من الشريحة المتدنية من الطبقة العالية. من تفصيلة البدلة يمكن أن يستشف الإنسان أن صاحبها رجل من الريف يعتقد أن الإنسان يستطيع أن يجنى هنا شيئاً مختلفاً تماماً الا وهو الممارسة الدنيوية الممتعة فى أمور الترف.

هذه الممارسة لا تتاح له لأنه وقع الآن على «أنّا».

«أنّا» هذه تترنح خارجة من باب البيت المجاور، رباه، إننى لا أجرؤ على العودة إلى البيت، لأن أمى، أو على سبيل التغيير أبى، سيضربانى بكل تأكيد، لأننى تجاوزت موعد رجوعى تجاوزاً شديداً. ساعدنى أرجوك، لأننى بنت عديمة الحيلة وأواجه الآن صعوبات لا أستطيع التغلب عليها وحدى.

الرجل يحدق ويختبر ويقيس ويقول بعبارات مبتكرة كم هو سعيد الحظ أن يستطيع امتلاك شيء صغير السن لا يزال إلى حد ما لم يستهلك، سيستطيع فيما بعد أن يحكى عنه. لعلى تتاح لى علاقة حميمة هنا فى هذه الحارة الڤييناوية الكئيبة مع بنت تكون بريئة كل البراءة بل ويكون لها أب وأم، ليست لديها أدنى فكرة عن أى شيء، ويكون لى أن أعلمها، يا سعدى وهنائى. يا أيتها الآنسة الجميلة، هكذا تكونين وحيدة ، لا بد أن نجد لذلك حلاً. عندى حجرة فى الفندق جميلة وغالية جداً بل ولها حمام خاص. آه، هذا تلطف هائل من سيادتك، وإلا لما عرفت إلى أين أذهب، ولماذا ولأى هدف، أما الآن فأنا أعرف الإجابة بمجرد أن أتطلع هكذا إلى سيادتك. ألا أتلقى منك قبلة عربوناً (وتلك حماقة كاملة لأن المفترض على أية حال أن يدفع؟) أنا لطيف معك وأعرف تماماً كيف يتصرف المرء ، فأنت لا تنالين إذ تنالينى رجلاً جلفًا بل رجلاً عليماً بالنساء، يا عزيزتى، رجلاً يمنع الحمل بحسب الرغبة. الآن تحصل سيادتك على قبلتك، على الرغم من أن الإنسان لا ينبغى أن يفعل ذلك مع شخص غريب تماماً.

يخيب هذا رجاء الرجل الريفى ويوهن اندفاعه لأنه يشير إلى نوع من الألفة مع أشياء الاستخدام والاستهلاك البدنى، التى بدا على هذه البنت الصغيرة عديمة الخبرة أصلاً أنها ليست لديها، وفى

النهاية يتحتم عليه أن يدفع، والأشياء التى لا يحتاج الإنسان إليها مع النساء أصبحوا يوردونها منذ سنوات ماركة مسجلة إلى مدن البنادر الكبيرة والأسواق الصغيرة نسبياً. ولكن مثلى ما كان ليأتى إلى هنا، كان سيذهب إلى جينزرندورف Gnserndof أو «أوتينشلاج» Ottenschlag، لو لم يكن يبحث عن تسلية حضرية بحق. تعالى هنا يا أمورة يا حلوة، لم أعد أطيق الانتظار ، ما سنفعله تواً، عسى أن أستطيع تمريرك من مراقبة البواب الليلى بالفندق، السيد «فيشر» Fischer، لأنى لم أحجز إلا غرفة منفردة. من المؤكد أن الصندوق صندوق براغيت، كلام مسمم خطر ببال «أنّا» فى استخفاء وارتياب. لو شئت لنزلت فى فندق بريستول Bristol ولكننى لا أريد. وأنا موزِّع فساتين أوزع شغل الماكينة. وليست هذه التسمية صحيحةً، بل هى شغل ترزى حريمى. فى المدينة يقولون شغل ماكينة، حتى لا يكون الواحد شكله حريمى، أما فى الريف فكثيراً ما يقولون شغل ترزى، لأن الأنثى المقصودة تتمدد بشكل أفضل على المرتبة عندما يكون لها بعدئذ أن تختار فستاناً أنيقاً.

وسيادتك تحمل النقود التى تحصلها دائماً معك حيثما تذهب، وهذا خطير فى شوارع هذه المدينة التى يروح فيها المجرمون ويجيئون. فسيادتك جرىء.

أنا مبدئياً لا أحمل نقوداً معى، ويمد يده لاإرادياً إلى ذلك الموضع من چاكتته الذى تحته القلب ثم

يمـدها نحـو «أنّـا» فى الموضع الذى يكون لنسـاء أخريات فيه صدر، أما «أنّا» فليس لها. ستدهشين لكل ما يمكننى أن أفعله، هذا ما يقوله موزع الفساتين ولعابه يسيل، ويتحول إلى ظهر«أنّـا» حيث بدايات .... أنا أبتهج دائماً أشد ابتهاج للخطوط والتحديدات النسائية الجميلة، كلمات يرشها الموزع التجارى المتنقل ويذكر قائمة من بعض التفصيلات كأنه يريد أن يقدم لشـركـة پايتل ومـايسن Peitel&Meissen للمـــلابس تفـاصـيل الشكل الكلى. إنه يعـرف كل هذا بناءً على مشاهدته الشخصية ويقوم بالفحص من أجل التثبت، لأن «أنّـا» مضطرة الآن لإصـلاح ربطة حذائها، وهى الإشارة المتفق عليها من قبل. وهذا ما حدث. فقد انفصل بعض الأشخاص من مدخل مبنى وتقدموا دون صـوت سيـراً على أحـذية كـوتش فى اتجـاه المدخل المجاور المبلط ببلاط بازلتى تبليطاً غير منتظم، يخرج من بين فجوات البازلت نجيل وحشائش فى غير نظام شاهداً على إهمال هذه المدينة. هذه جريمة تقترب فى سكون كما تقترب كل جريمة ، حتى لا تتيح لأحد التعرف عليها قبل الأوان على أنها جريمة.

لم أعد أستطيع تحمل الانتظار ولابد من أن أدلف مــعك إلى بوابة هذا البـيت وأن أحس بشـفـتـيك الصلبتـين صـلابة العظم على شـفتىّ ، هكذا تتكلم «أنّا» برغـبــة وكـأن فى فـمـهـا مُخَيِّط. لك هذا يا سـمسـمـة، يقـول هذا الرجل الموزع المتنقل بطريقـة مزنوقة مبهمة وبآلة تفكير معتّمة، يا قطعة من قلبى،

لن أبخل عليك بحال من الأحوال، صحيح أننى من لينتس Linz ولكننى كريم عندما يستدعى الحال. هذه البنات يعتبرن فى مدينة لينتس الواقعة على نهر الدانوب أطفالاً والبوليس يحميهن بصرامة، أما هنا فى هذه المدينة التى تفوح منها رائحة العفن. فللناس أن يستخدموهن ثم يرموهن فى الشارع بعد ذلك مباشرة.

هنا مدخل المبنى ، فلندخل، والرجل يدس يده تحت الفستان، وهنا فى الوقت نفسه جريمة السرقة والسطو قد وصلت بأشخاصها، وعندما يجوس الرجل اللينتسوى بيده تحت ثوب «أنّا»، تنهال على الدماغ اللينتسوية لكمة شديدة من قبضة غريبة لواحد هو من العمال: «هانس» لم تنقله القبضة إلى عالم الأحلام والتخيلات، بل أخرجته بقوة محسوسة من إيقاع الحب وهوت به على الأرض حيث القذارة، والمصيبة لا تحل بمفردها إلا نادراً، والمصائب التى تأتى معها ليست أفضل منها. وينط «هانس» فوقه على الفور ويتأرجح طالعاً نازلاً على جوارحه المختلفة أشد الاختلاف والتى لا يحققها الإنسان فى الظلام والمأمول أن تكون من بينها تلك التى تؤلم على نحو خاص. «أنّا» تعضه وتخمشه وتصفعه على طريقة النساء اللاتى يركزن التلطيش فى مثل هذه المواقف دائماً على الرأس وهو ما يؤكده كل خبير. وهن فيما يختص بمثل هذه الأعمال الجسمانية لسن مدربات، وإلا لكُنَّ عرفن أن الجمجمة تمتاز على نحو خاص

بالصلابة والمقاومة فهى تحيط مخ الإنسان بغلاف واق. الرجل الموزع الجوال يتأوه محبطاً بصوت عال فبدلاً من الحب أصابه الآن الضرب. وهو يعرف بحق أنه كان فخاً، ولكنه لا يستطيع الانتفاع من هذه المعرفة بشىء. والصراخ لم يعد ممكناً فقد ارتمت «زوفـــى» بدافع من حضور البديهة وضمان الغريزة بشكل عجيب على التو فوق فمه، عسى ألا يعضنى النطع، العض ممنوع، سد حلقك، وإلا فقد احتطنا لذلك وأتينا مـــعنا بسكين. وأروه السكين. الرجل المشتغل بالتجارة الذى لا يعرف السكاكين إلا من زوجته والمطبخ يصمت محزوناً. أين محفظة النقود. خذوها، هى فى جيبى الداخلى، حياتى أحب إلىّ، وأنا أفضلها على المال. إنها أساساً الأكثر قيمة. أربعة ضد واحد، هذا جبن، سأقول ذلك لزوجتى ولرئيسى فى بلدى، وسأقول لهما عندذاك ستة ضد واحد. آه. تُنزع ملكية المحفظة الثخينة ويتلقى الموزع الجوال المربرب المتغذى بالجيد والوفير من الطعام صفعات وركلات وتهديدات وشتائم وبصاق وإهانات فى كل موضع ممكن فى بدنه، وكل هذا من بنات كان من الممكن أن يكن بناته ، وهن للأسف بنات ناس للأسف أساءوا تربيتهن، فأصبحن مجرمات صغيرات. ما أقبح الشيطان ، لا يمكن إلا أن يبصق المرء. هذا شىء لا يحدث فى «لينتس».

«أنّا» تسأل وقد تمّلكها هياج شديد هل أشده من عضوه وأُسَبِّب له الألم. لا تفعلى، هكذا يرد أخوها،

القـائد ، ومَنْ غـيـره ، الذى ينتحى جـانبـاً على نحـو مـترفع ويقود على نحـو حساس مؤثر. صـدقنى أنا لا أتردد أمـام ارتكاب أى شىء مـهـمـا كـانت بشـاعـتـه؟ ولكننى قـرأت فـيـمـا كتبـه «باتاى» عـمـا يمكن أن نفعله بعضوه مثل هذا الإنسـان، هكذا تصمم الأخت جـامدة وتحـرك أصابعـهـا نحـو التنفـيـذ. على الأقل تشـويهـه تشـويهـاً يـعـجـزه لوقت طويل. وزوجـتـه سـتـعـانى هى الأخرى من أثر هذا العض والقضم عن بعد.

النقود معنا والآن نتسلل خارجين من هنا ولا يجوز أن نقع بعد تمـام كل شىء فى الخطر نتيجـة مجـازفـة لم نتدبر أمرها.

ولكن المفترض أن النقود هى أقل الأشياء أهمية.

النقـود لا أهمـيـة لهـا، إلا أنهـا تريح الإنسـان عندمـا تكون لديه.

ولكننـى لا أريد أن أهدئ نفـــسى، أنـا ثائرة، ولن يستـمـر الأمـر إلا دقـيقـة واحدة، أشد عضـوه وأبصق عليه. امسكوه مَسكة قوية. اعمل تُعمل. حتى «راينر» نفسه شارك فى مسكه، حتى لا تظن «زوفى» إنه يفعل ذلك الذى يفعـله من أجل النقود فقط. يا أخـرق، هه، مـا كنت تظن أن ذلك سيصيبك، لأنك ظننت أن شيئاً ممتعاً سيتاح لك، يا خنزير. شَدّوه وبَصقوا عليه. وهل هذا الشىء هو مـا كان سيقدمه إلىّ، أقول هـذا جادة. إلىّ أنا. هـذا الرجل لن يسـتطيع قـريبـاً أن يقـدم إلى كائنة من كـانت شيئاً منكمشاً إلى هـذا الحد لأنه ضاع اليوم يقيناً. هيا بنا ننقض عليه الآن.

«هانس» ينهال بالركلات على الوكيل التجارى الموزع الليننسوى وعضوه الذى سيظل الآن يقيناً نصف عام على الأقل عاجزاً عن الحركة أى حركة، وكان المنظر أصلاً يوحى بأنه يستطيع أن يجنى أكثر مما بذر، ويسدد «هانس» إليه ركلات قوية فى الرقبة وفى قطع بيضاء من ملابسه الداخلية تظهر فى الظلام، فيخر الرجل الليننسوى على جنبه وينزف بعض الدم الليننسوى ويصمت فجأة، ولكنه يقيناً لم يصب بعاهات مستديمة. إلا أنه سيضع ما جرى له فى اعتباره.

يقفلون عائدين إلى الظلام معجلين، ويدلفون إلى الشارع الذى لفظهم من قبل، حتى ظلام هذه المدينة الليلية لا يتحمل هؤلاء المراهقين. ويسأل «هانس» وقد تهلل نتيجة ما فعلته «أنّا»، ألا نتبول عليه، لا نعمل أكثر مما عملنا ، بل نتسلل الآن خارجين، هذا ما تقوله «أنّا» وتشده. فجأة تملكتها العجلة.

«زوفى» تلبس فستاناً غامقاً بسيطاً وتتصهر مندمجة فى سور الحوش. تعتريها رعدات عديدة تتخلل بدنها المرة تلو الأخرى ، وهذه الرعدات تختلط بإحساس عجيب مُلِح من البطن يتكرر بشكل متزايد. وهى لا تستطيع أن تفسر هذا الإحساس، ولكنه ليس حب طفل ولا إخلاص صديق. من المؤكد أن ما يعنيه على الأرجح شىء سلبى، ولا ينبغى أن يطيعه المرء لأن الإحساس دائماً لا يُعتمد عليه. تعالى يا «زوفى»،

هكذا يقول «راينر» هامساً، ويطوقها بذراعه. تنفضه عنها وتندفع كالسهم عائدة إلى الشارع مثل خيط مفتول يشده أحدهم بسرعة شديدة على قُرْصة منضدة ملساء.

2

[illegible]

لكى يجلبوا وضوحاً إلى ضروب وجودهم المهزوزة سـار (راينر) و«أنّا» و«هـانس» مسـاراً كـالسيف إلى مكان يكـون فيه الوضوح بحكم مهنته الأساسية فى مقـره المعهود: ألا وهى فـيلا «زوفى»فى هيتسينج. النهار يبث دائماً إشعاعه هناك حيث يبث شباباً إشعاع شبابهم. كأنه على نحو ما يبث إشعاعه معهم. الجو ساخن جداً فى هـذا ألـربيـع مـنذ الآن مما ينبئ بصيف حار سيشتتهم فى اتجاهات مختلفة أشد الاختلاف بعد النجاح فى الثانوية العامة الماتورا. البـعض يتـمنون أن يكون اتجـاههم هو نفس اتجـاه «زوفى» عما قريب ستترجرج قدما «زوفى» حافيتين على «الكروازيت» (*) فى «كانّ» على الريفييرا ذلك الطريق المتعامد، فالأسفلت دافئ جـميل، بل ساخن، ومضـرب التنس يطل برأسه من الشنطة

(*) Croisette اختصار (Boulevard de la Croisette) في «كانّ» Cannes على الريفييرا حيث يذهب لقضاء الصيف المترفون الذين يلعبون بالفلوس. وهناك شارع معروف اسمه كروازيت بولفار. (المترجم).

الڤويتون (*)ويتمتع بالمنظر. أما ماما فستتشرنق فى شيلان وطُرَح حريرية بطريقة هستيرية لتحمى نفسها من الشمس التى لا تأتيها إلا بالشر والضر لأنها شقراء وبشرتها بيضاء ناصعة، وستدير أعمالها من المقهى وترتمى دائماً أبداً باحتراف نحو التليفون. وستقول إنها على موعد مع «زوفى» لتناول الشاى. والطاعة تكمن فى «زوفى» مثل الزمبرك الذى يُلَف ويُنْقَض دون ألم. إنها مثل حيوان جميل خفيف يلمس الإنسان فخذه لمسة خفيفة دون إيذائه أو الإضرار به. «هانس» سيبقى فى ڤيينا وسيغوص مراراً بالدراجة فى روث الإوز لكى يلقى فيضاً من الكلام الجارح السخيف على الكوافيرات المتأنقات فهو يعرف كل ما يمكن عمله مع مثل هذه العاهرات. وهو لم يصبح بعد واحداً من الأشخاص الذين يشتاقون إلى «زوفى» وإلى الريڤييرا لأنه لا يعرف أن هناك ريڤييرا. للأسف «راينر» و«أنّا» يعرفان ذلك. ويهددهما حى الغابة الذى كثيراً ما كشف لهما عن وجهه الكريه، إنه يهددهما فى أشد الأماكن ظلمة وخلواً من المساكن، هناك بالتحديد حيث تقبع فتنة الجنس وتجتذب بالهواء الصحى أناساً بالتحديد يفضلون ما هو غير صحى على ما هو صحى. حيث يوجد كثيرون آخرون تمثل الصحة بالنسبة إليهم النعمة العظمى. وهم غير مسموح لهم، المفترض أن يستعيد الجسم حيويته قبل

(*) Vuitton ماركة فرنسية غالية (اختصار Louis Vuitton) للمترفين والنفاجين. (المترجم).

بدء الدراسة بالجامعة التى تأتى بعد استعادة الجسم حيويته فيدخل الجسم فى مرحلة هدم جديد.

أولاً يأتى امتحان الثانوية العامة الماتورا التى لا يتكلمون عنها لأن الكلام عنها يعتبر أسلوباً رديئاً.

وقبل الماتورا تأتى «زوفى» ، يا لها من مصادفة، ما يكاد المرء يفكر فى «زوفى» مع مضرب التنس حتى يأتى على الفور مضرب التنس عابراً مع «زوفى» الاثنان يجلسان فى سيارة «بورشه» بلون الكريم يقودها شاب من دائرة النبلاء، ويستطيع «راينر» على الفور أن يصب جام كراهيته على هذا الشاب الذى اضطر فى غير صبر إلى الانتظار عند حاجز مرورى فإذا به لا يستطيع أن يندفع إلى شىء. وأياً كان الجالس بجانب «زوفى» فهو مكروه، وهذا ظلم، إذ من الممكن أن تكون له نوايا طيبة بغض النظر عن حسبه ونسبه، وكل إنسان أفضل ممن سبقه، وهكذا ينشأ التنوع. «زوفى» تندفع خارجة من السيارة الجميلة وهى نفسها أيضاً جميلة جداً بفستانها الخاص بالتنس وببراءتها من تفصد العَرَق، وهو ظاهرة مواكبة للعديد من أنواع الرياضات. عند «زوفى» لا يجد العرق سطحاً له، فهى مَلَكٌ كريم. كائن بلا جسم. «راينر» ينخر بقواطعه العليا فى شفته السفلى. خيال «زوفى» الأبيض ينحنى نحو نافذة السيارة البورشه ويهمس إلى السائق بشىء رقيق لا يسمعه إنسان، حتى «راينر» لا يسمعه على الرغم من أنه

الخبـير اللغوى هنا. مـا هذا الذى كنت تقولينه لهذا الشـخص؟ سـؤال وجـهـه إليـهـا على الفـور. قل، هل جننت، أتظن أننى ملزمـــة بأن أقـــدم إليك كـشـف حسـاب، وبصفـة عـامة «زوفى» عندئذ يضـرب «راينر» بيده مرات عديدة ثائر الأعصاب على عضلات فـخذه التى لا تزداد لذلك صـلابة، بل يجـرح نفسـه جـرحـاً أكبر فى أثناء ذلك. «أنّا» تحاول بنصف قلبها أن تمد يدها أيضـاً إلى عـضـلات فـخـذ «هانس» حـيث تجـد شـيئاً أجمد مما عند «راينر»، ولكن «هانس» يسحب نفسه من تحت يدها الرابتة ويحاول بعينيه أن يعبر لعينى «زوفى» عن أن حبـاً بدأ فى السـر. وعلاوة على ذلك تلتهم عيناه قوام «زوفى» الذى يستطيع المرء اليوم أن يراه جيداً. «راينر» و«هانس» يريدان الصعود إلى القـمـة التى تعـرض فـيـهـا «زوفى» ذاتهـا ، ويزاحم بعضهما بعضاً فى حركة إلى الوراء تجاه الهاوية لكى يكون أحدهما أول من يصل. «أنّا» تمد يدها بلا كلام نحـو «هانس» التى تمثل بالنسـبة إليه قـمة صـغيـرة صحيحة بالقيـاس إليه هو، لماذا يريد أن يصعد تواً إلى قـمـة الجـبل العـالى دون أن يتـأقلم من أجل ذلك الأقلمة الصحيحة.

زهور بدأت مـبكرة على نحـو شـاذ فى الازدهار، تبرز منيرة من الحديقة، البستانى يقصقص فى شىء ما لكى يبلغ بشكله الكمال. والحصباء تحدث صريراً تحت عجلات السـيارة البورشـه المنطلقة وترش رشـة هادرةً عندما تدور الماكينة دورتها. المنافس يـتـعـد

مسرعاً كما ينبغى. «زوفى» ركزت وزنها على الساق الحمولة وتقف هكذا على ساقيها فى آن واحد وقفة أفضل. إنها فى هذا الوضع تمثل بالنسبة إلى «راينر» و«هانس» المرأة الفاتنة أبداً. «راينر» يفضل «زوفى» على الغابات المغنية أبداً فى حى الغابات، ربما تدعوه هذا الصيف إلى «الكوتدازور» الريفييرا لأن الإنسان عندما يعشق لا يود ولا يستطيع أن يُحرم دقيقة واحدة من المعشوق، وهكذا تحس «زوفى» أيضاً. «هانس» يقول شيئاً أولياً عن ساقى «زوفى» لأنه ليست لديه خلفية ليقول شيئاً عن أفكارها. هى تنظر أصلاً إلى أسفل ولكنها لم تلاحظ شيئاً على نفسها قط. تعالوا، ادخلوا. الويسكى جاهز، اخدموا أنفسكم، سأغير ملابسى بسرعة. «راينر» و«هانس» يقولان، كل على طريقته، هذا بكلمات كثيرة وذاك بالكلمات القليلة التى يعرفها، إن عليها أن تبقى هكذا. «أنّا» تصمت وهى تشعر بالمرارة ، وتراقب «هانس» الذى هو ملْكها. ولكن الملْك المجرد من الشعور يتوق إلى مالك جديد يحسن رعايته وتغذيته. «هانس» يقيّم لمبة مكتب من الصلب الذى لا يصدأ، طبعاً لأن التيار الكهربائى مجال تخصصه، وقد يستطيع هنا أن يصلح شيئاً كهربائياً لكى يكسب أرضاً. باحتراس يدخل عضلة الذراع القابضة فى الصورة ويشدها لكى ترى «زوفى» القوة الغاشمة الكامنة بداخل العضلة وتعترف بها. «هانس» حيوانى ويريد أن يوقظ فيها الحيوان الذى يسكن فيها يقيناً.

لا يكاد «راينر» يدخل الحجرة حتى يدع شريط مسجله الداخلى كالموتور يدور ويزوم ويلقى إلى الخارج بأحاسيس اعتداء الأمس ومن المؤكد أنه فى الختام سينتهى بإحساسه نحو «زوفى» ، وبين البداية والختام ستمر على الأقل ساعتان مملتان قاتلتان. أنا قائدكم وأنا آمل أن عملية الأمس أعجبتكم، وعلينا على أية حال أن تحسّن بعض الأشياء، وهذا ما سنتحدث بشأنه الآن. وقبل كل شىء آخر موضوع تحديد الوقت. وسأعرض الأسباب الآن بالتفصيل. «زوفى» تتثاءب و«هانس» يقول إنه يرى رأى «زوفى» «أنا»

وتصوروا كم من المال قد غنمنا، ماذا نريد الآن أن نفعل بهذا المال الكثير، من الممكن أن يشترى المرء أشياء جميلة جداً وأن يملكها، هذه كلمات يهسهس «راينر» متسرعاً وفى غير احتراس.

«زوفى» ستستخدم للتصدى لإلحاح «راينر» تكتيكها الفعال المسجل ببراءة اختراع والقائم على قفل الأذنين بقلابات وتتطلع اليوم إلى «هانس» بعينين استيقظتا يقظة جديدة لأن له يداً ضاربة صلبة، وتبحث عينا «زوفى» عن العضلة تحت الغطاء المسكين المتمثل فى قميص سبور رخيص مفصل تفصيلة رياضية محددة المعالم ، له فى كل موضع جيوب ولهذا يصرخ دائماً من التعذيب، ولكنهما على الرغم من الاستحالة تبحثان عنها وتجدنها كذلك. ما توتر بالأمس فى

«زوفى» يعود اليوم فيتوتر فيها من جديد، ولكنه يتوتر على نحو يختلف عن توتر العضلة، لأنه فكرة أكثر منه شىء آخر ولأنه يكمن فى الرأس، كان المثقف هذه المرة فى موقع خاسر، على الرغم من أن تلك كانت خاطرته هو ولكنه من الناحية الأخرى ليست له يد ضاربة. «راينر» يقول إن مثقفاً يلبس بلوفر أسود جديداً ياقته أنبوبية لا يتحتم عليه أن يضرب ضرباً شديداً عنيفاً، لأن عليه أن يقدم شيئاً مختلفاً وأوفر جودة.

«أنّا» لا تقول شيئاً وتنظر إلى «زوفى» بعينى منافسةٍ.

على ساقى «زوفى» تتجول جعارين دقيقة فى موكب طويل وتزحف من تحت جونيللة التنس حيث يبدأ نوع من شغل النخورة. على الآخرين أن ينصرفوا، ولـ «هانس» وحده أن يبقى، هذا ما تقوله الجعارين وهذا ما تقوله «زوفى» أيضاً بعد قليل. هى فى بيتها السيد وتستطيع أن تقرر من يذهب ومن يبقى. وهى تقول ذلك بصراحة.

رد فعل مختلط، ولكنه ليس طيباً، إلا الصادر من «هانس» «أنّا» تشعر أن ألماً حاق بها ولكنها لا تستطيع فى هذه اللحظة أن تعبر عنه، إلا بأن تكتبه، هاتوا ورقة، أين الورقة التى يجعلها طلاب المدرسة الثانوية دائماً فى متناول أيديهم؟ إنها فى مرحلة سيئة وتحتاج إلى حماية. هيئة المدرسين طلبت من السيد مستشار

منطقة المدينة التعليمية تصريحاً خاصاً بأن تجيب فى الامتحان الشفهى للثانوية العامة الماتورا كتابةً، نظراً لأنها ذكية جداً ولأنه لا يصح أن تتمسك بمواد لائحة باردة برودة الثلج أن يسد الطريق أمامها نحو مستقبل أكاديمى. فى داخل «أنّا» تتعقد عقدة شىء حاسم وبشكل قد لا يمكن بعد ذلك حله أبداً، فى الوقت الذى لا ينبغى أن يكون فيه المراهق أو المراهق المتأخر منغلقاً. الصراحة والماء والصابون تناسب الشباب أكثر من عدم الصراحة وأصباغ التجميل.

وفى المقابل يستطيع ذلك «راينر» على نحو أفضل هو الذى يفتح بالإكراه بوابات أهوسة حلقومه لينهمر فيضان على زملائه، وما ينهمر منه يعنى عندما يوحد الإنسان الكسور على مقام واحد كما يقولون أى عندما يستخلص المضمون الوحيد أن «زوفى» لا يمكن أن تحب بحق أحداً إلا هو، «راينر» وحتى لو إنه انصرف الآن فإن أفكارهما ستمكث دائماً عنده وستنصرف معه، ولذلك كان الأحرى أن يبقى منذ البداية. وما ينبغى لـ «هانس» أن يتخيل شيئاً يظهر فيما بعد أنه غير صحيح.

نعم ، نعم، هيا انصرف الآن «زوفى» وأنا أوافق على رأى «زوفى» بتمامه وكماله «هانس».

النجدة! «أنّا» ما يصل إلى السمع :حشرجة، حشرجة.)

خذوا معكم قطعة شوكولاتة أخرى، قالتها «زوفى» كصلصلة جرس تصحبها نبرات عالية ونبرات واطئة معينة. لا يا «زوفى» لن نأخذ قطعة شوكولاتة معنا، لأن تلك سادية، هكذا تكلم «راينر» وهو على أرض تخصص مطمئنة. عاطفة وجفاف وحنق. جفاف لأن السادية تظهر عندما تتحرر الرغبة من كآبتها على حد قول «سارتر».

أما «هانس» فيشرح أنه أصلاً حيوان، لا إنسان، يسلك سلوكاً حيوانياً عنيفاً، وهو ما قراه فى رواية بوليسية. «هانس» لم يقرأ أيضاً إلا الشىء الخاطئ الذى يوجد مركوناً فى بيت عمال نَعِمَ بحركة ثقافة عمالية. ولكنه قرأ ما يكفى ليعرف الطريق إلى أعلى والطريق إلى أسفل. كان عالَم الكتب هو المخرج الوحيد، وفى بيت عمال به ثقافة عمالية هناك دائماً مثل هذا العالم. ولكن ليس هناك عالم آخر، هناك فقط عالمه الخاص، كان أبواه عاملَيْن عن وعى ولم يفدهما هذا بشىء فأحدهما مات والأخرى أيضا تكاد أن تكون ماتت.

«راينر» يرفع عقيرته بالشتائم، وهو أشد من «هانس» تجرداً من الضمير، لأنه سيفقد أكثر منه (وهو الذى لا يعرض نفسه للخسارة) وبالتحديد الاشتغال مستقبلاً بعمل أكاديمى أدبى. «هانس» ليس أمامه إلا أن يكسب و«زوفى» تعينه فوق كل شىء على ذلك أيضاً! «هانس» بلا وعى منه كرة تلعب بها

العناصر و«زوفى» «راينر» ليس كرة يلعب بها لاعبون، بل هو بنفسه القائم بالعمل.

وعليه برغم ذلك أن ينصرف وأن يصحب «أنّا» معه. أرجوكما أن تذهبا كلاكما. يجر الأخ والأخت – محتفظين بالكراهية – قدميهما فى النجيل الإنجليزى خارجين ويدوسان عن عمدٍ هناك العديد من الزهور والأوراق والحشائش الغالية تحت نعالهما الرقيقة كالورق ،لأن الحذاء المدبب على الموضة سيفقد عند تركيب نعل جديد الكثير من شكله يقيناً. ثم يتوجهان إلى محطة الترام ، ويلقى «راينر» فى أثناء الطريق حواراً منفرداً لماذا انصرف طواعية فكان هكذا أقوى من «هانس» الذى بقى مضطراً. شكراً للسماء على أن الأخت «أنّا» على الأقل لم تتدخل بمداخلات أو اعتراضات سخيفة، «أنّا» تصمت لما أصابها من مصيبة نكراء إذ تحتم عليها أن تترك صاحبها «هانس» فى بيت يخيم عليه العداء. حب «أنّا» و«راينر» رُدّ اليوم بطريقة مقيتة وخلّف فى الاثنين صدعاً من الصعب أن يستطيع أحد ملئه أو لصقه.

الألم يؤدى مهمته ويصعد إلى أعلى درجة وأكملها عندما يتلقف الترام ، الذى تفوح منه أبخره أناس متوسطين مكروهين فى أحشائه ، الاثنين مرة أخرى، فهو رحم الأم الذى يريد الرضيع دائماً أن يخرج منه بأكبر سرعة ممكنة. لا بد من أن يمتلك الإنسان سيارة پورشه، ولكنه لا يمتلكها حتى لو كان يحكى فى

المدرسة أن أحد أقربائه الذى لا وجود له يملك مثل هذه السيارة الفارهة.

فى حجرة «زوفى» وُضعت إسطوانة و«زوفى» تطلب من «هانس» أن ينتقل للجلوس على الكرسى الوثير هناك وأن يخلع ملابسه كلها وهى تريد أن تشاهد كيف يتصرف فى بيته على الأريكة التى تحولت إلى فراش. «هانس» يقول إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك أمامها. «زوفى» تقول إنها تريد أن يفعل ذلك أمامها. وجه «هانس» يحْمَر بلون أبوجلامبو المشوى ويتوتر ويؤكد أسباب عدم قدرته على فعل ذلك. «زوفى» تقول إن عليه حتماً أن يفعل وإلا فله أن ينصرف على التو وألا يعود مرة أخرى أبداً. مرتبكاً يخلع «هانس» ثيابه، بل أكثر ارتباكاً مما كان عندما لعب كرة السلة فى اتحاد الفات WATالرياضى، ولكنه يتمكن فى النهاية من فتح أزرار القميص. وهو يؤكد أنه لن يستطيع لأن الموضوع مخجل جداً ، لن يستطيع، لن يستطيع. «زوفى» تقول المطلوب أن يكون مخجلاً لك إلى أبعد حد. ولهذا أريده.

«هانس» يقول، إنه يفعل كل ما تريد، وهى تعرف ذلك، ولهذا لا ينبغى أن تستغله، فليس هذا من اللياقة فى شىء.

ولكننى أحب أن أستغله. وعليك طبعاً أن تخلع الجوارب أيضاً، «هانس» يخلع الجوارب ويجرد قدمين قذرتين. «زوفى» تقبع فى ركن وتحدق فى خطوط القذارة بين أصابع القدمين وتقول إنها تريد أن

تَخضع حريتُه على اعتبار أنها حرية، وهى تعرف أنها تسبب له ألماً، ولكنها تُكره هذه الحرية، بأن تقوم على نحو ما بتعذيبه لكى يتطابق طواعيةً مع لحمه الذى يتسبَّب هذا فى إيلامه، هذه حرية، هل تفهم؟ وتتكور صانعةً من نفسها ما يشبه أن يكون كرةً، وتقرض أظافر أصابع يدها واحداً تلو الآخر.

«هانس»يقول إنه لا يفهم.

«زوفى» تقول إن من المسموح له أن يرجوها أن تعفيه من ذلك. عندما أمارس ضغطاً عليك فإن خوفك يكون حراً، وتوسلاتك تكون تلقائياً حرةً. أنت وحدك تقرر، هل هذا واضح؟

«هانس» يقول إنه يفعل هذا لأنه يحبها فى السرّ، وهو ما لم يعد الآن سراً وهو ينظر إلى عورته مستتكرًا.

عليك أن تمد يدك إليه هذا ما تقوله «زوفى» التى لا تبدو بشرتها لأول مرة شاحبة ،لا مسْمرّة، بل تظهر عليها بقع حمراء على عظمتى الوجنتين، وتلوح كأنها حية. تقول إنها تريد أن ترى جيداً جداً كل جزئية من جزئياته، فليجلس حتى ترى، وعند الضرورة يمكنه أن يضىء النور الكهربائى وهو متخصص فيه.

يقول «هانس» أنا أفعل عن حب وإخلاص.

ثمة قوى مختلفة كل الاختلاف تقاوم بعضها بعضاً، وفى مركزها يوجد «هانس»، الذى يبدو عليه فى هذه اللحظة أنه بالأحرى عديم القوة.

«زوفى» تسـأل، هل هذا كل شىء. لا، ليس هذا كل شىء مـاعندى الشـبـاب والصـحـة ينتـصـران على الشيخوخة والمرض.

تعض «زوفى» سلامية إصبع من أصابعها وتكاد أن تخرجه من اللحم.

عندمـا يكرر «هانس» للمرة الخامسة أنه يفعل ما طلبته لأنه يحبها، تقول «زوفى»، إنها لا يهمها على الإطلاق لماذا يفعل، مادام يفعل، وتضغط بكفيها على رقبتها لتبرّدها.

هـانس ينظف الكرسى « زوفى تودع «هـانس»على عجل.

على سبيل الاستثناء ترك «هانس» وهو فى أفْرول الشـغل «زوفى» تدفع له أجـره الذى ناضل من أجل الحصول عليه. فهذا كتاب تحت إبطه لم يتأبطه أحد من قبل قط. وهو ظاهر للعيـان. فـهـو ليس أجـراً ينتمى إلى عامل، ولكن هـذا العامل لم يعد عامـلاً. إلا أن الأمر لن يصل به إلى حيث يـريد أن ينتج هو نفسه ثقافة مثل «راينر» هو سيتجه إلى الصعود الاقتصادى لا إلى الصعود الثقافى، فالاقتصاد أقرب إلى ميوله وهو يتحرك حالياً كترس داخل الاقتصاد. من داخل الكتاب الذى أعارته «أنّا» إياه يتحدث «تروتسكى» (*) إليه ويسر إليه بأن المجتمع الذى لم يعد يعرف السعى الشاق إلى لقمة العيش اليومية والذى يتلقى فيه الأولاد جميعاً العلم وكذلك الفن فى أعماق نفوسهم فرحين وقد نعموا متساوين بالتغذية الجيدة والذى

(*) ليو تروتسكى Leo Trotzki – أصلاً لايب برونشتاين Leib Bronstein – (١٨٧٩ . ١٩٤٠) سـياسى روسـى له فكـر يسارى متميز ومشاركة سياسية متقلبة، من أهم كتبه «الثورة الدائمة». وتعتبر أفكاره مادة خصبة لكل الثائرين ولشرائح من المتطرفين. (المترجم).

تكون فيه حتى قوة الأنانية الهائلة ساعية إلى إصلاح العالم ، مجتمع تختلف فيه فعالية قوة الثقافة كل الاختلاف عن ذى قبل. لا يشد هذا «هانس» فى همته إلى أعلى ، بل هناك ما يشده إلى أسفل سافلين ألا وهو كرسى «زوفى» المصنوع من الجلد [الغالى] والذى يريد أن يشتريه هو الآخر.

وهذه هى حارة كوخجاسّه لا تكاد تراه حتى تشترى منه اليوم ، ككل يوم ، التفاؤل بثمن بخس. وبعد قليل يحل الحماس للرياضة محل التفاؤل غير المناسب ويتيح لـ «هانس» أن يدخل الكرة فى السلة مراراً. منذ وقت ليس ببعيد كانت «زوفى» هنا وشاهدت اللعب، لم ينطق أحد بكلمة عالية ولا كلمة قبيحة وسادت نبرة تعامل مهذبة. «زوفى» تلوح له كنور سراب ، لأنها تكون هنا ذات مرة ثم تكون بعد هنيهة فى مكان مختلف كل الاختلاف، وتهتف مشجعة فريقها المفضل. هل الأحسن أن يأخذ لها معه زهوراً أم برفاناً غالياً أو بونبونيرة كبيرة عظيمة؟ خير ما يفعل المرء هنا أن يسأل امرأة تعرف قلب امرأة أخرى على نحو أفضل، الا وهى «أنّا» فيما بعد لابد من أن يدرس الواحد فى الجامعة حتى يتمكن من الزواج بـ «زوفى» ومن شراء الكرسى الوثير. «زوفى» معقدة جداً والسبب فى ذلك طبيعتها الغريبة. عندما يريد المرء أن يكون معقداً، فلابد من أن يعرف ألواناً كثيرة مختلفة من الطباع التى يكون عليها.

يضطر «راينر» وهو يرغى ويزيد ويفور رغمًا عنه كالكوكاكولا ، وهو النفاج الفشار الخرع ، أن ينصرف إلى حال سبيله عندما تقول «زوفى» ابق هنا يا «هانس» هانس «يبتهج مجدداً فى كل مرة عندما يضطر هذا الذى عين نفسه زعيماً أن ينسحب أمامه. «راينر» قال إنه ينصرف عامداً بقصده وإرادته، الكذاب القوّال، يريد فى أناة وصبر أن يجرب آلةً من خياله (الكتلة الضخمة) عليه وعلى «زوفى» كما يجرب صانع المفاتيح مفتاحاً. «راينر» قال إنه يريد أن يصنع من لحمه ولحم «زوفى» آلةً.

«هانس» يزهو بعضلاته من خلال حديقة شونبورن (*) العامة وراء متحف الموروث الشعبى ويطوح مثل التكبر المتشخص شنطة الأوراق طالعة نازلة وفيها الترموس والكوز. ليس هناك الآن ضغط يطبق عليه لأن «زوفى» لا تقع أبداً فى هذه المنطقة. سيكون حدثاً كأحداث السينما لو أنها مرة واحدة فقط داعبته بيدها أو لمسته لمسة حميمة بشكل آخر. ولكنها لن تفعل ذلك، لأن اعتزازها بنفسها شديد، بل إن امرأة أقل اعتزازاً بنفسها لم تعد تقبّل «هانس» اهتمامه بـ «أنا» يقل على نحو متزايد متناسب عكسياً مع حبه لـ«زوفى» ولقد تلاشى تقريباً تلاشياً يوشك أن يكون كاملاً. ولم يعد يقبّلها إلا عابراً تعبيراً عن شكره على اختلافه إليها لأن «زوفى» لا تريد ممارسة الجنس عالم «هانس» الفكرى غير محدد تحديداً

Schönbornpark (*)

دقيقاً ، وكذلك تصورات الزملاء الآخرين عن الحياة والقيم ، الزملاء الذين يسعون قبله وبجانبه وخلفه إلى بيوتهم. ثلاث شجرات دُلب (*) تتثنى إيقاعياً فى الريح وتقرقع لأنها شاخت ووُضعت تحت لائحة الحفاظ على الطبيعة. «هانس» يريد أن يحافظ على «زوفى» بقية حياتها وأن يكثر لذلك من البقاء فى الهواء الطلق. عما قريب يفتح صالون الآيس كريم أبوابه ويستقبل الشباب فى المنطقة المحيطة. «هانس» يشتاق إلى لحس بسكوتة آيس كريم بتوت الهيمبير وإلى دعوة «زوفى» إلى مثل ذلك. عما قريب يحل الصيف وربما، لا بل من المؤكد، أن الإنسان سيكون له أن يتأمل «زوفى» فى لبس البحر المقتضب المكون من قطعتين، من أمام شبورة الماء ومن خلف شبورة الغابات فى الندى، ومن بينهم شبورة بدنيّن متعانقيّن. «هانس» يسير مستبقاً نفسه بعض الشىء، فهناك استشراف مستقبلى بداخله، يتصور أنه فى المرة القادمة ربما يستطيع أن يدخلها فى العمل بالكامل. وهو عندما يتخيل «زوفى» لصيقة به فلا يستطيع أن يجرى ويقفز جيداً. من المؤكد أن بشرتها أكثر بياضاً ونعومة من بشرة «أنّا» الأغمق والأخشن. ولكنه لن يحتقر«أنّا» فى المستقبل أبداً بل سيكون كله فهم حيالها. وعندما يدرس بالجامعة ذات مرة فسينشغل بمشكلاتها جدياً، وسيكون قادراً على تقديم المشورة والعون أيضاً. وسيأخذ هو و«زوفى» أنّا أحياناً فى

(*) Platanen

رحلة بالسيارة من المكن فى أثنائها بجهد جهيد تعليمها رياضة ما حتى تنعم بمزيد من الفرحة بالحياة وتتخذ موقفاً أساسياً أكثر إيجابية. عما قريب ستزدهر أشجار الكستناء والمسن يبتهج بها أكثر من الشاب، لأن الشاب سيرى أشجار الكستناء مراراً عندما تزدهر، أما المسن فسيحين حينه بعد برهة ولن يعود يراها. الشاب يبتهج بها أكثر من الشابة، لأنه تحت شجرة كستناء سيقبل فم شابة بينما يكون على الشابة أن تتمنع.

المدينة تفوح منها رائحة المدينة، وذلك أحسن من الريف الطلق الذى هرب الناس منه. المدينة رائحتها مغامرات وموسيقى جاز ومقاهى وعادم ينبعث من الشكمانات. هانس يطوح الشنطة دائرياً وفى المساء سيطوح «زوفى» فى المرقص على النحو نفسه. الترموس يتعرض لخطر التحطم، الحياة جميلة ، وبعد هنيهة ستحيلها أمه مرة أخرى إلى حياة مريرة عندما تتكلم فى السياسة وتطلق ما يعتريها من مرارة فى أكوام الظروف المطقطقة. قد تحصل فى الشهر القادم على عمل بأجر أفضل فى مكتب يريد أن يعيّنها فى وظيفة ثابتة لتكون معاونة فى الحسابات.

ها هى ذى الأم تضرب على الآلة الكاتبة ضرباً من قبيل التأديب وتقول كلاماً ثقيلاً عن صغار البرجوازيين الذين كانوا أكثر من هلل لهيتلر والذين لا ينبغى لابنها أن يخالطهم. هؤلاء الذين تجردوا

سياسياً من الوعى حققوا على حساب الأقليات جرياً وراء المنفعة يتسم بأنانية دنيئة.

«هانس» يلقى كل شىء فى غير نظام على دكة المطبخ وكذلك حذاءه. صورة الأب المتوفى تحملق، بتفاؤل سخيف وثقة سخيفة فى قوة العاملين، من بروازها الذى نُفى إليه طوال السنوات القادمة (طالما كان هناك أصلاً من لا يزال يفكر فيه) وظل فيه لا يستطيع ممارسة الصراع الطبقى. إنه وهو المتمسك بالإيثار المَرَضى يستحق ما جرى عليه، فقد تحلل إلى تراب، وساعدت النار التحلل، ولا يعرف أحد حتى أين يكون قبره. وإن حق للمرء أن يصدق الخبر، فقد تحلل معه ملايين غيره واختفوا دون أن يتركوا أثراً فى الدنيا، ولا يزال جُددٌ يأتون على الدوام وسوف يختفون هم أيضاً لأن وجوداتهم (*) لا اعتبار لها. لا أحد يسجل أسماءهم ولا أحد يعدهم. أما هانس فلن يتلاشى بل سيزيد حجمه فى جيمنازيوم مسائى حتى يبلغ الضخامة الكاملة. وسيمسك مراراً وتكراراً فى وقت فراغ مضرب تنس. فى الرياضة البدنية يحس الإنسان على نحو صارخ عارم أنه حى، وهو ما لا يعد أبوه المجهول يستطيع أن يحس به، لأنه لم يعد حياً. ربما لو كان أبوه موجوداً وقادراً لكان أرسله إلى الجيمنازيوم مباشرة دون حاجة إلى التفاف. «هانس» سيصبح بعد حين مديراً اقتصادياً فى إمبراطورية والد «زوفى» لأنه سيتزوج البنت، أكاليل الغار التى

(*) جمع وجود Existenzen . (المترجم).

سينالها مقدماً وسيُنتج مايقابلها بالكامل، حتى لا يندم الأب على قبوله إياه زوجاً لابنته. سيكون عليه أن يعمل بجهد شاق، ثم يلقى القبول. والشك المسبق سينال الغفران على أبعد تقدير بعد مولد الطفل الأول.

لا ارتعاد من البرد مع ملايين المبادين تحت قشرة الأرض، بل دفء عند نار الحماس الرياضى وإيقاع البيبوب (*).

«هانس» يلقى عنه فى تتابع متباين ملابس ويقول لأمه التى تتكلم عن الحرب وعن تمويل الإس إس S. S من شركة أمريكية من الوول ستريت Wall Street، إن البلوچينس والموسيقى الساخنة كلها تأتى من أمريكا وإنه سيصعد سلم النجاح على نمط رؤساء الشركات الأمريكان. ولكنه لن ينكر أحاسيس القلب ولن يصبح رئيس شركة دائم الصعود على سلم النجاح بقلب بارد.

على شعلة الفرن يغلى بصوت عال شىء رخيص قمىء الرائحة. الآلة الكاتبة تتوقف على فترات ثم تتوقف نهائياً.

«هانس» يقول لأمه، إن على الإنسان أن يتحرر وأن يثور، حينئذ تبدأ حياة بلا ضغوط كما يقول «راينر» دائماً. حيث يكون «راينر» على حق فإنه يكون على حق. فيما بعد عندما تتقدم بالإنسان السن يبدأ

(*) Bebop إيقاع چاز راقص. (المترجم).

ضغط حياة الأعمال التى يوجّه فيها الإنسان الجماهير صراحةً. والناس ليسوا متساوين بل يختلفون فى اللون والشكل والقامة.

الأم تقول إن مفهوم الحرية هذا مستهلَك، فالإنسان ليس موجوداً فى مكان خال من الهواء، بل تحوطه شروط اجتماعية. وتغترف شيئاً غير محدد المعالم، شكله فيه شبهة أن يكون دقيقاً خشناً ، تضعه فى صحن، وتتهم طائفة مختلطة من الحزب الاشتراكى النمساوى بالخيانة. وبصفة خاصة شخص وزير الداخلية الاشتراكى «هيلمر» Helmer أمر فى الخمسينيات بالقبض على أعضاء مجالس العمال وارتكب غير ذلك من قذارات. فوق الماضى الغامض لهذا الوجود المظلم يمتد ستار كثيف لم يستطع البوليس السياسى نفسه أن يميطه. وكذلك انهالت الأم دون مراعاة للمنصب والرتبة والدرجة بالشتائم على الشخصيات القيادية بالحزب الاشتراكى: «ڤالدبرونر» Waldbrunner وزير الطاقة وخائن الأسرار) و«تشاديك» Tschadek (وزير العدل وصاحب صحيفة اتهام العمال) والعديد من أعضاء النقابة الذين وسخوا هامة الحزب وتقاليده. وحدث عن «أُولاه» Olah العميل السرى ولا حرج.

«هانس» يقول إنه يقف فوق مكان المواطنين العاديين الخالى من الهواء الذى يختنق فيه الإنسان بسهولة.

الأم تقطع شرائح خبز وكأنها تضرب بالسيف، شرائح خبز سميكة كقوالب الطوب، لا هى بالطرية ولا هى بالرقيقة، وتفهِّم ابنها الذى فسد على نحو ما، أنه بهذا التصرف بالضبط يجعل نفسه مواطناً برجوازياً. وأنت عندما تتظاهر بأنك تضع نفسك فوق منظومة قِيَم المواطن البرجوازى تعترف بها. إنها تجعلك أعمى حيال البؤس. إنك بحديثك عن الإنسان، ترتكب جريمة، لأن هذا الإنسان العمومى لا وجود له، أبداً، هناك العامل وهناك المستغل الذى يستغل العامل والمتواطئ معه.

«هانس» يقول إن «راينر» يقول إن المرء يفزع عندما يتصور أنه جزءٌ من كلٍّ. لأن المرء يكون دائماً فرداً ومتوحداً تماماً ، ويكون مع هذا فذاً لا تبديل له، وهو ما يمنحه قوة.

الأم تولول صارخة، لا لأنها جرحت نفسها، ولكن لأن ابنها ضل الطريق. عد إلى سواء السبيل. أنت يا «هانس» تهدم حاجات طبقتك. لا يوجد هناك شىء عمومى. إنك بدلاً من أن تريد اتحادهم وأن تريد بالتالى قوتهم ، تريد تفتيتهم إلى جزيئات منفردة، كل جزىء منفرد. الأم اتخذت خُلق الزنبور، على التو ستقوم بتوسيخ الدنيا بعصيدة الدقيق الخشن وتشير للمرة الخمسين ألف إلى الأب الذى مات مقتولاً والذى أحسن التصرف. والعين ترى اليوم ماذا جناه من حسن تصرفه. وقبل ذلك كتب عليه أن يعانى الألم

وهو مـــا لا يناسب «هانس» الذى يريد أن ينعم مع «زوفى» بسعادة لا يتصورها العقل.

الأم تقول إنها لم تعلّم ابنها هذه الأنانية. وما كان الأب سيعلمه إياها. وتشير الأم بإصبعها على طريقتها المعتادة إلى تقاطيع هذا الوجه المحبوبة التى لم تعد الذاكرة تحيط بها أو تكاد. «هانس» يقول (ومن الممكن أن يسمعه الأب فلا غضاضة فى ذلك) إنه عن طريق الحب وبالتحديد حبه لـ «زوفى» يستطيع أن يحطم الحواجز، أياً كانت، على نحو أفضل من تحطيمها بالنضال، وأياً كان النضال ضِد من، لأن حبه بلا حواجز.

الأم تقول إنها تود أن تعرف لماذا يصعد الحب دائماً إلى أعلى فوق هذه الحواجز المشهورة ولا ينزل أبداً من فوقها إلى أسفل. وهل يريد الآن أن يختم الوجبة بزبادى «فروفرو Frufru » فلا تزال زجاجة منه وحيدةً فى النافذة لتحتفظ برأسها باردة. لا، «هانس» لا يريد زجاجة زبادى مبكرة بل يريد أن يعب كأس ويسكى أو كأس كونياك. وهو يسمع من الآن صوت خشخشة مكعبات الثلج ويرى من الآن يد امرأة بيضاء لا تنتمى إلى شبح بل تنتمى على نحو ملموس تماماً إلى «زوفى» التى اصطنعها لنفسه. ملموس، ولكنه لاواقعى مثل مفهوم الطبقة العاملة. لاواقعى مثل الاستغلال، يمكن أن يتحرر منه المرء فى أى وقت، عندما تكون له إرادة. هذا أمر يرتهن دائماً بالفرد.

الأم لديها حنين إلى كلام وأفعال وأعمال الزوج الميت، الذى تحب أحياناً أن يكون معها فى الفراش وتحب دائماً أن يكون حواليها حتى تجد مساعدة توجيهية فى تربية الابن الوحيد. المرء يواجه فى أيامنا هذه الصعاب يا «هانزى» (هكذا كانت تسميه). عظامك المسكينة المتهرئة لا تعرف شيئاً عن أن هناك صعاباً أخرى غير الصعاب الجسمانية. من المؤكد أن الموت آلمك. يا مسكين. إننى كثيراً ما أفكر فى جوالاتنا بالدراجة التى عايشنا فيها الكثير من الخبرات المشتركة. كان ذلك هو ضحكك الأخير. الليالى فى أكوام التبن فى برد قارص فتاك، ولكننا فى ضمة معاً. اللبن الريفى، الزبد الريفى من عند الفلاح، والاغتسال والغسيل فى حوض النبع. المناقشات فى الحجرات الخلفية المغيمة بالدخان فى الحانات. وأولئك الذين كان المفترض أن يستكملوا المناقشات، ولكن ابننا لا يريد أن يستكمل شيئاً، وأين هم الآخرون؟ لم يعودوا فى حزننا القديم. ثم الصدمة التى لابد أنها كان فظيعة. عندما ضُغطت الحياة لتخرج من الجسم ولم يكن قد تهيأ لها بعد. أو ربما كان قد تهيأ، بسبب الآلام المبرحة قبل ذلك والتى كان المرء يفضل أن يعانيها وهو ميت على أن يعانيها وهو حى.

نم هانئاً يا «هانزى».

و«هانزى» الذى أصبح «هانس» على الرغم من أنه لم يعرف بعد ما على «هينسشن» (*) أن يعرفه، يأخذ للمرة الثانية كمية من المظاريف التى فرغت الأم من كتابة العناوين عليها وكومتها على السرير، ويدسها من وراء ظهرها فى الفرن الصغير بالمطبخ فتأكلها النار على التو.

فيما بعد ستبحث الأم طويلاً عن هذه المظاريف المختفية، وستظل للمرة الثانية عاجزة عن أن تتصور أين راحت.

(*) هذه الأسماء تنويمات على اسم واحد هو «هانس» Hans : «هانزي» Hansi صيغة التدليل للطفل أو الحبيب، و«هينسشن» Hönschen صيغة التصغير وهو اسم الولد في أغنية أطفال شعبية وهناك أيضاً «هينزل» Hänsel اسم الولد في حكاية شعبية مشهورة هى «هينزل Hänsel وجريتل Gretel». (المترجم).

يندفع شـــارع «هوهـينشـــتـــراســـه» Höhenstrae الشـارع الصـاعـد كـالريح من خـلال منطقـة التـلال المكسـوة بأوراق الشـجـر السـاقطة نحـو نهـر الدانوب، ولـكنـه يقف قـــبلـه بقليل، قـــبل الوصــــول إلى «كلوسـتـرنُويْبـورج» Klosterneuburg فـيـضـيق، وكـذلك سـيـارة «ڤـيتكوڤسكى» القـديمـة تـدفع كـالريح بحسب الشـارع، وفـى داخلهـا يتلوى «راينر» كـالريح ويتكلم مـتـعـذِّباً عن توترات فنيـة داخليـة يدلل على وجـودها قيـاساً علـى مثال «ألبير كامى» Albert Camus «راينـر» يقـود السـيـارة بدون رخصـة قـيـادة ولكن بتـصـريح من أبيـه المشـوه الذى بقى اليـوم فى البـيت يعـتـمـد فى حركته على سـاقه الواحدة فقط. «زوفى» تجلس أمـام بجـانب «راينـر» لتـقـوم برحلة الهـواء الطلق المتـاح لهـا دائمـاً علـى كل حـال، و«أنّـا» تجلس على المقـعـد الخلفى حيث تبث دون ما خـجل فيضاً من رائحة العرق المقيتة التى تشبه رائحة حيوان تملكه الرعب. ولكنها لا تزال تقف على درجة ثقـافية عالية بفضل عزف البيـانو. ما لا يستطيع أن يخرج من الفم يبدو أنه ينفذ من خلال

مسامها كلها إلى الخارج. والشىء الذى تتمناه هو أمريكا ، بلد الاتساع واللامحدود، وتسعى من أجل ذلك إلى الحصول على منحة. للعام القادم. درجاتها فى اللغة الإنجليزية جيدة جداً وهى علاوة على ذلك بصفة عامة تلميذة عنيدة، ولكنها تلميذة نموذجية صموتة. على الرغم من أنها فى البيت لم تمسك بيدها قط كتاباً مدرسياً. وهذا هو حيوان مرعوب آخر كأنه جاء بحسب الطلب، هو الذى يشبه من ناحيته «أنّا» موجود هو على عربة يجرها الخيل فيها كما يبدو فلاحون من زراع الكروم، وهو كلب. الكلب فوق الحمولة المكونة من متعلقات العمل فى الكروم، مربوط من رقبته فيها، وهو يتشبث بمخالبه يائساً مرتجاً مستعيناً بأصابعه ليتثبت على خير ما يستطيع وكأنه قطة وليس كلباً لا يعرف كيف يضم مخالبه ويبسطها. والكلب يساوره إحساس بأنه سيختنق مشنوقاً إذا فقد توازنه وطار من العربة إلى الأرض ، فى عينيه استبشاع واضح صريح لغلظة أصحابه وغلظة العالم أجمع الذى يمكن أن يلهو المرء فيه على هذا النحو، فيندفع بالسيارة على أرجل مصنوعة من السوست وراء حيوان صغير ، ويحس فى هذه الأثناء إحساساً قوياً بالرغبة فى الحياة. مازال الربيع قائماً، يعلن عن نفسه من خلال حياة صائرة فى كل صوب وحدب ، من المؤكد أن هناك بيضاً فى كل مكان وأن إناث الغزال حوامل. والعين لا تراهن لأن الحامل تتوارى حتى تنجو من التهام قبل الأوان. وها هو ذا

الكلب قد راح، وراح عمال الفلاحة الغلاظ الذين لا يحبون الحيوان، وكذلك السيارة وفيها الثلاثة. الوقت وقت الصباح يزوغ فيه من المدرسة من يزوغ ويكون فيه «هانس» مشغولاً بالعمل فى المصنع وهو ما يتضح فى أنه ينقب لنفسه نقباً فى النهار بغير اهتمام وينتظر المساء. أما التلاميذ فإنهم ينقبون باهتمام فقد حقنوهم فى المدرسة الثانوية بالشغف بالبحث.

«شوتينهوف» Schottenhof الآن خلفهم والشارع شريط رمادى فضى بالتعبير الذى كثيراً ما نطالعه، وثمة تفريعات تؤدى إلى سفوح الكروم فى زالمانسدورف Salmannsdorf و«نُويْشتيفت أم فالد» Neustift am Wald، ولكنهم لا يدلفون إليها، لأنهم يقصدون سفوح الكروم فى «جرينتسينج. Grinzing شريط الشارع ينبرم صاعداً برفق إلى أعلى حتى يستطيع المرء أن يطل على منظر مديد من «كوبنتسل» Cobenzl ومن «هويزرل» أم روان H userl am Roan أو «كالينبرج» Kalenberg اكتسب شهرة. رُكنت السيارة وبدأ تنفيذ النزهة. إلى اليسار تصعد سفوح الكروم إلى أعلى ، إلى اليمين تهبط ناحيةً نهر الدانوب ، وهو أيضاً شريط فضى ولكنه يمتد إلى بُعدٍ أقصى. فى الهواء صفاء وما زالت فيه هذه البرودة التى تجعلهم يلفون أنفسهم فى شيلانهم الحديثة الطويلة أكثر من المألوف. فوق سحب تحددها خطوط دقيقة. ريح تأتى بتراب. أغصان الكروم لم تزدهربعد وهو شىء كما تقول أنشودة فيينّاوية سيحدث متأخراً وفى مكان

آخر بالتحديد على الدانوب مباشرة عندما يزدهر العنب. عندئذ ترن نغمات ألف قيثارة صافية كما تقول الأنشودة قبل أن تسكت من فرط السخف. وأخيراً نزل الثلاثة إلى سفوح الكروم نهائياً، من تحت أقدامهم التربة اللينة الحمراء الشهيرة التى تحب الكروم أن تترعرع فوقها. أسنة أبراج كنائس قرى الخمارين لم تبدأ بعد فى تأدية مهامها فما زال اليوم يوم الجمعة. ويتناهى إلى السمع صوت كلاب تنبح ودجاج يكاكى وديوك تصيح. من بعيدلأن الأرض القريبة غير مسكونة نسبياً والمتنزهون فى نهاية المطاف يبحثون عن العزلة ، فإن لم تأت العزلة إلى الإنسان، كان عليه أن يذهب إليها. وشباب اليوم كثيراً ما يحملون العزلة داخلياً ويجرون دائماً خارجياً أيضاً إلى داخلها. ومدق المشاة هو مدق الرحلات العلوى على الجبل الذى يرتمى بشجاعة من لا يهاب الموت ناحية خمارات خمائل «جرينتسينج» . Grinzingعليه يسير هؤلاء ويذهبون إلى أسفل لاحتساء القهوة. هناك ڤيلات قديمة تتوارى فى الوديان وراء الأشجار، على الرغم من أنها تصلح تماماً لأن تُرى. فرندات مقفولة بالزجاج، تتسلقها الكروم البرية بينما إخوتها الكروم المهذبة الطيعة تعمل من أجل صاحب الڤيلا عن بعد لائق بالكرام وتحقق العوائد. جمال المدينة الذى يفوق التصديق ويبلغ من الغرابة أشملها يندفع مزاحماً هنا دون اعتبار إلى داخل الصورة، حتى إن «راينر» حاول أن يسد عقيرته، فلا ينجح فى ذلك،

ويمدح بالكلام ما يحيط بهم. الهواء صافٍ شفاف تماماً. مثل چيلاتينة الأسپيك فوق سندوتش «جيرستنر بروتشن» من محلات «جيرستنر» Gerstner وچيلاتينة الأسپيك من جانبها ستدّعى أنها صافية شفافة كالهواء فوق سفوح الكروم.

يتركون المدق النظامى ويصعدون المنحدر على طريقتهم مخترقين السفح. «أنّا» تتعثر خلف ثنائى الحبيبين المتباين الذى هو فى عين أخيها ثنائى حبيبين متساو، أخوها وحده هو الذى يظن ذلك، وهو يبذل جهداً شديداً فى اتباع خطوة «زوفى .و«أنّا» التى يعوزها المران تبذل جهداً أشد. علماً بأنهم فى أمريكا يمارسون الكثير من الرياضة، ولم يعد بينها وبين السفر إلى أمريكا إلا القليل من الوقت. أما «زوفى» فهى بكل بساطة «زوفى» «أنّا» تمد يداً ثم يَدَين مترددتين إلى أمام، لكى تجد متكئًا فلا تجد وتوشك أن تهوى إلى العدم لأنها غفلت عن هوة محجر. من فوقهم تحلق ثلاثة نسور. أم هل هى صقور. تصدر أصواتاً حادة. «راينر» يشعر بشىء حيال هذا المشهد الطبيعى الذى تدخّل فيه الإنسان اصطناعياً وهو يقول ذلك تفصيلياً. «أنّا» تحشرج بصوت مبحوح، ألا يريدون أن يقعدوا قليلاً. «زوفى» تقول أنت شكلك ضائع بالكامل، ولكنها مع ذلك تقعد. «أنّا» تود أن تغوص فى أمريكا لكى تعرف حياة أخرى غير تلك التى عرفتها ولكى تبدأ حياة جديدة. ستكون

بينها وبين والديها البِرْكة الكبيرة (*) وكـذلك أرض كثيرة علاوة على ذلك. وهى تعرف أنها فرصتها الوحيدة. ولهذا حصلت على درجات جيدة. وهى تحاول، لأنهم يجلسون معاً فى ألفة، أن تصف خططها لأمريكا بالتفصيل ومعها خططها لفترات إقامة فى مدن أمريكية كبيرة مختلفة تريد أن تعمل لكى تمولها بنفسها. وهى قد وضعت لنفسها خطة دقيقة للرحلة وتنتظر فقط أن تحصل على تأكيد يفيد أن هذه الخطط حصلت على ضوء أخضر. «راينر» يحس اليوم بشىء مثل المودة الأخوية فيتطلع إلى أخته التى تبسط أمام «زوفى» المنيرة حماساً نادراً كما يعرض حيوانٌ غنيمته. للحظة قصيرة ضئيلة أحس بنفسه و«أنّا» كحائط مشترك لا تستطيع «زوفى» اختراقه. ثم انقضت اللحظة. وهذه هى «زوفى» تضرب ببوز حذائها دائماً سفح الجبل الذى يحمل الكروم لأن حالة حذائها تستوى عندها، وتعلن فجأة أن رئيس الفصل اتصل مؤخراً بأمها وسألها إذا كانت هى، أى «زوفى»، تود أن تسافر إلى أمريكا مدة عام لأن هناك منحة متاحة للتوزيع. هى لا تريد، وتجد كذلك من الظلم على نحو ما، لأن «أنّا» حصلت على الدرجات الأعلى. ومِن قائلٍ إن على المرء أن يعرف بشكل خاص كيف يتصرف فى بلد أجنبى، فالواحد هناك لا يعرفه أحد، وهو لهذا لا يعرف مِن أين يأتى مَن يحسن

(*) تعني المحيط الأطلسي. (المترجم).

التصرف. ولهذا يعتمدون أيضاً على الأصل وما إلى ذلك، وهو شيء بكل بساطة لامعقول فى بلد على مستوى واحد بلا طبقات مثل أمريكا بشعبها صاحب التوجه المتسامح الليبرالى. ولكن هذا هو التفسير الوحيد الذى تستطيع «زوفى» أن تفسر به لماذا هى وليس «أنّا».

«أنّا» تصمت كسيفة بكماء، وهذه على أية حال عادة حبيبة قديمة عندها، و«راينر» نفسه يحرك الفتيس لنقلة رجوع إلى الوراء ويسأل ألا يمكن أن تحصل «أنّا» على المنحة إذا كانت «زوفى» متنازلة عنها. «زوفى» تقول لا، وإنها سألت هذا السؤال أيضاً، وهم سيدعون المنحة تسقط هذا العام لعدم وجود مستحق لها. «راينر» يقول خسارة المنحة الجميلة. أما ما يفكر فيه فى الواقع فهو: الحمد لله أن «زوفى» لن ترحل، وهكذا نبقى ثنائياً ونستطيع أن نبدأ معاً دراسة جامعية.

فى عينى «أنّا» البيضاء يكمن الموت ، إنهما تصبحان شفافتين تماماً، وثمة برودة تنساب من قاعهما مثل الأكسچين السائل. وتدع «أنّا» نفسها تخر إلى الوراء، فلم يعد شيء من جمال الطبيعة يستطيع أن يصل إلى حدقة عينها. الخبر أصاب «أنّا» فى مقتل، المَخرج المغرى إلى الخارج يتلاشى نهائياً. «أنّا» تخبط جبينها بقبضتها ولكن لا شيء يدخل فيه ولا شيء يخرج منه.

العاشقان القادمان من ڤيينا اللذان تنبثق الغدران من تحتهما ومن فوقهما ، بين قيثارات ، يهيمن ربٌّ ودود، لا يلاحظان ذلك، لأنهما حتى لا يلاحظان أن هذا الحب من «راينر» لـ «زوفى» حب من جانب واحد فقط يروح ولا يعود. و «راينر» يريد فى هذه اللحظة مرة أخرى أن يلقى عن هذا الحب محاضرة قصيرة أو أن يطوق بذراعه «زوفى» التى يقف بجوارها على شفا الهاوية التى غطتها بالكامل كرومٌ مزروعة بنظام دقيق شامل، تركيبة من فن وطبيعة، الطبيعة هى الكرمة، والفن هو منهج الزراعة، وهنا تقول «زوفى» لابد من أن يقع الإنسان خارج ذاته، لأن الإنسان فى الظروف السوية موجود دائماً فى ذاته. وتفرش كُمَّى بلوڤر صوف.

وأنتِ موجودة بالإضافة إلى ذلك أيضاً فى قلبى، هذا ما يقوله «راينر» بصوت كالطنين.

«أنّا» تحدق فى جعران نشيط وتدوسه بقوة حتى يتهشم.

«زوفى» تنبهها، لا تقتلى حيوانات ، بل انصتى إلىّ، لأننى أريد أن أبدأ تجربة قياسية لأصل بأسرع ما يمكن إلى الحدود المرسومة لى، بأن أصنع على سبيل المثال قنبلة يدوية. وأنا أعرف وصفة تصنيعها توصلت إليها بأسئلة وجهتها لأمى المتخصصة علمياً فى الكيمياء.

«أنّا» بعيدة، و«راينر» أقرب إلى الإنسانة التى يحبها ويشعر بأن سرواله يمتلئ فجأة من فرط

الفزع. يقول يا «زوفى» امتحان الثانوية العامة الماتورا اقترب جداً، ألا نريد أن نفعل ذلك بعده ، حتى لا نُرفت من المدرسة إذا انكشف السر، أوليس الأفضل ألا نفعل على الإطلاق؟

«زوفى» تسأله هل بطنه سابت يا ترى.

«راينر» يقول لا، ولكنى أنا أيضاً أريد أن أعرف حدودى، إلا أنها فى مجال مختلف كل الاختلاف فى اتجاه الفن.

«أنّا» لاتقول شيئاً. وهى تدوس أيضاً ثلاث نملات وتهشمها تماماً (إحدى النملات كانت تقوم بأعمال نقل، كذلك هشم نعل «أنّا» قطعة من دودة مطر أو ما شابه ذلك فجعلها كعجينة الكفتة) كما تدوس قلبها هى الدامى على الرغم من أنه ملك لـ «هانس» ولقد هشموا فى هذه الأثناء ما هشموا من ملكٍ غريب، وهشموا علاوة على ذلك أناساً غرباء.

«راينر» يقول اسمعى أنتِ ، الحقيقة أن بطنى ما سابت من الرعب، ولكننى لا أستحسن أن نقوم بمثل هذه الأشياء قبيل نهاية مرحلة ثانويتنا العامة الماتورا التى تعطينا الحق فى أية دراسة جامعية نرغب فيها.

«زوفى» تقول، هس الآن وانصت إلىّ. هذه القنبلة لابد من أن نصنعها بطبيعة الحال فى الخلاء حتى لا تنفجر وتفتك بنا، بل تفتك بأناس غرباء أليس كذلك، الموضوع إلى هنا واضح. نأخذ قنينة من الزجاج

الحرارى من المقاس الكبير سعة ٥٠٠ ملليلتر تقريباً. ثانياً أنبوبتى اختبار، إحداهما مملوءة بحامض (١) والثانية مملوءة بخليط من .... و .... بنسبة ١:١ . واضح؟

«راينر» يقول من ناحية الوضوح واضح ، ولكن ليس من المتوقع أن يقوم هو بعملها، ففى رأيه أن أجمل وقت سيبدأ بالنسبة إليه عما قريب، ألا وهو وقت الدراسة طالباً بالجامعة ، وهو ما لا يريد أن يبدده بإلقاء قنابل، فأنا لست معتوهاً، وأغلب الظن أنكِ أنتِ تتكتين لا أكثر ولا أقل. فهذا الموضوع خارج طبيعتك. وهو فى صميم طبيعتى ما فى ذلك شك، ولكننى ؟ عن تعقل - لا أفعله، وأنا كذلك من أجلك أريد من الآن أن أكون مع المتعقلين. وعلاوة على ذلك فإن الحب فى جسم إنسان انفجار أشد قوة من قنبلة، إنه برق سافر يأتى من الطبيعة مباشرة. وأنت كما تعلمين يقيناً تحبينني منذ وقت طويل حتى إذا لم تعترفى بذلك لنفسك.

«أنَّا» تتلف شيئاً، هو بالتجديد، كرمة، بأن تجرد عودها من قشرته.

وتقول «زوفى» ببطء، ثم تُدَسُّ أنبوبتا الاختبار ،بعد ملء القنينة (٢) فى القنينة بحيث يرتكز قاع الأنبوبتين على قاع القنينة. عندئذ يجرى تشميع القنينة وأنبوبتى الاختبار بالشمع.

---

(١) ، (٢) مكونات القنبلة وكيفية صناعتها (المترجم).

فى «أنّا» تتبرم المنطقة اللطيفة المحيطة بقيبنا كما تتبرم بُنطة المثقاب البريمة التى ابيضّت من فرط التأجج، ولكنها لا تجد جداراً خلفياً يمكن أن يقاومها، فلا تزال تتبرم حتى تخرم سور حدود «أنّا» الخلفى. «أنّا» لا تعود تجد شيئاً تقتله ولهذا تبدأ بإماتة نفسها، وتلك عملية كثيراً ما تكون بطيئة وأليمة. وكم كانت تفضل أن تميت كائنات حية أخرى ولكن تتابع فصول العام الأربعة لم يصل بعد إلى هذا الحد.

«راينر» يقول مجدداً لا، لن يفعل، وهو فى نهاية المطاف، ما نسيته «زوفى»، القائد. قد يفعل فيما بعد، وما هذا بمحال، عندما يطمئن على وجوده، ويكسب جيداً ولا يعبأ بشىء، ولكنه لن يفعل قبل ذلك. فيما بعد سيكون المزيد من الشجاعة مطلوباً، لأن ما يمكن أن يفقده المرء عندئذ سيكون أكثر. أما الآن فمن المؤكد أنه لن يفعل بعد، وكذلك «زوفى» أيضاً لن تفعل. و«زوفى» لا يمكنها إطلاقاً أن تحب رجلاً قد يفعل شيئاً من هذا القبيل، فقد يصيب حتى أبرياء.

«زوفى» تقول إن هذا هو بالضبط الشىء الطيب فى الموضوع، وفى أيامنا هذه ليس هناك أبرياء. هذه القنبلة لابد بطبيعة الحال من إلقائها بحيث تكون على قاعها، وإلا فلن يحدث شىء؛ ولو ألقاها المرء كما ينبغى أن يكون الإلقاء فإنها تنفجر من أخف لمسة.

«راينر» يولول كالطفل الرضيع ويشرح بإطناب لماذا هو أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً وبأى حال من

الأحوال لا يستطيع أن يفعل. أسباب «راينر» لا تهم «زوفى»، ولكنها من نوعه النمطى. لقد خرجتُ مع هذا الممل ورحتُ معه بعيداً (بناءً على رغبته!) خصيصاً لهذا الغرض، والآن لا نخرج منه إلا بإسهال لفظى. سأكلف بهذا «هانس» وهو يقيناً سيشارك فى العمل.

«راينر» يحسب بدقة حتى الرقم الخامس بعد العلامة العشرية، أن «هانس» ليس لديه ما يفقده، أما هو فسيفقد الكثير، ألا وهو: مستقبله الذى وضح وظهرت علاماته وإرهاصاته مقدماً وتتضمن الدكتوراه بالإضافة إلى العديد من جوائز الأدب.

«أنّا» تعلق بصوت عال وقبيح. عسى ألا تبصقى علىّ مرة ثانية بعد أن أخرجْتُك بالعافية من السيارة ودفعتك برجلى فى آخر لحظة للقىء الأول، هكذا يغلظ لها أخوها القول وقد فاض به الكيل فلم تكن به حاجة الآن على الإطلاق إلى مثل هذا الشىء المقزز، حيث تصمه «زوفى» بالجبن وما به إلا قدر خاص متميز من التعقل. من الذى خطط للاعتداءات وشارك فى تنفيذها، «زوفى» أم هو؟ بطبيعة الحال: هو.

«أنّا» تتقيأ على الرغم من ذلك، وتقدم إليها «زوفى» مشيحة بوجهها منديلاً ورقياً. ثم تغير مكان وقوفها مبتعدة عن القىء. «زوفى» تصمت الآن ويستطيع «راينر» أن يشرح كل شىء فى هدوء. وهو

يلف الموضوع هنا وهناك كما تلف الخنفساء كرة روثها. عندما يصبح شخصاً ذا حيثية لا يعرقله أحد فستفهم «زوفى» أسبابه وتقبلها. وبعدئذ ستتقدم بهما السن معاً وفى وقت لاحق سيضحكان مراراً من هذه الخطة السخيفة. وفى آن آخر بعد ذلك مع أحفادهما.

«زوفى» تقول إنها تريد أن تصل أخيراً إلى حالة نشوة تخرج بها عن نفسها. لا يستطيع للأسف أغلب الناس أن يخرجوا عن أنفسهم.

«راينر» يقول، عدم الخروج عن النفس، الإنسان يحتاج إلى شريك، إلى الـ«أنت» هو الشريك، و«زوفى» هى الأنت. هو يقول لا، وبغير هذا الشريك يكون الإنسان وحيداً.

قطة متنمرة تتسلل صاعدة الجبل لكى تتلصص على جحر فيران. «أنّا» تفكر لفترة قصيرة أيضاً فى إماتة نفسها، ولكنها لا تفعل لأنها ضعفت نتيجة القىء. تعض فى سلامية بيدها حتى يوشك الدم أن ينزف.

«راينر» يولول صارخاً فى وجه «زوفى» التى تجد ذلك مجرداً من الذوق. «راينر» يقول حتى إذا فعل «هانس»، أهلاً وسهلاً، فليس لها أن تعتقد أن «هانس» عنده شجاعة أكثر منه، لأن الغباء والشجاعة فى أغلب الأحيان هما نفس الشىء، وخاصة أولاً وقبل أى شىء آخر، عندما يكون «هانس» هو الذى يصدع بالتنفيذ. لقد اخترت لنفسى دراسة جامعية جميلة

جـداً، وأنتظر يا «زوفى» إلى أن تلقى نظرة عليـهـا ، فستعجبك أنت أيضاً.

«زوفى» تصمت بطريقة تنم عن الاحتقار وتشوط حصوات إلى حفرة. ثم تقول بعدئذ، فلنذهب الآن إذًا، فلا يزال عندى اليوم شىء آخر أنوى فعله.

أخيراً تتعقلين وتتفهمين أسبابى يا «زوفى» هكذا يلغو «راينر»، إنه كان يعرف من قبل أنها ستتراجع فهو قاهر قلوب لا يقاومه أحد. الأمر رائع معكِ، لهذا السبب أو ذاك ، الأمر رائع معك، لأنكِ فى البداية تقاومين ثم تتبدد مقاومتك بطريقة حلوة تحت يدىّ. مثل حيوان صغير يمكن أن يهدئه الإنسان فيكف عن الكفاح العقيم ضد نفسه وضد الآخرين ويرقد ساكناً.

«زوفى» تنظر إلى السماء وكذلك «أنّا» تفعل نفس الشىء.

المشهد الطبيعى يفارق «أنّا» بلا نهاية، فما من أحد يستطيع أن يحتمل فى نهاية الأمر البقاء معها طويلاً. وضوح الهواء يعارضه غموض فكر هؤلاء الشباب، وكل منهما يعطل الآخر. راينر» يدخن سيجارة بعصبية. إنها تعكر لفترة قصيرة الهواء الذى كان هنا من قبل.

فى حجرة تغيير الملابس المؤدية إلى قاعة التمرينات الرياضية انفجرت قنبلة ذات مقبض تشغيل، كثير من الأحلام العصرية الجديدة لجيل ما بعد الحرب تبددت تماماً. فتبددت جونيلات كونى والبطلونات الفلانيلة الرمادية والبلوچينس والجوارب القصيرة والجوارب فوق الركبة والپلوڤرات والبلوزات والچاكتات البليزر والجونيلات الإسكتلندية المخيفة. وقد حرصت خطة التدبير على عدم إصابة أشخاص، وإلا فإن الشخص الذى يتعرض لإصابة سيرى حتماً مَن ألقى القنبلة. وليس من الممكن العثور على شخص يأخذ على عاتقه مسئولية هذا المقلب التلاميذى الذى هو أكثر من مقلب تلامذة، بل هو عمل إجرامى.

كان العمل بلا مسئولية كما كتبت إحدى الصحف. فلا غرابة فى ألا يتم العثور على مسئول.

«زوفى» نقلت القنبلة فى حقيبة التنس الخاصة بها. وناظر المدرسة رآها وحيّاها، ولكن ليس هناك من يستوقف «زوفى ياخهوفن» وليس هناك من يخطر

بباله احتمال أن تكون قادرة على ارتكاب مثل هذه الفعلة.

الأولاد الصغار الذين ليس لديهم شيء آخر في دماغهم غير ذلك الذى حدث يبكون على ملابسهم التى تبددت لأن وقتاً طويلاً سيمر حتى يقنعوا والديهم بأن يشتريا لهم بنطلونات جديدة على الموضة وجونيلات على الموضة. أفمن أجل مثل هؤلاء الأفراد غير المناسبين أتعبت «زوفى» نفسها. ولكنها فعلت هذا لنفسها. حجرة تغيير الملابس التى تفوح منها رائحة العرق النتنة ورائحة زيت الأرضيات القميئة لابد أن يتم تجديدها بالتمام والكمال، لن يفيد من هذا تلاميذ فصل الماتورا لأن التجديد لن يبدأ إلا فى العطلة.

السيد «فيتكوفسكى» يريد أن يُخرج ابنه وابنته من المدرسة، لأن شيئاً من هذا القبيل حدث، وهما يرجوان ويلتمسان بصوتين أن يسمح لهما بالبقاء، فيسمح لهما لأن المدرسة ستنتهى عما قريب، وبعدها ستُشد أوتارُ إجراءات أشد عنفاً ، ويصف «فيتكوفسكى» الأب شكل هذه الأوتار.

«هانس» الذى يُفترض كما هو معلوم أن يومض بينه وبين «زوفى» وميض الحب اشترى مكونات القنبلة باعتزاز وبدون استحياء فى دكان لا يشترى منه عادة إلا طلاب المدارس الصناعية العليا. ولقد تلوى هناك ولف ودار طويلاً حتى كادوا أن يتنبهوا إليه. كل هذا الاعتزاز، الناحية الروحية بينه وبين «زوفى» موجود

الآن، وعما قريب تتبع الناحية الأخرى. وهو فى هذه اللحظة يقنع «زوفى» بأن الإنسان بدون حب حبة تراب مجردة من الحب.

فى داخل «راينر» يتحطم شىء ، لأن جزءاً من الإنسان (القلب فى أغلب الحالات) يتحطم عندما يتحول الإنسان المحبوب إلى الخيانة، الخوف من الشك الحقيقى الذى يتردى إليه ربما بلا ذنب، يشل قرارات كثيرة بشأن «زوفى» «أنّا» لا تشعر بشىء على الإطلاق بعد الصدمة، «هانس» هو وحده الذى يستطيع أن يكسر بحبه هذا التصلب، ولكنه للأسف فى الوقت نفسه يكسر أيمان الإخلاص التى حلفها لـ«أنّا».

جبال الكروم فى الحى الڤيناوى التاسع عشر اختفت إلى بُعد قصىّ، وجبال الخوف تتراكم وتعلو.

الوالدان تملكهما الجنون لأنهما مضطران إلى شراء أشياء جديدة.

البعض يخرقون الزمالة، لأنهم يشكّون فى زملاء لهم. بلاغات مستترة واستجوابات. تلاميذ ينتحبون فى كل مكان. بنات مولولات، صبية صارخون فى الممرات والمراحيض وحجرات العلوم الطبيعية.

لا نتيجة.

صفعات.

«زوفى» تنزل السلم وتركب فى الخارج سيارة تاكسى ، وكأنها لا تعمل طوال النهار شيئاً آخر.

«أنّا» ڤيتكوڤسكى تصرخ مَرة صراخاً غير واضح النبرات ويسمحون لها بالذهاب إلى البيت. قبل نهاية اليوم الدراسى.

بعض المدرسين يتحدثون كأنهم يتفهمون الأوضاع. على التلميذ المقصود أن يبلغ عن نفسه ، ولن يحدث له شىء، ولسنا نريد إلا أن نعـــرف:من. عندمـــا يلاحظون أن سعيهم خائب، ينعرون مثل الثيران.

«راينر ڤيتكوڤسكى» يكتب مقالاً مروَّضاً ترويضاً مدهشاً عن الغريب لـ« ألبير كامى» Albert Camus ؛ أما ما يفكر فيه فهو الحر الذى لم يرَوّض مثلما تكون الأفكار دائماً.

الأبوان يصفعان البنات لأنهن يفضلن لبس الأحذية بالكعب المدبب العالى على أحذية غابة ڤيينا الواطية، والتى حُطمت.

«زوفى» تلبس فستان بعد الظهر من محلات «أدلمولـلر» Adlmller وثمة شمس ساطعة تدخل فى شعرها. ولكن الشمس من ناحية اللون لا شىء مقارنة بالفستان.

«أنّا ڤيتكوڤسكى» تفقد العقل. ولكن لا أحد يلاحظ ذلك، لأن هذه الفعلة الفظيعة التى لا معنى لها ارتكبت أيضاً بلا عقل وكانت ردود الفعل حيالها حمقاء خرجت من مخ مشروخ .

الذى يدفع ثمن السيارة وتكاليفها له وحده الحق فى الركوب. السيد «ڤيتكوفسكى» يدفع و«راينر» يقود له السيارة. نادراً ما يُسمح لـ «راينر» بقيادة السيارة وحده. وأياً كانت وجهة السيارة ، فالرجل المعوق يجلس على يمين السائق على المقعد الذى احتكره ويعطى تعليمات القيادة والركوب.

وكذلك فى اتجاه منتجع العطلة تنطلق السيارة الغالية نحو حى الغابة، وإلا فإن المعوق لن يذهب إلى أى مكان وهو يحتاج إلى الأكسچين مثل الآخرين.

اليوم يقول السيد والسيدة «ڤيتكوفسكى» إنهما يريدان أن تقلهما السيارة إلى قلب المدينة ليشاهدا نوافذ العرض التى تعتبر بمثابة البوابة إلى العالم. البوابات المؤدية إلى العالم تتفتح لأنهم وصلوا إلى شارع كيرنتنرشتراسة Kärntnerstrae ذلك الشارع التجارى المنيف الذى لا يأتى إليه الناس من الضواحى إلا مرتين فى العام على أكثر تقدير، ويلتصقان فى الحال بالحائط خوفاً من أن يفعصهما الناس الذين

يتدافعون نحو محلات الحلوانية الكبيرة المشهورة. وهما يذهبان اليوم إلى هناك لأن الممتاز هو بالكاد ما يعتبره السيد «ڤيتكوڤسكى» بالنسبة إليه جيداً، وهو يقول لزوجته ليس هناك فى تقديره شىء غالى الثمن غلواً مفرطاً، لأن التميز له ثمنه، وإذا لم يدفعه الإنسان، فإنه يدفع فى النهاية ما هو أكثر منه. انظرى هنا الثلاجة الكهربائية، وهناك الغسالة الكهربائية، ما أعظم ما قد نستطيع أن نبرده ونغسله بهما. أغلب المحلات محلات موضة. العصر الجديد يجلب للمدينة- التى لم تتخلص من الاحتلال ، ولم تصبح ملك نفسها وملك سكانها إلا منذ وقت ليس بالطويل، الرفاهية التى يستطيع حتى كل عامل بما يكسبه أن يتيحها لنفسه. وإذا لم يكن العامل يكسب إلا ما يحقق النذر الضئيل، فإنه يقوم بانقلاب. مُثّل هذا الخطر آخر مرة فى عام ١٩٥٠ . فاستغل بعض الشيوعيين اختناقات فى التموين وهيجوا السذج من الناس ضد بلدهم التى هى ملكهم والتى تخصهم شخصياً.

«راينر» يجر رجليه متثاقلاً وراء والديه، ويقول لكل من يريد أن يسمع، إنه لا ينتمى إلى هذين العجوزين المزعجين. ولقد سخرت منه «زوفى» مؤخراً قائلة إنه لم يرد إلا أن يشترى لنفسه بالفلوس المنهوبة شيئاً جميلاً، ولولا ذلك لما نهب شيئاً. هنا الكثير من الأشياء الجميلة، والترف، ولكنه لا يريد، وسيقول لـ «زوفى» أيضاً إنه لا يريد ذلك مطلقاً.

المجموعة الصغيرة المتثاقلة تتحرك مندهشة فى اتجاه «البـاليـه»Palais القـصـر ، ناصيـة حـارة «أناجـاسّه» Annagasse ، حيث يتخذ أدلموللرAdlmüller قيصر الموضة مشغله ومحله. آه، هذه المصادفة، من خلال كريستال البوابة يمكن أن ينظر المرء متجسساً بطريق المصـادفـة إلى الداخل، وأن يرى بطريق المصادفة نفس «زوفى» التى فكر المرء فيها مدققاً بطريق المصادفة، تقف مع أمها وتدور حول نفسها أمام المرآة. إنه أول فستان موديل لها وسيكون هدية الماتورا التى تقدم إليها. يا ماما ويا بابا، هنا تقف فى هذا المحل، زميلة لى من المدرسة، غنية، هذا ما يقوله «راينر» تلقائياً، ولا يعود يستطيع أن يرجع الكلمات إلى داخل فمه. لا تكاد الكلمات تنزلق خارج فمه، حتى يندم عليها. والداه قد يتأهبان بالفعل لإماطة الحاجز الزجاجى بين «زوفى»وبينهما. إذ هما يريدان اختراق البوابة.

العالم الخارجى يهدد بالاندفاع عنوة إلى الحدث الكريستالى بالعالم الداخلى. المعوق يلقى بنفسه (مثل كلب الصـيـد على الأرنب البـرى) بين عكازيه إلى الأمام، ومن ورائه الأم مشرئبة برأسها. يريدان على وجه التحديد أن يسلما على التلميذة صديقة الابن وأمها وأن يقولا لهما إنهما يسعدان إذا حافظ ابنا الطرفين على حسن الزمالة وتعاونا فى زمالة وحرصا على الصلة الوثيقة فى وقت الفراغ أيضاً. «راينر» يطوق خاصرتى الوالد المحترم المهتزتين حتى لا

يسقط على نحو أهوج فى البوابة ، ويضع ساقه أمام أمه حتى تبقى فى الخارج الذى تنتمى إليه.

«ياخهوفن» الأم و«ياخهوفن» البنت تتزلجان هنا وهناك فى سكون مطبق أمام مرايا، والهدف من السكون المطبق هو ألا يؤدى بهما ضجيج الشارع إلى صعوبة الاختيار. وهما تزينان نفسيهما بأشياء مصطنعة لا يتبينها المرء تفصيلياً من الخارج.

هل تخجل من والديك يا وقح يا مقمل، هكذا يتكلم الأب بصوت خافت، ويريد أن يرفس الابن بعيداً عنه، لكى يقبل يد السيدة «ياخهوفن» تلطفاً بحسب السلوك الراقى، فهو زميل بحكم أبوة تلاميذ مدرسة واحدة. وقد يجد لديها حظوة أيضاً كرجل.

الأم تقول مرعوبة، هيا ننصرف بسرعة، لقد بدأ تزاحمٌ ما بسببنا يهيمن هنا. يقول لها الأب مستشيطاً، يا تافهة، يا زفتة، يا حقيرة، لهذا نصرف عليكِ فى وقت يتحتم عليك فيه أن تعملى وأن تنفقى على نفسك، وإذا بك تخجلين من أسرتك. على أية حال أنا أمضيت الحرب كلها فى رتبة قيادية عالية. ولكنها انتهت الآن. وانتما كبرتما وصرتما أطول منا، كفاكما، انتهينا، عيال خنازير نتنة.

«راينر» شحب لونه كالجير الأبيض وتَقَنّفذ متوارياً فى نفسه أمام المتلملمين حولهم. سرعان ما تنظر أم «زوفى» أو «زوفى» نفسها إلى هنا، ولكن الزجاج السميك يمنع لحسن الحظ الفضوليين من أن يلقوا

نظرات متبججة إلى صالون المحل ومن أن يحدثوا ضجيجاً متبجحاً أيضاً.

فى المحل مديرة تلبس ثوباً أسود تروح وتجىء بحركة متأنقة، وقيصر الموضة نفسه يقيِّم. يقول هذا الفستان يمتاز بهذه وتلك الميزات، وذاك الفستان يمتاز بكذا وكذا، وهذا الثالث ربما لا يناسبكم، وذاك الرابع هناك يعيبه كذا.

الأب فى الخارج يقول لابنه، إنه، أى الابن، إن أنفه سينزف تواً كما نزف من قبل مراراً وتكراراً، عندما تصيب وجهه لكمة من هذه القبضة المضمومة.

أرجوك، «راينر» يرجو أباه بغض النظر عن الآلام المرتقبة، أرجوك لا تدخل، أرجوك أرجوك.

إذًا لا ندخل يا «أوتّى» ، أود أن أرى بعض البياضات ثم نعود إلى بيتنا المريح اللطيف. ولو دخلنا لعطلتنا السيدات دونما فائدة بدردشة. وأنت تعلم ما سنعمله بعد ذلك، كان هذا هو اقتراح الأم وجرّت الأب بعيداً بهذا الوعد الذى لم تعبر عنه بكلام. وتأرجح الأب وهو يبرطم مبتعداً. لا، الإنسان لا يريد أن يعطل نفسه مع هاتين الهانمتين المدندشتين ، لأن الإنسان لا يزال لديه اليوم الكثير ليعمله. طائر كبير يقفز من فرع إلى فرع.

وهكذا يذهبان ويشاهدان المزيد من المعروضات التى يراها «راينر» بالامتنان تفقد الوضوح أمام

عينيه. فى محل الأدوات الرياضية دراجة سبور جديدة جداً لها نقلات كثيرة. ولكن مثل هذه الدراجة تنتمى إلى عالم آخر، إنها تلمع لمعاناً جميلاً، ولكنها ليست لـ «راينر» .هذه الكأس التى بدت من قبل مرت عليه عابرة على كل حال، كما مرت فى الدين على يسوع.

وبث الأب من خلال قواطعه قوله لا ينبغى أن تذهبى لتتامى دون قبلة، ولا حتى دون تحية كما يتطلب الأدب. سيواسيه فنجان قهوة فاتحة جولد يتناولها فى الـ «الكافيه موزيوم»، ويأكل رغيفاً مكبباً «سيمل» ويدفع بقشيشاً جيداً. أما «راينر» فيتسرب منه كل شىء ويخر منهاراً كأنه طردٌ إنسانى يكاد أن يكون ميتاً. كم سيستطيعان فيما بعد هو و«زوفى» أن يضحكا على هذا! أما الآن فلا! فيما بعد.

داخلياً انفصل «راينر» عن أسرته بالفعل كل الانفصال ، أما خارجياً فلم ير أحد ذلك بعد.

على الرغم من أن التلاميذ أساساً لا يستحقون ذلك ، يقام علاوة على ما سبق ، قبل العطلة والماتورا التى ستفرق التلاميذ فى الاتجاهات الفلكية الجغرافية كلها حفل شاى الساعة الخامسة فى المدرسة الثانوية الجيمنازيوم، يُعِدُّه التلاميذ والتلميذات. التلاميذ يتولون الأعمال التنظيمية. مشروبات غازية بألوان قبيحة فوق المألوف. التلاميذ يراقصون زميلاتهم، وقد يراقصون بناء على نصيحة من مدرس جدير بالثقة أُمّاً أو جدة يدور بها الراقص دورات ودورات عاصفة. ويدور النقاش حول تقييم جهود أبناء وبنات هذا الجيل وغالباً ما تكون موهوب (ـة) ولكن كسول(ـة). ومنهم من لا يحصل على أى تقييم. والتلاميذ يشكلون تشكيلات يمكن أن تسمى أيضاً مجالس مدرسية.

«أنّا» و«راينر» فوجئا على نحو لا يوصف بأنهما سينتميان إلى مجلس مدرسة لا إلى عالم البالغين.

«زوفى» أدخلت «هانس» بالتهريب، وهو يشد الأنظار فى مكان كجسم غريب فهو بعد أن يعب زجاجة بيرة أو زجاجتين يتجشأ بصوت مقيت بل إنه لا يتورع عن أن يجد ذلك شيئاً ظريفاً. «زوفى» تلبس حذاء بكعب عال جداً ولا تحصر نفسها فى هيئة الشقراء. ولكن «راينر» على الرغم من ذلك يريد أن يحصرها بحمقه، ولكنه لا يحقق نجاحاً.

الشاى الردىء الذى لا يختلف عن ماء غسيل المواعين يغترفونه فى أكواب ورقية ويبيعونه بثمن بخس توفيراً للنقود من أجل رحلة الماتورا. أما التلاميذ الصغار، إخوة تلاميذ الماتورا، فأعد لهم مسرح عرائس يستعد فيه متحمسون للمسرح من رواد الوقوف بمسرح «بورجتياتر» لمسيرة احترافهم. والشباب شباب ولا يزالون يتمتعون بذلك.

وتجرى مناقشة عرض أو عرضين أوبرا تتولاها مجموعتان من المتخصصين، وترددت اسماء «بيپّو دى ستيفانو» Bippo di Stefano و«إيتّورى باستيانينى» Ettore Bastianini لا يعرفهما «راينر». ولكن «أنّا» تعرف «فريدريش جولدا» Friedrich Gulda وزملاءه فى التخصص.

أبو «راينر» المعوق ومعه الأم السنِّيدة وصل. تلميذة زميلة لـ «راينر» عرضت عليه باحتياط (حتى لا تشوه المشوه أكثر مما هو) أن تقدم له شاياً. الأب يقول إنه لا يأكل من مواعين غريبة. فلا يزال يملك من

مواعينه الخاصة ما يكفيه. تقول التلميذة لصديقتها يا له من رجل غريب الأطوار. لا بد أن به شعرة، ما رأيك؟ ثم تسأله البنت هل تضع له كرسياً عند مكان الرقص حتى يستطيع أن يتابع حركات التلاميذ المبتدئة على نحو أفضل. هو يقول، إنه يستطيع أن يظل واقفاً طوال الوقت. ليس هناك مستحيل عند الآلهة وعند «فيتكوفسكى»، وهذه هى ثانية أحسن حِكْمَة لديه. وتقول التلميذة التى كلمته من قبل، هذا الرجل مخه ضائع تماماً، مخه مشروخ. «راينر» الذى حكى للجميع أن أباه وابن عمه يتبادلان ركوب عربة «پورشه» يلوذ بحنُيَة فى البناء ويتلوى ويلتف بعيداً حول نفسه كاليرقة. لماذا لا يقضى بنفسه على نفسه بحيث لا يبقى إلا قليل من هواء ساخن؟ عليه أن ينتحر.

ولكن «زوفى» هنا، و «راينر» يشرح لها فى الحال بإسهاب وطبقاً للظروف أن الحب ليس شبقاً. السعادة الحقيقية هى الشعور بأن الإنسان أراد أحسن ما فى الحياة، حتى وإن كان من المحتمل أن يسوء التفسير. «زوفى» تقدم خبزاً بالجبن دون أى تأثر. الخدمة ممتعة إذا لم يكن الإنسان مضطراً لأدائها. «أنَّا» تفضل أن تُقطع يدها على أن تقدم لأى إنسان خبزاً بالجبن.

«جيرهارد» يريد أن يراقص معبودته «أنَّا» وأن يفرح، ولكن «أنَّا» تزيحه جانباً، لأنها تريد أن تلتقط

«هانس» من بين جدتين كما يلتقط طائر النقار بمنقاره دودة من خشب شجرة. ولكن «هانس» يندس بحركات الملاكم عامداً متعمداً ليستخرج «زوفى» بالعنف من مسكات زميل تدور معه هائمة دورات رقصة فالس قديمة ولكنها جيدة. مع هذا الأكول الذى لا فائدة منه والذى لم يكسب فى الحياة شلناً واحداً، استهلت هى فى الشتاء حفل الافتتاح الراقص. ولكنه لن يصبح عازفاً فى الأوركسترا الفيلهارمونى، بل حقوقياً عالى المستوى، إنه يمسك «زوفى» مسكة باردة وموضوعية، هى الشرط الأساسى لوظيفته المستقبلية، بأطراف أصابعه الحساسة، بينما يقبض على ظهرها بشىء من القوة، وليس المقصود ظلاً من ظلال القوة الزائدة ولا التعبير عن قدرٍ ضئيل من القوة.

ما هكذا تُمسك البنت، على الإنسان أن يقبض قبضة تنم عن العزم، وأنا أستطيع أن أقبضها، لأننى احتكم على طريقة للقبض. تعال هنا يا حبُّوب ، أنت خفيف كالريشة، و«هانس» يريد أن يدفعها بقوة شديدة فى الهواء وأن يزغرد يوهو ، وهو اليوم سعيد، إنه يحسن الاندماج اليوم فى زملاء مهنته المستقبلين بتعليم أكاديمى مبدئى. إنه إنسان فاعل. «زوفى» تقول انصرف من هنا.

عطب أصاب الآلة. «هانس» يتظاهر بأن عليه أن يقفل أزرار ملابسه سرواله.

تلاميذ عديدون أكدوا بعضهم للبعض الآخر أنهم يحتفلون اليوم بپارتى لطيفة جداً. يتبادلون أرقام التليفونات. كلمة أنت لرفع الكلفة تقال باستحياء وتكون البادئة، أول مرة تقال أنت بخجل. رحلة يتم التخطيط لها بزيارة فى المنتجع صيفاً.

خبز يدهن بالزبد.

قطع عملاقة من التورتة توزع فى أطباق ورقية.

«راينر» يتحرك كالسمك السابح منطلقاً من كمين تجاه «زوفى» ويقول الآن فى النهاية لابد أن تبدأ مرحلة من صداقتهما تختلف، يود أن يقول، اختلافاً أساسياً عن كل ما كان من قبل. إذ عليهما فى النهاية أن يعثرا على اتصال مباشر بالآخر بالنسبة إلى كل منهما. من الممكن العثور عليه بين متنزهين مشتَركين مساءً. سنكتشف مع كل محادثة عميقة قطعة أرض جديدة، هذا ما يعدها به. وهو يؤكد أنهما سيُدخلان فى علاقتهما نوعاً جديداً من الطبيعية. العجيب فى الطبيعة هو خلوها الكامل من التناقض.

«زوفى» تناقض وتقول دعنى وابتعد، إنك تكرمش فستانى فهو من الشيفون. أنت تتدهور ببطء شيئاً فشيئاً على نحو متدرج يا «راينر»، فعلاً فى الواقع.

هناك للكبار مشروبات كحولية حتى «پونش» ليناسب الساعة الوشيكة. الـ «پونش» خفيف. بعض الأطفال يضحكون مستهزئين لأنهم على سبيل

الاستثناء سمح لهم بأن يتناولوا جرعة منه. كذلك «هانس» يقف بين طلاب الكحول، ولكنهم يستبعدونه، ويبررون ذلك بما لا يصدقه العقل ألا وهو أنه ليس من الكبار. «هانس» يزوم قائلاً إنه منذ وقت طويل يكسب أجراً. يطالعه وجه خلا من التفهم، وجه ابنة طبيب، يسدد إليه الرد.

من غير المسموح هنا حتى تدخين سيجارة مهما صغرت.

السيدة «فيتكوفسكى»، التى لا سبيل إلى تحاشيها، تتوارى فى الزحام وتوارى ما فى عروقها من دم المدرِّسة (كانت هى نفسها مُدرِّسة!). أما ما تواريه علاوة على ذلك فستانها الذى يرجع إلى ما قبل الحرب والذى زينته بفيونكة من القطيفة ووردة من الحرير بنفس اللون، كلها أشياء فى غير موضعها بعضها فى هذا أسوأ من البعض. بابا يظهر أنيقاً، ربطة عنقه تصرخ أنا هنا، لا يمكن إغفالها. من الممكن إلى الآن أن يغفل الإنسان عمداً عن رجل معوق، أما عن ربطة العنق هذه فلا.

«أنّا» تهرش برفق على الجزء الخلفى من بلوفر «هانس» لكى يوليها اهتماماً، وإن أمكن أن يؤكده فعلاً. «هانس» يلمسها كالحصان ويسألها هل ستعود إلى الهرش. إذا أحست بما يستدعى الهرش، فلتهرش نفسها، ها ها ها ها. ثم يحدث صوتاً كالصهيل الحاد، ويرتمى ناحية «زوفى» ويراقصها رافعاً إياها

عـاليـاً دائراً بهـا عـدة دورات. ثم يقـذفـهـا كـالكرة ويتلقـفـهـا ويقـول لها مـداعـبـاً يا «كـنـزى الحـبـيـب» ويا دميتى الصغيرة ويا «زوفيتشرل» (*) فى داخله كثير من القوة يطلقها الآن، ولمن تكون إن لم تكن لـ «زوفى».

«زوفى» تضـحـك قليـلاً وتقـول نـزّلنى يا «هـانس» وقبل أن يستطيع تنفيذ الأمر يجىء «راينر» من خلف وينـتـزع «زوفـى» من بين ذراعـيـه ويقـول إنه سـيـركل «هانس» ركلة فيـمـا بين ساقي. فيـرد عليه قـائلاً إنه يتـمنى أن يرى ذلك مـرة. والآن أرنا عـرض أكتـافك، فنحن نريد أن نكون وحدنا.

السيد ناظر المدرسة يقول بصوت عال إن الماتورا - ختام الثانوية العامة - تمثل نهاية مرحلة حياتية وإنها ستبعثرهم فى كل الجهات الفلكية الجغرافية. وإن عليهم أن يحفظوا للمدرسة ذكرى. ولكن المدرسة انتهت، والحياة فى سبيلها إلى القدوم. وهى مختلفة تماماً، ولكن المدرسة تهيئ لها.

«راينـر» و«أنّـا» يرتعـدان من الخـوف، وأكـثـر مـا يخـافـانه هو التـغـيير. فـيـمـا بعـد لن يكون الإنسـان بسهولة مرة أخرى أبداً زعيماً كما كان هنا، ففيما بعد لن يعـرفك كلٌ واحـد. وكـذلك الجـهـود لا بد من تحـديدهـا من جـديد. «راينـر» و«أنّـا» خـائفـان من المجهول.

(*) صيغة تدليل من «زوفى» (المترجم).

«أنّا» تبين أنها تريد أن تقول

شيئاً فى هذا المقام.

الشابان اللذان شربا الكثير المفرط من العصائر واللذان لديهما الكثير المفرط من القوة، سيتضاربان الآن. مدرس متعقل يدخل المكان الفاصل بينهما ويحض على الالتزام بالنظام والدين. فهو تحديداً مدرس الدين.

«أنّا» تحجل بعض الشىء من فرط التأثر أن تستطيع أن تقول شيئاً فى الموضوع. إنها تريد أن تقول إن «هانس» لها ولا أحد غيره. حتى إذا ظهرت الأمور بظاهر آخر. «راينر» يقرب فمه من «زوفى» ويقول لها عما يشعر به نحوها وما كان دائماً يشعر به. وهو بدافع عزة النفس لم يعترف لها من قبل قط. أما الآن فما به أقوى. ولا يمكن حبسه. وهو يرى أنه ليست هناك غضاضة فى أن تعرف. الدرجة الأعلى التالية ستكون مواضع مشمسة على أرض الغابة، مطر يبدأ فى السقوط بطيئاً غير مسموع، رائحة راتنج نازف من الشجر، «زوفى»فى معطف مطر قديم، تمسح على شعره فى رقة وقد انقطعت أنفاسها. لابد من أن يَلقى المثقفُ مرةً رعايةً بدنية طيبة. طعام ريفى على مفرش بنقشة مربعات وأحاديث كثيرة جادة وعميقة يحضرها الإله حضوراً مجرداً. هذا هو حلم تلاميذ الجيمنازيوم وحلمه هو أيضاً. بعد تناول الطعام يتمدد المرء فى السرير ويستأنف قراءة «ألبير

كـامى» الذى يقـرؤه طوال الوقت. الفقـرة التى جاء بها أن المُدان انفتح له عالم أصبح بـالنسبة إليه إلى الأبد عـديم الأهمـيـة. وهو يـفكر فى أمـه. أما هـو، «راينـر»، فسيفكر على سبيل الاختـيار فى «زوفى» .فـيـما بـعد سيتوهان فى الغابة بالنسبة لعين الكاميرا.

«زوفـــى» تقـول إن أمها سـتـرسلها بعد العطلة إلى «لوزان» لكى تتاح لها بيئة أخرى. يقول «راينر» مـرتبكاً مضطرباً، هل هـذا مؤكد. نعم مؤكد جداً. فى مـدرسـة داخلية. وهـى مـسـرورة مـسـبـقـاً ومشـتـاقـة إلى البـيـئـة الغريبة كل الغرابة واللغة الغريبة كل الغرابة.

«راينـر يسـأل، لماذا تريـد أن تقـوم بسـيـاحـة إلى البـعيد، بينمـا الخيـر قـريب جداً، بالتحـديد: هنا. لماذا تحـتـاجـين إلـى بيـئـة غـريبـة؟ الأجـدر بك أن تروضى الحيوان الغريب والمجهول فىَّ. قد أمارس الآن الجنس ولكن هذا يحط من شـأن المرأة. ولهـذا السـبب أحتـاج إلى مثل هـذا الترويض.

هـذا الذى فعلتُه فى قاعة الـريـاضة البدنية «زوفى» أكثـر غنى بالأحـداث من مجـرد دعـاية حب. إنه حَدَثٌ مُشْعِل. «راينر» يقـول إنها يقيناً لا تـريد أن تتصرم عنه وإنهـا الآن لا تزيد عـن أن تلغو. وللبـرهـنة على أنه يثق فـيـهـا كل الثـقـة فـإنـه يريد أن يسـر إليـهـا وحـدها الآن بـبـعـض الأفكار لـتـفـسـيـر رواية «الـطـاعـون» لـ «ألـبـيـر كـــامى» Albert Camus ، لأنهـا سـتكون أول مـا يطالـعانه مــعـــاً. وليس لهـــا أن تتكلم عـن ذلك مع آخـــرين.

«زوفى» تبرده بأطراف أصابعها وتحيِّى والدىْ زميلها فى الرقص، وهما يعرفانها وسألوها عن مستقبلها، فأسمعتهما أيضاً حكاية «لوزان» وهما يستحسنان ذلك وإمكانات الرياضة البدنية هناك.

«أنّا» تنفث هواءً فى قفا «زوفى» حيث شعر أشقر. هى تود الآن مرةً أن تقول شيئاً عن شخصيتها هى، لم تتكلم منذ وقت طويل هذا الكم من الكلام. «أنّا» تقول إن شخصيتها هى كراهية عمياء حيال العالم كله. على «هانس» أن يقوم مرة أيضاً برفعها عالياً مثل «زوفى» منذ قليل. «هانس» يقول إن على «أنّى» أن تذهب وتأتيه بخبز بالسجق. وسرعان ما اندفعت كالصاروخ.

فى هذه الأثناء يتعلق «راينر» و«هانس» بكتفى «زوفى» كل واحد من ناحية ويبْسطان الأسباب التى من أجلها يكون عليها أن تخرج معهما من هذا الحفل المدرسى التافه إلى حيث يجرون مناقشة. «راينر» يشرح بسرعة الموسيقى الحديثة التى يبثها شريط التسجيل فى هذه اللحظة. لا ينبغى لـ «زوفى» أن تسافر إلى سويسرا الفرنسية. خرجت من فم «هانس» كلمة سويسرا عندما قيل لها إن «لوزان» تقع هناك.

«زوفى» تنمو متملصة من ذراعى الاثنين اللذين حسنت نيتهما وساء تصرفهما، إنها تنمو مثل نبات شرير يفترس اللحم، يقتل بلزوجته الحشرات وينفض

عن نفسه كل ألوان الإزعاج مهما كان نوعها وشكلها. إنها ستذهب بعيداً لكى لا تكون بها حاجة إلى أن تراكما مرة أخرى (*)

هل هؤلاء هم المعجبون الصغار بك يا «زوفى»، هذا ما تقوله مبتسمة أم زميلها فى الرقص، إذاً أتمنى لك الكثير من الاستمتاع يا حبيبتى «زوفى»

«أنّا» تعود بالخبز بالسجق، «هانس» يلتهم السجق السلامى بعصبية مفرطة، ويقشر الخيارة الصغيرة وطاب لـ «أنّا» أن تأكل ما بقى من شريحة الخبز بالزبد. وهو يدفع ثمن ما تأكله. «أنّا» تأكل وتسعى فى تصميم لبلوغ الهدف وهو المرحاض لكى تتقيأ، على أمل ألا يكون «مشغولاً»

«راينر يقول إنه قد يقتل نفسه. من المؤكد أن هذا يشحذ اهتمام «زوفى» إنه قد ينزلق من خلال الثغرات ويضيع. الدنيا لها بلادة عاطفية، كما يقول «ألبير كامى. Albert Camus » لابد من أن يترك الإنسان عدائيتها وراء ظهره، كما يقول ألبير كامى عندما يُجرَّد الإنسان من الأمل فإنه يكون قابضاً على الحاضر تماماً، يكون هو الواقع، والآخرون كلهم ممثلون صامتون. وهكذا هم على كل حال.

(*) تداخل متعمد بين ضمير الغائب والمخاطب (المترجم).

تقـول «زوفى» بنعـومـة، أنت لم تقل قط جـملةً لم يقلها آخر من قبل (*).

والسبب هو أننى أعرف كل الجمل. عندما تتمحى الحياة يكون المساء مثل هدنة حزينة، هذا هو الشىء الذى يجعله لنا «ألبير كامى Albert Camus قابلاً للتصديق.

«هانس» يلكم بقبضته جمجمته لكمة مفرطة الشدة حتى أن الجمجمة تطن فارغة. لا يخرج هكذا شىء مبتكر، لا يخرج إلا المألوف، أى كلمات المعلم له بأنه فى شغل التيار الكهربائى أخطأ ولخبط القطبين السالب والموجب ويعاجله بشلّوت.

الأب المعوق يتحرك حركة رياضية بين عكازيه مقترباً من «زوفى» ويقول لها إنها على ما يبدو واضحاً صديقة ابنه الحبيبة، وهذا شىء ظريف لأنها بنت أمّورة من النوع الذى كان فيما مضى كثيراً ملك يمينه ولم يعد يتاح له الآن إلا أحياناً لأن وقته بحكم الوظيفة ضيق. وفى هذا المجال يمكنه أن يُرى ابنه «راينر» ما لا يعرف.

أم «أنّا» و«راينر» تلتهم بعينيها تفصيلة فستان بعد الظهر الذى تلبسه «زوفى» هل يا ترى تستطيع ماكينة خياطتها أن تحيك مثل هذه الأعجوبة من الشيفون أم هل هى من الأورجاندى؟ ليس فيها فتلة صناعية.

(*) وكثيرًا ما يكون هذا الآخر «البير كامى» (المترجم).

«أنّا» تطوق ذراع أمها كالكماشة. لم تمسك هذه الذراع منذ شهور. على مدى لحظة كانت المرأتان القديسة مريم والقديسة مارتا، بحكم الضرورة، فقد كان لمريم آنذاك ابن فقط، ولم يكن لها بنت.

«هانس» يبتلع على الفاضى محركاً تفاحة آدم. كل هذا اللعاب دون أن يعب الواحد كوب بيرة.

«زوفى» تنفض عن نفسها كل شىء وتخرج نهائياً بل رجعة.

«زوفى» تخلف وراءها فراغين، أحدهما فى «هانس» والآخر فى «راينر»، ولكنها لا تحس بهما.

كثيراً ما تقول بنت فى منتجع التصييف، عندما يكون صديقها قد عاد إلى المدينة، أنت تسافر، ولكن الكثير يبقى. الكثير الذى خلفه وراءه. هنا لا يبقى كثير يمكن الانتفاع به، بل لا يبقى شىء بتاتاً.

السيدة «فيتكوفسكى» تغطى بيدين، ليس لديها أكثر منهما، مكان موضعى الفيونكة القطيفة والوردة الحريرية العاريين، ولكنهما يبصان باستخفاء من بين الأصابع ويعطيان انطباعاً سيئاً. وكذلك السيد «فيتكوفسكى» يعطى انطباعاً سيئاً.

أنّا تتصرف هى أيضاً، دون أن يلحظها أى إنسان، فعلاً أى إنسان. لم تخلف وراءها ولا حتى علامة من كعب معدنى فى الباركيه. لا شىء مطلقاً.

«هانس» يخرج من بوابة المصنع، «أنّا» التى تقف فى الخارج تتجه نحوه. هى تريد أن تعطى شيئاً عاقلاً من ذات نفسها حتى يرى أنها يمكن أن تكون مختلفة. تريد أن تقول إن الخير فى ألا يكون لى أن أذهب إلى أمريكا لأننا الآن فى الصيف نستطيع أن نتعلم لمدرستك المسائية. ولكنها كما يحدث كثيراً لا تقول شيئاً بل تولول فقط بطريقة حمقاء. «أنّا» تنتحب أمام كل الناس الأغراب الذين اشتغلوا طوال اليوم والذين من حقهم لهذا السبب أن ينالوا راحتهم المسائية، تنتحب بصوت عالٍ وتضع روحها المتهرئة كلَّ التهرؤ أو جلَّه فى هذه الولولة التى تكشف فى أثنائها فى آخر المطاف عن بذرة طيبة. لا يقدر على البكاءَ إلا من لم يصبح صلباً كل الصلابة. الوجه والفم ينبعجان انبعاجاً قبيحاً. ما من امرأة تكسب من مثل هذا التعبير بالوجه، بل تخسر. وعلى الرغم من هذا فإن «هانس» يتملكه نوع من الشفقة عندما يتبين ذلك عند «أنّا» المعتدة بنفسها. ربما لم تكن تلك شفقة، بل

كانت على الأحرى فعلاً منعكساً رجالياً لحماية الكائنات الضعيفة. هذا الفعل المنعكس يتحرك عندما يرى رجلٌ امـــرأةً تولول. يطوق بذراعـــه هذه المرأة الباكية الخاصة هنا ويقودها بعيداً لكى لا يتجسس عليهما زملاء العمل. يقول، ماذا يا «أنّى» لماذا تبكين؟ لا. لا! «أنّا» تقول إنها يائسة، وتدع أشياء كثيرة مختلطة تتفجر خارجة منها، وبصفة أساسية خوف وكراهية وما يمثل بهار الموضوع نتفة غيرة من «زوفى» «هانس» يقول إن الغيرة ليست جميلة حيال إنسان يقع دون ذنب منه فى مـــثل هذا الموقف المألوف. هل تحسدين «زوفى» أنّا تنتحب على طبقة صوتية أعلى. تعالى، سأرافقك إلى البيت، ونحن نكاد نسكن بالفعل متجاورين. عليها أن تهدئ نفسها، وهى بالفعل تهدئ نفسها ببطء. إنها على نحو مفاجئ إلى أبعد حد ترى «هانس» بعينين جديدتين تماماً، عينىْ الحب، الحب الذى يلاحظ أنه حب خـالص. و«هانس» يرى «أنّـا» بعينين جديدتين تماماً، عينىْ الحماية، حماية الرجل الأقوى. ربما يكون ذلك أيضاً إحساس الصداقة التى تتبين كذلك أنها صداقة خالصة. إنها تتضمن أن يسير الإنسان مع الصديق من خلال اليسر والعسر وغيرهما من أزمان عسيرة على نحو آخر.

من خلال اليسر والعسر يسير «هانس» مع «أنّـا» إلى البيت. ماذا دها «أنتشى» (*) Anntschi، يكررها

(*) صيغة تدليل من «أنا» (المترجم.).

المرة تلو المرة ، ولا يعرف شيئاً يقوله غير ذلك. لا شيء، أنا الآن أحسن، هذا ما قالته. أتأت معى للعشاء؟

«هانس» يقول من فوره، لا، لأنه لا يستطيع أن يتحمل والدىْ «أنّا» ولكنه يقول قريباً يأتى يوم الأحد وربما يستطيعان أن يقوما بشىء معاً.

هموم مختلفة تسقط عن «أنّا»، وبهجة غير مألوفة تنتشر فى داخلها ، بل إنها تتسع لتشمل طعام العشاء الذى سيكون طعمه منفراً ما فى ذلك شك. قريباً جداً ستكون هناك رحلة بالدراجة مع «هانس» ربما تكون الرحلة بداية جديدة على أساس جديد. ليس من المحتم أن تكون الناحية المادية دائماً هى الأساس، لأن المال يضيع أحياناً، والإحساس مستقل عنه.

فى مسكن «فيتكوفسكى» تُمَد مائدة العشاء. الأب يسترسل فى العيب دون أن يلتقط أنفاسه فى هذه الأثناء، ولم يعد أيُّهم يدرك شيئاً من ذلك لاعتيادهم إياه. وهو يهدد الأم بصنوف من الويلات والعذاب يريد أن يصبها عليها صباً. الأم تقلِّب صفحات كتالوج محل بيع بالبريد تعثر فيه على فستان يخز عينيها. ولا يزال يخزهما ويخزهما. وإنما يخز عينيها على نحو خاص لأنها خجلت من نفسها فى المدرسة بالأمس فستانياً (*) ومازالت اليوم تشعر بنوع من الضرر الداخلى الناجم عنه.

(*) فيما يتعلق بالفستان والفساتين. وأسلوب يلينك يعج بمثل هذه التراكيب التى حلى للعامة والخاصة سبكها ، ومنها ما لا يستغربها السامع، ومنها ما يضحكه أو يدهشه (دراجة: دراجياً إلخ) وقد يكون من الممكن أن نقدم أمثلة لها ما يشابهها فى لغتنا الدارجة. (المترجم).

الأب يقول [1] لـ «راينر» هل يلعب معه بعد العشاء دور شطرنج. «راينر» يقول نعم وسيلعب بالفعل. لطعام العشاء خبز وسجق إكسترا وسجق عادى [2] . زائد: بطاطس فى صلصة بشعة. ثم يلى دور الشطرنج، والرجل المعوق يعطى توجيهات مضللة تتجه إلى المستوى العقلى لـ «راينر» أو يتناوله هو مباشرة. «راينر» يخسر لأنه على نحو ما منعدم التركيز. الأب يفرح بطريقة جنونية، فما كان فى الفترة الأخيرة يكسب إلا نادراً ضد السيد تلميذ الجيمنازيوم الرفيع المستوى، الذى يصور له خياله أنه شىء. وعلى الرغم من ذلك يقول لـ «راينر» إنه سيصفعه صفعة كلها بهريز إذا لم يبذل جهداً أكبر فى اللعب مع أبيه. «راينر» يقول الكسب لا معنى له ويتلقى الصفعة الموعودة.

«أنّا» فى تقاطيع وجهها شىء ليّن لم يكن موجوداً به صباح اليوم. من أين جاء؟ حتى أنها تنشف المواعين المغسولة.

الأم تهرب من فشلها كأم إلى الدخول فى دور الشهيدة وتتوسل إلى الأب ألا يستخدم فى هذه الليلة

---

(١) نلاحظ كثرة استخدام قال يقول حتى إذا كان المألوف مثلاً سأل يسأل. _ هل أصبحنا فى عالم القيل والقال ؟ (المترجم).

(٢) شرائح السجق عند الألمان والنمساويين هى غموس الكافة، ومنها أنواع رخيصة ورديئة يتندرون باسمائها، ومنها أنواع ممتازة ونظيفة ومترفة. وواضح أن أنواع السجق هنا رديئة ومنفرة. (المترجم)

أدوات وأساليب مسرحية رهيبة لأنها تؤلمها. يقول متندراً، إنه سينعم التفكير فى هذا الموضوع ، ولكنه سيضرب أكثر لا أقل. ثم يذهب من يذهب إلى الفراش.

«أنّا» تأكل تفاحة قبل النوم.

«راينر» يأكل أيضاً تفاحة قبل أن يأوى إلى الفراش للنوم ويقرأ فى الوقت نفسه اللامعنى والهوس عند «ألبير كامى» .Albert Camus

يُطفأ النور، ينامون.

فى الساعة السادسة والنصف فى الصباح الباكر يصحو «راينر» فجأة ، ويداه على عكس عادته المألوفة مبتلتان بالعرق. لا يقيّم شيئاً إيجاباً أو سلباً، يسمع الأم فى الحمام، ينهض ويذهب إلى الحجرة الأمامية ويستل من ربطة مفاتيح الأب المتدلية على الباب مفتاح صندوق المسدس. الصندوق ارتفاعه ٨ سم وطوله ٣٠ سم وعرضه ١٥ سم ، وهو من الحديد. محفظة الأوراق فوق الصندوق، ولابد أولاً من إبعادها. الشقة هادئة، إلا من ضجيج الأم السخيف فى الحمام وهى دائماً أول من ينهض صباحاً. «راينر» يفتح صندوق المسدس ويتناول المسدس ماركة شتايركيپلاوفپيستوله Steyr-Kipplaufpistole، عيار ٦,٣٥ مللم. تحت المسدس صور تظهر فيها عورة أمه، هذه العورة لم تحدث فيه انطباعاً محسوساً، على الرغم من أنها لأمه التى وضعته فى الدنيا.

يذهب «راينر» بالمسدس إلى أخته التى نامت ليلتها كلها على مقربة منه وراء الساتر الرقيق المصطنع، والتى ظلت دائماً كلها ثقة فيه. يطلق رصاصة إلى داخل رأس «أنّا» أشد ما يكون قرباً منه، فيهشم عظم جبهتها، ولكنه يؤدى بها فقط إلى فقدان وعى يحدث فى الحال. بعض قصاصات نغم من موسيقى شونبرج العمل رقم ٣٣ أ Schonberg op.a وسوناتا برج Berg-Sonate التى حفظتها نصفاً تنتفض فى مخ «أنّا» وقد غشيتها الصدمة، ثم تتلاشى مترددة متمنعة، ولكنها تتلاشى نهائياً. لن يكون هنا إلى الأبد غناء ولا نغم.

«راينر» يخرج بعد هذه الطلقة ويدلف إلى الحجرة الأمامية التى تقبل فيها الأم تجاهه دون أن تتكلم أو تحدث من نفسها غير ذلك من تعبير. هو يعرف أن عليه الآن أن يقتل الأسرة كلها، حتى لا يكون هناك من يعرفون شيئاً فيخونونه بإبلاغ البوليس. «راينر» يطلق كذلك رصاصة على أمه فى رأسها فتقع من فورها دون أدنى صوت. عظم فكها العلوى تهشم بالكامل ولكن الموت لم يصبها بعد. الأم ملقاة على لينوليوم الحجرة الأمامية كصرة محشرجة ولا علم له هل مخها يعمل أم لا، وأغلب الظن أنه لايعمل. «راينر» ينحى المسدس الذى لم يعد به رصاص بعيداً ويحضر البلطة المشحوذة من المرحاض والتى تزن ١٠,٩٥ كجم، وطول سلاحها ١١,٢سم. ومن عجب أن الأب يقعد طوال وقت القتل فى حجرة المعيشة ساكناً وقد ارتدى جاكتة تريكو فوق البيجامة. «راينر» يذهب

بالبلطة إلى أبيه الذى يعبر عن اندهاش صامت، وينهال عليه. الضرب يستهدف الرأس. تحت ضربات البلطة الفظيعة ينهار والد «راينر» فوراً وينزف بقوة. عظام تتكسر، عظيمات تتهشم ، أوتار تتمزق ، شرايين تتقطع ولا يمكن ترقيعها مرة أخرى. «راينر» يكاد ألا يستهدف إلا الرأس والرقبة، وهذا يكفى. ولا يزال يضرب ويضرب حتى تفتت الأب كليةً. ثم يذهب «راينر» بالبلطة إلى أمه التى تتكوم محشرجة مرغية فى الحجرة الأمامية كصرة مصرورة وينهال عليها. ولا يزال على حاله لا يقيّم شيئاً إيجاباً أو سلباً. إنه يريد أن يصيب فى مقتل، وهو فعلاً يصيب فى مقتل. عندما أطلق الرصاصة الأخيرة كان يعرف مسبقاً أنه سيلجأ إلى البلطة لكى يكمل عمله ويتمه. لا أحد يتكلم ولا يصرخ. الأم ملقاة على بطنها وهو يجهز عليها نهائياً فى هذا الوضع. تموت. «راينر» لا يتحرك إلى أمام ولا إلى خلف قيد ملليمتر. كما وقعت كذلك ماتت. عندما تقضى نحبها يذهب «راينر» إلى أخته التى سدد إليها من قبل رصاصة فى جمجمتها لأنها الجزء الوحيد من جسمها الذى ظهر من تحت اللحاف، وهاهو ذا ينهال بالبلطة على رأس «أنّا» كما انهال بها من قبل على رأسى الأب والأم. استحال رأس «أنّا» إلى طحينة من العظم والدم والأوتار والمخ، أسنان متفرقة تلمع سافرة بارزة منه وعين توشك أن تكون مفصولة عن محجرها. فى وقتٍ ما بعد قليل تموت «أنّا» أيضاً، وهكذا يموت الثلاثة جميعاً.

كلهم ضُربوا بالبلطة بصفة دامغة على الرأس والرقـــبـــة. يذهب «راينر» إلى صندوق الكرتون ويستخرج منه الحربة من بين كم من اللعب وجهاز عرض الشرائح الضوئية واللباد، ويخرم بالحربة التى أصبحت عديمة القيمة تماماً، الجثث الثلاث على نحو منهجى، الواحدة تلو الأخرى. أولاً يخرم الأب بالحربة فى رقبته وصدره وسرته، ثم يخرم بعد ذلك أمه الميتة بعنف وعلى نحو دامغ فى بطنها، وأخيراً يخرم أخته الميتة بكل قوة. هكذا يكون قد فرغ عندئذ نهائياً لأن الكومة الدامية لا تبعث صوتاً ولا يعود أحد يستطيع أن يميزها بعضها عن البعض الآخر، فالمعروف أن الموت يسوّى الفروق فتستوى. أما نوع كل واحد فيمكن التعرف على ماهيته لا أكثر. ولابد من التعلق بالنوع إذا أراد أحدٌ أن ينسب كل جثة إلى شخص صاحبها.

عن طريق ارتكاب اللامعنى يريد «راينر» أن ينقذ مركزه النرجسى، بأن يكون ارتكب شيئاً خارقاً للمألوف.

الآن يتجه إلى إخفاء جثة الأب، حتى لا يلمحها أحد على الفور عندما يدخل. يشد بنفَس مكروش طرد اللحم الذى يقطر دمـــاً إلى داخل الصندوق الفلاحى الكبير الذى اضطر إلى أن يخرج منه من قبل كمية من سقط المتاع حتى ينفسح مكان يحتوى

الجثة أيضاً. هناك كمٌ كبير جنونى من الدم حتى أنه لا يستطيع أن يخفى الجثث الأخرى. أعصابه تفشل عاجزة عن تقديم خدماتها إليه. و?راينر ?يفشل فى هذه المهمة.

يخلع البيجامة المشبعة بالدم ويقف تحت الدش. ثم يدس الأسلحة فى شنطة ملفات ويغادر البيت مبكراً جداً حتى يهيئ لنفسه دليلاً على عدم وجوده فى مكان الحادث. وكذلك يأخذ البيجامة معه. يركب السيارة الخاصة ويذهب إلى زميل من المدرسة ليستذكر معه استعداداً للماتورا ويستلف منه ثمن البنزين. يريد أن يرمى آلات القتل فى نهر الدانوب من فوق كوبرى، ولكنه لا يجرؤ على ذلك لأن العديد من المارة يقفون على النهر بغير طائل فى هذه الساعة المبكرة جداً. وهكذا تأتى المعدات إلى شنطة السيارة مع البيجاما تحت الإطارات الاحتياطية.

وبعد أن استُذكرت الدروس للماتورا واستُلِفت خمسمائة شيلن كانت فى علبة سجائر، ركب هو وزميله السيارة واتجها إلى «كِيتّلاسبرُون»Ketlassbrunn فى النمسا السفلى «نيدرأوسترايش»Niederösterreich ليزورا قسيساً كان مدرس الدين المسيحى على المذهب الكاثوليكى السابق فى المدرسة.

الآن يصلان «كِيتْلاسبرُون» Ketlassbrunn ، القسيس يندهش ويفرح. ويدعو السيدين طالبيّ العلم لتناول(*) الغذاء فى المطعم، وهو لحم خنرير مشوى وكنودل ويذهبان معه بعد ذلك إلى سيمنار فى دار الشبيبة يتولاه أستاذ من فيينا حول موضوعين الإنسان من حيث هو عالَم و الذنب والكفارة يحاول «راينر» كما فعل على الدوام أن يبرز بأسئلة حول هذين الموضوعين. القسيس يصافحهما مودعاً ويعطيهما بعض قطع من العجائن. ثم تحمل السيارة زميل المدرسة إلى بيته، يقول كان اليوم غنياً بالأحداث ويدلف إلى مسكنه حيث تفوح رائحة صلصة حلوة بالڤانيليا.

«راينر» ذهب بالسيارة من جديد إلى نهر الدانوب العظيم، ذلك الشعار. الساعة الآن السابعة مساءً ، يُغرق آلات القتل فى النهر عند مطعم «بيرجر» Berger. يترك البيچامة الدامية فى السيارة.

ثم يتصل «راينر» من كابينة تليفونات ببنت لم يرها منذ شهور. البنت تعمل مربية أطفال لدى زوجين طبيبين فى وسط المدينة، والداها ووالدا «راينر» يعرفون بعضهم بعضاً من الموطن فى حى الغابة. «راينر» يدعو البنت «ريناته» Renate إلى بار پيكاسو

(*) كنودل Knödel كرات من البطاطس المسلوقةأو الخبز المبلول المخلوط بمكسبات الطعم وربما إضافات أخرى مثل الكبدة أو اللحم المفروم ، ويطهونها فى صلصة. وهى من الأطعمة البسيطة المنتشرة فى النمسا وجنوب ألمانيا (المترجم).

Picasso-Barللرقص، وترقص بالفعل مع «راين» «راينر» يشرب كأسين «كامپارى» بالصودا، و«ريناته» تشرب كأس «مارتينى» وفانتا. «راينر» يشرح بتوسع وإسهاب بناء الموسيقى الحديثة التى تنطلق من مكبرات الصوت. ثم يكف عن الشرح ويوصل «ريناته» إلى بيتها.

«راينر» يذهب إلى بيت والديه حيث ظلت أمه طوال الوقت ممدة بأربعين جرحاً كبيراً وبما لا يحصى من الجروح المتوسطة، وأخته بستة وعشرين من الجروح الغائرة القاتلة دون حساب للجروح الأصغر حجماً، والأب الممحوق محقاً كاملاً يتحلل وحده فى الصندوق الفلاحى المزخرف بالحفر فى الخشب. ويبلغ عدد الضربات التى أصابت الثلاثة أشخاص فى مجموعها نيفا وثمانين، علاوة على الوخزات، والرءوس بصفة خاصة نالها التهشيم البليغ. ولقد استخدم اليدين معاً فى الضرب بمزيد من القوة. لا يستطيع «راينر» أن يقضى الليلة بجانب هذه الرمة التى اخترمتها البشاعة، لأن الرعب يتملكه.

يدلف إلى بيته الذى لم يعد بيته، يضىء النور قليلاً فى الحجرة الأمامية، ويطفئه على التو لكى يصدق الناس أن المشهد الفظيع فاجأه وأفزعه، ويذهب إلى الشرطة ويقدم بلاغاً، أمى تتمدد مقتولة فى الحجرة الأمامية، تعالوا وأعينونى على اكتشاف الفاعل. أحد رجال الشرطة يسرع معه. مَن هذا الذى

له القدرة على وصف دهشتهما عندما يجدان جثتين يخلطان بينهما فى البداية، فلم يعد أحد أمام كل هذا التشويه يعرف من الأم ومن البنت؟!

رجال الشرطة مأخوذون «راينر» يرقد على محفة مخطوف اللون فاقد الوعى نصفياً والطبيب يهدئه بعقاقير، ونبضه ، فى رأى الطبيب، منتظم انتظاماً مثيراً للدهشة بالقياس إلى مثل هذه الصدمة.

أين بيچامتك وأين أبوك؟ سؤال يسأله المفتش. لا بد أن تكون بيچامتى هنا فقد خلعتها فى هذا الصباح مبكراً وخرجت دون ريث. أما أين أبى، فهذا ما لا أعرفه.

رجل الشرطة الذى أصابه التقزز على الرغم من أنه اعتاد أشياء طوال حياته الوظيفية يقول إن هذه الجثث شوهت سماتها تماماً فلا سبيل إلى التعرف عليها لما طالها من عنف غاشم. جثتا الأم والبنت لم تُحركا من مكانهما، والآن يحرك منظرهما النفوس.

وسرعان ما طفا على السطح السؤال أين بيچامة «راينر» وأين السيد «فيتكوفسكى»، فالجثتان هنا لأنثيين هل كان الأب هو الفاعل؟ وأخيراً أُخرجت بقايا الأب الملطخة بالدماء من الصندوق. أما بقايا مخه فكانت ملقاة على الأرض بجانب الصندوق لأنها لم تدخل فيه.

بقى الآن فقط السؤال عن البيچامة الذى أعيد طرحه من جديد ، وقد زاده الشك قوة.

عندما يسأل المفتش للمرة المائة أين بيچامتك، لا بد من أن تكون موجودة يا سيد «ڤيتكوڤسكى» ، يجيب «راينر» فى النهاية: إنها ملطخة بالدماء وموجودة فى شنطة السيارة تحت الإطارات الاحتياطية.

إنتم الآن تعرفون كل شىء ولهذا يمكنكم أن تتصرفوا فىّ.

صدر من هذه السلسلة

١ ـ «ملكة الصمت» للكاتبة الفرنسية «مارى نيميه» ـ رواية ـ جائزة ميديسيس.

٢ ـ «فتاة من شارتر» للكاتب الفرنسى «بيير بيجى» ـ رواية ـ جائزة «انتير».

٣ ـ «موال البيات والنوم» للكاتب المصرى «خيرى شلبى» ـ رواية ـ جائزة الدولة التقديرية.

٤ ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد عفيفى مطر» ـ سيرة ذاتية ـ جائزة «سلطان العويس».

٥ ـ «اللمس» للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله» ـ مسرح ـ جائزة «أبها».

٦ ـ «عاشوا فى حياتى» للكاتب المصرى «أنيس منصور» ـ سيرة ذاتية ـ «جائزة مبارك».

٧ ـ «قبلة الحياة» للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» ـ رواية ـ «جائزة التفوق».

٨ ـ «ليلة الحنة» للكاتبة المصرية «فتحية العسال» ـ مسرح ـ «جائزة التفوق».

٩ ـ العاشقات ـ للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٠ ـ نوّة الكرم، للكاتبة المصرية «نجوى شعبان»، رواية، «جائزة الدولة التشجيعية».

١١- «الفسكونت المشطور» للكاتب الإيطالى ـ «إيتالوكالڤينو» رواية ـ عدد خاص ـ جائزة «فياريچيو».

١٢- القلعة البيضاء ـ للكاتب التركى «أورهـان باموق» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٣ - أين تذهب طيور المحيط ـ للكاتب المصرى «إبراهيم عبدالمجيد» ـ أدب رحلات ـ «جائزة التفوق».

١٤ ـ قرية ظالمة ـ للكاتب المصرى «محمد كامل حسين» ـ عدد خاص ـ «جائزة الدولة للأدب».

١٥ ـ الرجل البطىء ـ للكاتب الجنوب إفريقى «ج . م . كويتسى» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٦ ـ طحالب ـ للكاتبة الجنوب إفريقية «مارى واطسون» ـ متتالية قصصية ـ «جائزة كين».

١٧ ـ شوشا ـ للكاتب البولندى «إسحق باشيفيس سنجر» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٨ ـ شارع ميجل ـ للكاتب من ترينداد ـ «ف. س. نايبول» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٩ ـ الحياة الجديدة ـ للكاتب التركى «أورهان باموق» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

٢٠ - عشر مسرحيات مختارة ـ للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» ـ مسرح ـ «جائزة نوبل».

٢١ - الآخر مثلى - للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» - رواية - «جائزة نوبل».

يصدر قريبًا من هذه السلسلة

الطوف الحجرى. **جوزيه ساراماجو**.. جائزة نوبل ١٩٩٨.

الأنثى كنوع.. جويس كارول أوتس.. جائزة **بن/ مالامود** (الأمريكية) ١٩٩٦.

اسطنبول.. الذكريات والمدينة.. **أورهان باموق**.. جائزة نوبل ٢٠٠٦.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org. eg
E - mail : info @egyptianbook.org. eg

تشعل "إلفريده يلينك" صراعًا دراميًا عارمًا بين جيلين، جيل جديد ينفصل بعنف عن جيل قديم، فتطلعنا على كيفية ظهور العنف فى النمسا منذ خمسينيات القرن العشرين، وتصفى حسابها مع أوزار كارثة النازية من خلال تجليات شخوصها المستبعدين من شريحة تلاميذ المدارس، والعمال المحبطين والمتشرزمين، وجماعات الفقراء المنسحقة، وهى تنتقم من أحد فلول النظام النازى ابتداءً من وصف تشوهه الجسدى والنفسى ومرورًا بوصف روحه الفاسقة وانتهاءً بقتله والتمثيل بجثته على يد ابنه.



ISBN# 9774197267



الهيئة المصرية العامة للكتاب
السعر ١٢،٥ جنيه